

المنطوق للغوي غنا حلاك

رسالة تقدمت بها

الحق الشيخ العزيم
والأستاذة الصالحية
أبو وأم غدير
مع خالص التقدير

سنة علي حسين الحمداني

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة بغداد وهي جزء
من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية

وآدابها

لشراؤ

الدكتور محمد ضاري حمادي

نشر الأول ١٩٩٥ م

جمادى الأولى ١٤١٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا»

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أشهره ان اعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في جامعة بغداد
كلية الاداب وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية
رأسيا .

التوقيع :

الاسم : الدكتور محمد ضاري حمادي

التاريخ : / / ١٩٩٥

بناء على التوصية المتوفرة ، ارشح هذه الرسالة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم :

التاريخ : / / ١٩٩٥

الأهداء...

إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم..

رجاء شفاعته يوم الدين يوم لا ينفع مال ولا

بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... وإلى من

أوصاني بهما ربي خيراً والدي الكريمين أطلب الله

عُزْرَهُمَا

أُرفَعُ رسالتي بيتواضع

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ - د
التمهيد	١٦ - ١
الفصل الاول : اللغة	
المبحث الاول : طبيعة اللغة	١٧ - ٣٠
المبحث الثاني : علوم اللغة	٣١ - ٥١
المبحث الثالث : اجتماعية اللغة	٥٢ - ٦٤
المبحث الرابع : كتابة اللغة	٦٥ - ٨٨
الفصل الثاني : الملكة اللسانية	
المبحث الاول : مفهوم الملكة اللسانية	٨٩ - ١٢٨
المبحث الثاني : الملكة اللسانية وقوانين العربية	١٢٩ - ١٣٦
المبحث الثالث : الملكة اللسانية والشعر	١٣٧ - ١٥٩
الفصل الثالث : اللهجات العامية	
المبحث الاول : اللهجات العامية والتطور اللغوي	١٦٠ - ١٨٦
المبحث الثاني : تباين اللهجي والطبيعة التواصلية للغة	١٨٧ - ٢٠٣
الخاتمة	٢٠٤ - ٢٠٨
المصادر والمراجع	٢٠٩ - ٢٢٠
البحوث والمقالات	٢٢١ - ٢٢٣

الم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا فيه ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ابي القاسم محمد وعلى اله الطاهرين المتجيبين ، وصحبه الطيبين ومن تبعه باحسان الى يوم الدين •

وبعد

ان شغفي باللغة العربية وحبى لها ، وتعلقى بها ، كانت حافزا قادتي الى متابعة هذه اللغة العزيزة ، اتقمت اخبارها ، وأتقت على اسرارها ، واهتدي الى سبر اغوارها ، مقتفية اثر جهود العلماء الغيارى والرجال المخلصين في الحفاظ على سلامتها ، والعمل على صيانتها •

ان الظواهر اللغوية في هذا العصر ، قد شهدت نموا عظيما ، واستطاعت بعض مناهجه ، ان تزيل الحدود الفاصلة بين كثير من العلوم والمعارف ، مما دفعني الى اختيار بحثي ، متناولة جهود علم عن اعلام الفكر العربي الاسلامي فيه ، ناظرة اليه في هدي جهود علماء اللغة المحدثين والقداماء ، الذين انصب كثير من جهودهم على درس علم اللغة وفقا لمناهج متعددة وصلوا من خلالها الى نتائج عميقة ، وقد رأيت ان اتناول الجهود اللغوية عن احد علماء الاجتماع ، فوجدت لابن خلدون ، اهتماما بالغاً بالدرس اللغوي بالرغم من تخصصه في علم الاجتماع • وعندما بحثت عن مؤلفاته ، لم اجد اهتمامه اللغوي الا في مقدمته الشهيرة باسم (مقدمة ابن خلدون) ، التي تضمنت كثيرا من آرائه في فلسفة التاريخ وعلم العمران البشري (علم الاجتماع) فكان لها الاثر العظيم عند العلماء والمؤرخين للحركة العلمية والادبية ، الذين اعتمدوا كثيرا عليها • وعندما ترسخت الفكرة في ذهني وحيث عرضتها على اساتذتي الافاضل ، وافقت لديهم قبولا واستحسانا ، فتوكلت على الله وعقدت العزم على ان يكون موضع رسالتي هو ((المنهج اللغوي عند ابن خلدون)) •

ومع ان جهودا عظيمة قد بذلت في التعريف بحياة ابن خلدون وثقافته وآرائه الاجتماعية والتاريخية ، نجد القليل ممن اهتم بدراسة جهوده اللغوية ، ومن هنا رأيت ان ابن خلدون جدير بان تبحث جهوده اللغوية وتعرف آراؤه في مجالات علوم اللسان العربي ، فحاولت ان اتلمس القضايا اللغوية المتظورة في (المقدمة) واضحة نصير عيني اماكن اضاف نظرة علمية متجددة على الاراء اللغوية الواردة في المقدمة • فتوكلت على الله سبحانه وتعالى

وعقدت الحزم على بحث هذا الموضوع ، متجاهلة كل صعوبة اعترضتني ، لاني واثقة
ان الصعوبات تعترض كل باحث ، وانه يستطيع التغلب عليها بالصبر والعمل القوامسـل
فأخذت بجمع كل ما يتصل بالموضوع مستعينة بارشاد اهل العلم باللغة •

يشمل هذا البحث غير المقدمة تمهيدا وثلاثة فصول وخاتمة • تناولت في التمهيـد
سيرة ابن خلدون الذاتية ، واهم احداث حياته ، وثقافته ، رايه ونسبه ، واهم
المؤلفات التي اطلع عليها ، واهم الكتب التي ألفها ، وحاولت ان أوجز فكرة من خلال
الدارسين والباحثين لقراءته الفكرى ، ثم بينت موقع القضايا اللغوية من المقدمة ، وصلة
ابن خلدون — عالم الاجتماع — بالدرس اللغوى •

اما الفصل الاول فتناولت فيه موضوع اللغة ومفهومها عند ابن خلدون ، وجعلته في
اربعة مباحث : كان الاول في طبيعة اللغة ووقت فيه ، على حد ابن خلدون للغة ونظريته
لها من حيث كونها ملكة لسانية ، وبيان وشيقتها وخصائصها ، كما ووقت فيه على
التسمية الاصطلاحية للغة واللسان •

وتناولت في البحث الثاني ، تقسيم ابن خلدون لعلوم اللغة ، وبيان كل قسم منها
وروقت فيه على اكتساب اللغة ومعالجة ابن خلدون هذا الاكتساب ، وتأثير مساره في
الملكة اللسانية •

وتناولت في البحث الثالث علاقة اللغة بالمجتمع وتلك هي نظرة عالم الاجتماع
للغة ، مهينة فيه تأثير كل من الملك والدين أو الطمة كما يسمونها — والعزلة والاختلاط
والعصر والبيئة ، في اللغة والملكة من صحة أو فساد وتخليط •

وتناولت في البحث الرابع الخط والكتابة ، واستعرضت فيه رأى ابن خلدون في اصل
الخط العربي ورسم المصحف العثماني •

اما الفصل الثاني ، فهو الملكة اللسانية ، وجعلته في ثلاثة مباحث ، تناولت في
الاول ، مفهوم الملكات عامة ، لاسيما الملكة اللسانية عند ابن خلدون ، وعلاقتها باللغة ،
واصفة مراحل ارتقاء هذه الملكة ، وان لها قوانين تحكمها في تحصيلها واجادتها وقصورها
والتخليط فيها ، واختلاف الاستعداد لتحصيلها بين العربي والمستعرب والاجنبي •
وكان البحث الثاني في علاقة الملكة اللسانية لقوانين العربة وقواعد اللغة ، وقسـد

رتقت فيه على الفرق الذى حدده ابن خلدون بين الملكة الممانية وقوانين العربية
وقواعد اللغة •

ركان البحث الثالث في علاقة الملكة الممانية بالشعر ، بيان مفهوم الشعر عند ابن
خلدون ، ورأيه في مراحل تكون الملكة الشعرية وزوائد الحصول عليها من كلام العرب
بن النثر والشعر •

أما الفصل الثالث ، فجعلته في اللهجات العامية ، فكان على محثن ، تناولت في
الاول ، التطور اللغوى من وجهة نظر ابن خلدون ، أما الثاني فجعلته في التباين اللهجي
والطبيعية التواصلية للغة ، وتضمن هذا البحث ادراك ابن خلدون للتباين اللهجي
في عصره بسبب التطور اللغوى الذاتى ، وطبيعة اللغة التواصلية •

وقد صححت النصوص التي تضمنت اخطاء لغوية أو املائية مشيرة الى ذلك في
الحاشية •

أما المصادر والمراجع ، فقد كانت ((مقدمة ابن خلدون)) هي اعتمادى الاول والاساس
لانى لم اجد الافكار اللغوية لابن خلدون ، الا فيها ، لذلك كانت دراستي منصبة على
المقدمة فقط من مؤلفاته ، فضلا عن كتب علم اللغة القديمة والحديثة •
والرسالة ان عرت عن شي • ، فأنا تعبر عن امكانات الطالب الباحث المبتدى الذى
لا يملك الا طموحا كبيرا ، اذ كنت على يقين ، ان هذا هو المسلك الذى درجت فيه
وحاولت ان اتلمس طريقى ، وانني متعثرة لا محالة • وعلى الرغم من اني استغدت من
اساتذة أفاضل واخوان اجلاء ، في التوجيه والاشارة والرأى ، فأني اقول ، ان ما كتبت
يمثل محاولات أولية حرصت ان تكون صحيحة في مضامينها سليمة في مؤداها ، وان تعثرت
فيها خطاى وكبابي القلم ، فعذرى انني ما زلت في بدء الطريق اتلمس الصواب والحقيقة •
وأود هنا ان أسجل ، ان هذا الجهد المتواضع يدين الى عناية استاذى الفاضل
المشرف الدكتور محمد ضارى حمادى ، وتواضعه ، فقد منحني من وقته الكثير ومن
ملاحظاته القيمة في الحوار والاشارة وعرض الافكار والتوجيهات السديدة التي أغنت في
البحث نهجه واسلوبه ومصادره ومراجعته ، فله الشكر الجزيل والشام الجميل على ما عانى
في التصحيح والتقويم والتوجيه بغية ان يسمو البحث الى رانته وعلميته •

واقدم شكرى وتقديرى واحترامى ايضا الى السادة رايى لجنة المطاوعة واعضاءها ،
لما سيدونه من ملاحظات وتوجيهات تسمو بالبحث وتقوم بساولاته المتواضعة ، وما
يهدونه الي من مقترحات وتوصيات سأضعها نصب عيني آخذة بها في تهذيب ما
جاء في محتوى البحث وتمحيصه • وفق الله اساتذتي الاجلاء لخدمة العلم ، وطلبته
وجزاهم الله علي احسن الجزاء وأوفر الثواب •

كما أسجل شكرى وتقديرى لكل من أعانني وساعدني في هذا البحث بالكلمة والنصيحة
والرأى من الاساتذة وخص منهم الدكتور محمود الجادر ، والدكتور عناد غزوان •
كما اتقدم بالشكر والتقدير الى زميلي واخي حيدر سعيد ، لما ابداه لي من مساعدة
وما قدم لي من مصادر كفاني فيها عناء البحث •

واخيرا لست ادعي الكمال لبحثي ، فما الكمال الا لله سبحانه وتعالى وحسبي ان ما
في بحثي هذا من خير فذلك من فضل الله عز وجل ، وما فيه من الهنات والهنات والخطأ
فذلك من نفسي ، فاني اجتهدت ، وللمجتهد أجران ان أصاب ، وله أجر واحد ان أخطأ •
وختاما أسأل الله سبحانه وتعالى ، ان يجعل عملي هذا خالما لوجهه الكريم
وان ينفع به المسلمين انه سميع مجيب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عليه
توكلت واليه أنيب •

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الشمس
و

التمهيد

ابن خلدون (٧٣٢ هـ - ٨٠٨ هـ)

سيرته الذاتية وأهم أحداث حياته

قليل عن الاعلام في تراثنا ، من ترجم لنفسه ترجمة وافية وقد زاد ابن خلدون هذا القليل بان ترجم لنفسه ترجمة مطولة الحقها بتاريخه الكبير ، فكفى المترجمين مؤسرة البحث .

وقد بدأ ، كما ترجم لنفسه ، بتفصيل نسبه ، وذكر اسما اجداده المعلومين ، وذلك استنادا الى ما سمعه من الاخبار من جهة ، والى ما قرأه في كتب التاريخ والانساب من جهة اخرى . لقد دين ابن خلدون بقلمه حوادث حياته منذ نشأته حتى شرف خاتمه ، وصور لنا كثيرا من خواصه ونواحي نفسه .

وابن خلدون هو (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون) ، اشبيلي الاصل ، ينتهي نسبه الى وائل بن حجر من اقبال العرب (١) ، اى الى حضرموت في اليمن .

من بيت نابه ذى علم ورياسة وتمرس في المناصب الرفيعة طوال ايام الدولة الاموية في الاندلس ، وحتى عصر الطوائف (٢) .

وقد انتقلت اسرته من أشبيلية الى سبتة (٣) في المغرب الاقصى ثم الى بونة (٤) في الجزائر ، منتصف القرن السابع (٥) .

ولد ابن خلدون في تونس في غرة رمضان سنة اثنيتين وثلاثين وسبعمائة ، وقرأ القرآن بالقراءات السبع وختمه عدة ختمات ، درس الفقه الاسلامي وعلوم اللغة العربية في عصره ،

(١) ينظر : التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا : ١ .

(٢) نفسه : ١ - ٨ .

(٣) بفتح السين وسكون الباء ، وتقع على ساحل البحر المتوسط ، ينظر : التعريف بابن خلدون : ١١ .

(٤) بضم الباء وتسكين الواو ثم فتح النون ، وتقع على ساحل البحر المتوسط ، ينظر : التعريف بابن خلدون : ١١ .

(٥) ينظر : التعريف بابن خلدون : ١٠ - ١١ .

من تحرير اللغة وعرف ببلغة ، وحفظ كثيرا من الشعر ثم ((تاريخ)) (١) الفنون والادب والتاريخ حتى صار من أئمة عصره ، ولم يزل في نشأته على ما قيل العلم حريصا على اقتناء الفوائد ((٢) .

وكان جده الادمي (محمد بن خلدون - ٧٣٧ هـ) (٣) ، بل دولة مغربها ، عمل لاكثر من امر حقيقي ، الا انه نزع في أخريات ايامه الى طريقة العلم والرباط ، وزهد في الحجابة ولزم فقيرا أوكل اليه مهمة تفتيه ابنه ، اى والد علما عبد الرحمن .

وقد نشأ هذا الولد فقيها أدبيا ، اذ يظهر من كلام ابنه عليه ، انه كان على حظ وافر من علم العربية والشعر ، وانه كان محكما بين الشعراء في مستهل رمضان سنة (٧٣٢ هـ) ولد له ابنه عبد الرحمن في مدينة تونس (٤) .

أهم أحداث حياته

بدأت حياة عبد الرحمن ابن خلدون الحسنة في سنة (٧٤٠ هـ) (٥) عندما غزا السلطان العربي ابو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب ، مدينة تونس ، واطعها معه جماعة من اهل العلم كان حريصا على تزيين مجلسه بهم (٦) . ولعل قدوم هذه الجماعة عن العلماء اسهم في تكوين رأي مكر عند ابن خلدون ، ولا سيما انهم كانوا ادم علماء افريقية قاطبة .

وفي عام (٧٤٩ هـ) أحاق الطاعن الجارف بالبلاد ، وأهلك خلقا كثيرا من بينهم والد ابن خلدون ، وعدد غير قليل من اساتذته (٧) . ويبدو ان هذا الوباء ترك في ذاكرة ابن خلدون جرحا لم يندمل ، ليس لانه حرره والده الذي كان له في نفسه مكانة خاصة ، وليس لانه حرره بعد اساتذته الذين كان يجلهم ، ولكن لانه جرعة مرارة القسوة في الحياة وفي الطبيعة ، مما قد يلح في آرائه في العمران البشري وأثر البيئة في هذا

- (١) الفصيح : بن
- (٢) دائرة المعارف الإسلامية : ج ١ / ٤٦٠ .
- (٣) ينظر : التعريف بابن خلدون : ١٤ .
- (٤) ينظر : التعريف بابن خلدون : ١٥ .
- (٥) نفسه : ١٩ .
- (٦) نفسه : ١٩ ، ٤٤ - ٤٥ .
- (٧) نفسه : ٢٧ .

الحران • وفي عام (٧٥٢ هـ) تقلد ابن خلدون أرفع منصب رسمي وهو يناهز العشرين من
عمره ، إذ التحق بابي محمد بن تافراكين لكتابة العلامة للسلطان أبي اسحاق (١) . فكان
ذلك المنصب فاتحة طريق طويل في السياسة •

وفي مستهل عام (٧٥٨ هـ) سجنه السلطان العربي ابوسان فارس بن عثمان بتهمة
التآمر مع امير بجاية الحفصي ، وقضى في السجن عامين تقريبا ، لم ينقذه منه سوى
بوت السلطان على يد زويه (ابن عامر) الذي بادر الى اطلاق سراح ابن خلدون مع
نفر آخرين كانوا في السجن (٢) •

وفي عام (٧٦٤ هـ) التحق ابن خلدون ببلاط بني الاحمدي الاندلس ، بتمهيد من
صديقه ابن الخطيب ، حيث قام بمفارة ناجحة لدى ملك الغنائمة الذي أعجب به وعرض
عليه الاقامة في أشبيلية ، وإعادة املاك اجداده اليه ، ان ابن خلدون اعتذر له
بعذر حسن (٣) •

ولحل هذه المفارة قد عثقت في وعي ابن خلدون الدارق الكبير بين واقع التدهور
في الدائم العربي والاسلامي ، وواقع النهوض وتنامي الروح العسكرية في العالم الاوربي •
والناظر في مقدمة ابن خلدون يلحظ كثرة استشاده بالاندلس في معرض حديثه
في الحوان البشري •

وفي عام (٧٧٦ هـ) عاد الى تلمسان (٤) ، عزمها التفرغ ببحث العلم ، الا ان سلطاتها
آنذاك اباحو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن (٥) ، يدان ان يسفر ابن خلدون
ليؤلف قلوب بعض القبائل ، فأشهر الطاعة وأضر اللحاق بأولاد عريف في جبل كرنول (٦) •

(١) يندرج : التعريف بابن خلدون : ٢٧ ، ٥٥ •

(٢) نفسه : ٦٦ - ٦٨ • (٣) نفسه : ٨٤ - ٨ •

(٤) تلمسان : بكسر التاء واللام وتسكين الميم والميم ، وهي مدينة في المغرب ، ينظر :
التعريف بابن خلدون : ١٣ - هامش (١) •

(٥) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٩٦ وما بعدها •

(٦) جبل يقع جنوب مدينة تيارت في الجزائر ويبعد عنها (١٠) كيلومترات ، ينظر التعريف
بابن خلدون : ٢٢٨ - هامش (٢) •

وقد سمع ما أراد ، اذ تلقاه ارناد عريف بالتجمل والاكرم ، وارسلوا للسلطان ، من أحسن الاعتذار اليه عن ابن خلدون ، وانزله واسلمه في قلعة ابن سلامة (١) . فأقام فيها أربعة اشهر ، غير عابئ بشيء ، سوى الانكباب على تأليف تاريخه (العبر) متوجهاً بهذا التاريخ بمقدته على ذلك النحو الخريب ، الذي استدرى اليه في تلك الخلوة ، فسألت فيها شأبيب الكلام والمعاني على الفكر (٢) .

وفي عام (٧٨٤هـ) ركب ابن خلدون البحر مشيراً العزم على قضاء فريضة الحج (٣) . فصادف بلوغه الاسكندرية مرور عشر ليال على جلوس الملك الظاهر برقوق على كرسي الحكم في مصر ، فحصد انتاعرة حيث توافد عليه طلاب العلم ، ففتح للتدريس لهم بالجوامع الارض ، ولم يطل أمر اتصاله بالملك الظاهر الذي اجري عليه راتباً ، ولما توفي أحمد المدرسين في مدرسة القهية التابعة لوقف صلاح الدين الاريني ، حل محله ، ثم ما لبث ان اصبحت قاضي المالكية أول مرة وكان ذلك في عام (٨٦هـ) (٤) . وفي هذه السنة ايضاً ، كتب ابن خلدون بأمره ، بعد ان كان الملك برقوق قد كتب في شأن لحاقهم بمصر مستشفعاً له عند سلطان تونس ، اذ غرقوا جميعاً في البحر ، ما دفع ابن خلدون الى الخروج عن المنصب والزهد في الدنيا والتفرغ للعلم والقراءة والتدريس (٥) .

وفي عام (٨٠٣هـ) ركب ابن خلدون مع السلطان فرج ابن الملك الظاهر برقوق ، الذي خرج الى دمشق لملاقاة تيمورلنك قائد التتار ، وبعد انتظار رتقب دام اكثر من شهرين ، قتل السلطان عائداً الى مصر ، خلفاً لابن خلدون مع من وافده ، عندما بلغته انباء فتنة مضطرب في مصر ، فما كان من قضاة دمشق وفقهائها الا ان اجسوا أمرهم على طلب الامان من تيمورلنك ، مخالفين بذلك نائب السلطان ، وقد اعطاهم تيمورلنك الامان وسألهم عن ابن خلدون ، فأخبروه بتخلفه في دمشق ولما بلغه خبر رسالة تيمورلنك عنه ، بادى الى ملاقاته حفاظاً على حياته ، واسمعه كلاماً أعجبه ، وأقام عنده حيناً ثم استأذن بالسفر (٦) .

- (١) قلعة تقع في مقاطعة وهران في الجزائر ، وتنسب الى سبعة بن علي بن علي بن نصر بن سلة ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٢٨ - هامش [٤] .
- (٢) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٢٩ .
- (٣) نفسه : ٢٤٦ .
- (٤) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٤٦ وما بعدها .
- (٥) نفسه : ٢٥٩ - ٢٦٠ . (٦) نفسه : ٣٦٦ .

وفي عام (٨٠٨ هـ) تولى ابن خلدون منصب قاضي القضاة الملكية مرة سادسة بعد أن عين فيه وعزل غير مرة • حتى توفي في الخامس والعشرين من رمضان لذلك العام ، عن ستة وسبعين عاما تقريبا ، وهو يشغل منصبه هذا ، ودفن في القاهرة (١) .

شيوخه

من المرجح انه تلقى العلم أول ما تلقاه عن والده الذي يقول عنه انه كان مقدما في صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه ((وان اهل الادب كانوا يتحاكمون اليه فيهم ويعرضون حوكمهم عليه)) (٢) .

وقد قرأ القرآن الكريم على استاذ له هو (ابو عبد الله محمد بن سعد بن برال الانصاري) (٣) وتثقف بعلم العربية من اساتذة تونسيين منهم الشيخ ابو عبد الله محمد بن العربي الحصائري ، وكان امانا في النحو ، والشيخ ابو عبد الله محمد بن الشواش النيدالي ، وابو العباس احمد بن القصار ، وامام العربية والادب بتونس ، ابو عبد الله محمد بن بحر ، وأخذ الحديث من امام المحدثين بتونس شمس الدين ابي عبد الله محمد بن جابر بن سلطان القيسي الوادياشي • اما الفقه فقد أخذه عن اساتذة منهم ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الجياني ، وابو القاسم محمد القصير ، والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد السلام (٤) .

ان اهتمام ابن خلدون في ذكر اسما اساتذته على ذلك النحو ، يدل على أنهم كانوا على درجة من الشهرة في الاوساط العلمية والثقافية آنذاك ، ولذلك كان متفائرا ، بأنه درس عليهم ، ولكن المنعطف الحقيقي في حياة ابن خلدون العلمية ، هو فيما يبدو حضور ((جماعة من اهل العلم)) بمعينة السلطان ابي الحسن المريني عندما قدم غازيا تونس ، وقد كان مهتما باستقطاب اكبر عدد ممكن من العلماء النابذين وضمهم الى مجلسه ، ولعلنا نلاحظ مدى احتفال ابن خلدون بهؤلاء الجماعة من العلماء الذين عرف معظمهم ودرس

(١) لمزيد من الاطلاع على حياة ابن خلدون ينظر : دائرة المعارف الاسلامية : مج ١ / ٤٦٠ - ٤٦٨ ، والضمم اللامع : ٤ / ١٤٥ - ١٤٦ ، الاعلام : ٤ / ١٠٦ - ١٠٧ ، ونفح الطيب : ٦ / ١٧١ وما بعدها • وتمهيد محقق المقدمة الدكتور علي عبد الواحد وافي ضمن الجزء الاول : ٢٧ وما بعدها •

(٢) نفسه : ١٥ •

(٣) التعريف بابن خلدون / ١٤ - ١٥ •

(٤) التعريف بابن خلدون : ١٩ •

(٤) نفسه : ١٥ - ١٨ •

طی بعد از آن، اما عروج الهم من عوالم سخیو، كما انه لا یقتضی انشاء نقیاً
سواءً کل واحد منهم (۱۱).

يكن الذي خلف الأمر العميق في بني أمير حمدين ، وبت من ماله ، والذين على
ذلك كثرة قتاله عليهم ، واسترجع في سوريتهما وحما :

١ • أبو محمد بن عبد الصميع بن عبد الصميح الحنبري^(٦) : أدام الحديث في المغرب
وقد لازمه ابن خلدون وأخذ عنه الامات است ، يكتب الخطا ، ويسر لا ين احاقه ،
ويكتاب ابن الصلاح في الحديث^(٧) . وقد ((كانت بضاعة في الحديث وافرة ، وينحلته في
التقيد والحفت كاملة ، وكانت له خزانة من الكتب تزيد على ثلاثة آلاف مقر ، ففي
الحديث والفقه والعربية ، والادب ، والمعقول ، وبماثر غنية ، ومجموعة كتيبا
مقابلة))^(٨) .

٢ • أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبي^(١٥)، شيخ العلوي الحقيقية، وقد لازمه ابن خلدون، وأخذ عنه الأعلين، واستقر، وبأثره في الحكمة، والتعليم^(١٦).

الكتب التي اطلع عليها ابن خلدون

عن الألفاظ للنصر ، ان مدغم الكتب التي نحر ابن خلدون ، عن انه قرأها على اشيخه
أو اطلع عليها ، ليست من تناء التي يمكن القول فيها انها مراجع رئيسة ، أو هي امات فسي
العلوم ، اذ هي في الغالب عن الكتب التي كانت ضرورية لكل طالب العلم في عصره . وقد
ذكر انه قرأ في اللغة والنحو (تزييل الفوائد) لابن مالك ^(١) ، وهو من الكتب المعروفة
جدا لطالب اللغة والنحو . وقرأ في الادب كتابين للاظم . مختصر راجح : كتاب الاشعر
الستة ، وديوان الحماسة ^(٢) . وقرأ أشعار ابي تمام ، وأشعر المتنبى ، وأشعار كتاب الاغانى ،
وقرأ في الفقه مختصر ابن الحاجب ^(٣) .

(١) نفسه : ١٩ - ٢٠ • (٢) ينظر ترجمته في نفع الطيب : مج ٥ / ٢٤٠، ٢٥٤ وما بعدها
(٣) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٠ • (٤) التعريف بابن خلدون : ٢٠ •
(٥) ينظر ترجمته في نفع الطيب : مج ٥ / ٢٤٥ •
(٦) ينظر التعريف بابن خلدون : ٢١ - ٢٢ •
(٧) نفسه : ١٦ • (٨) نفسه : ١٧ •
(٩) نفسه : ١٧ - ١٨ •

وفي الخرافات ، قرأ قصيدتي اللامية في القرآن والرائية في الرسم الساملي (١) . وكذلك قرأ في علوم الحديث والتفسير كتاب السوطي للإمام مالك بن أنس ، وبعضها من الامات الخمس (٢) . كتابي التلخيص لاحاديث السوطي والتوحيد على السوطي لابن ع. الهري (٣) .

كما قرأ كتاب السير لابن اسحاق ، وكتاب مقدمة ابن السكيت في علم الحديث (٤) . وفي العلوم العقلية ، قرأ التعاليم والاصول والمنطق ، رسائل الفلاس الحكيمة والتعليقية (٥) . والذي يبدو ان هذه الكتب التي اوردتها ابن خلدون لا تشمل الا جزءا يسيرا من مجموع الكتب التي نغترش اطلاعنا عليها ، وذلك لاننا نغترش ايضا انه اطلع على كتاب في الاقل لكل علم من الاعلام الذين أشار اليهم في عرض تاريخه ومناقشته له يوم عصره في المقدمة . وان كان قد اعمل الإشارة الى اطلاع هذا سواء أكان ذلك في معرض ترجيحه لنفسه في التعريف ، أم في تضاعيف كلامه على العنوان في المقدمة ، فان ذلك لا يسوغ لنا ، الثقل بان ما ذكره في التعريف من كتب ، هو كل بناءته من العلم . كما لا ينبغي ان يخرب عن بالنا ، ان ابن خلدون اثبت فقط الكتب التي قرأها على اساتذته ، أو ألح عليها هو بنفسه في مرحلة البدا ، وأنه اطلع بعد ذلك على الكثير من الكتب في خزائن المغرب الاقصى والاندلس ، فضلا عن انه اشار الى عدم توفر الكتب في اثناء اقامته في قلعة ابن سلامة ، وأنه غادر القلعة بعد فراغه من التأليف ليراجع تأليفه على ((الكتب والدواوين التي لا توجد الا بالامصار (٦) .

مؤلفات ابن خلدون

ان ابن خلدون ، تجاهل الإشارة تماما الى المؤلفات التي ألفها في التعريف وفي (٧) المقدمة ، ولكننا نجد أن المقرئ التلمساني في كتابه (نفح الخليب) قد وقف على هذه المؤلفات

-
- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) نفسه : ١٦ . | (٢) نفسه : ١٨ . |
| (٣) نفسه : ١٦ . | (٤) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٠ . |
| (٥) نفسه : ٢٢ . | (٦) التعريف بابن خلدون : ٢٣٠ . |
| (٧) ينظر : نفح الخليب : ١٨٠/٦ - ١٨١ ، وقد ذكرها نقلا عن (الاحاطة في اخبار غرناطة) لابن الخطيب ، وتتميد محقق المقدمة للدكتور وافي ضمن الجزء الاول ١٠٢/١ وما بعدها ، وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده : ١٨٨ (بحث منشور) ، ومفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ٢٠ . | |

ريبدران المؤلفات التي ألفها ابن خلدون ، لم تكن ميسرة لنا ، فإليك كتب مفقودة نسويها إلى ابن خلدون ، لكننا لم نصل إليها ، ربي :

- ١ • تلاميذ الكتاب ابن رشد .
- ٢ • تلميذ في الحساب .
- ٣ • شرح بديع البردة .
- ٤ • شرح أرجوزة لابن الخطيب في أصول الفقه .
- ٥ • كتاب في الحساب .

وقد ذكر صاحب الأعلام ، أن من كتب ابن خلدون (شرح جردة) ، وكتاب (الحساب) ، رسالة في (المثلث) (١) .

أما المؤلفات التي وصلت إلينا فهي :

- ١ • كتاب المحصل في أصول الدين : ريبدران هذا الكتاب من أول المؤلفات ابن خلدون ، فقد ذكر في آخره أنه فرغ من تأليفه في التاسع والعشرين من شهر صفر سنة (٧٥٢هـ) (٢) .
- ٢ • شفاء السائل لتتذيق المسائل : وقد ألف ابن خلدون هذا الكتاب ما بين (٧٧٤ - ٧٧٦هـ) (٣) .
- ٣ • تاريخ ابن خلدون ، كتاب الخبر ودبران الجنداء والخبر في أيام الحرب والحجم والبربر من عاصره من ذرى السلطان الأكبر . وقد شرح ابن خلدون بتأليف هذا الكتاب في نهاية عام (٧٧٦هـ) (٤) ، ورتبه على مقدمة وثلاث كتب :
- ١ • المقدمة : في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاحمه وإلحاح بمغالط المؤرخين .
- ٢ • الكتاب الأول : في العمران وذكرنا يصرنا فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعادن والمناخ والعلوم وما ذلك من العلل والأسباب .

(١) ينظر : الأعلام : ١٠٧/٤ .
 (٢) ينظر : كتاب المحصل : ١٢٥ .
 (٣) ينظر : شفاء السائل من مقدمة المحقق للكتاب .
 (٤) ينظر : التعريف بابن خلدون : ٢٢٦ - ٢٢٦ .

والكتاب المتداول الآن باسم (المقدمة) هو اجتماع الخدمة في فضل علم التاريخ ، مع الكتاب الاول في العمران المشار اليهما آنفا • وقد طبع الكتاب طبعات عديدة منها طبعة الدكتور علي عبد الواحد وافي (١) •

٣ • ١ الكتاب الثاني : في اخبار الحرب واجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة الى هذا العهد وفيه الاطلاع الى قسم من عاصرتهم من الامم المشاهير ودولهم مثل البيط والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقيط واليونان والروم والترك •

٤ • والكتاب الثالث : في اخبار البربر ومن اليهم من زبانت ، وذكر اوليتهم وآجياتهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول (٢) •

٤ • المقدمة : وقد أتم ابن خلدون كتابة مقدمته في منتصف عام (٧٧٩هـ) (٣) ويقول في معرض حديثه في اقامته في قلعة ابن سلامة وتأليفه للمقدمة : ((فأقمت بهـا اربعة اعوام ، متخليا عن الشواغل كلها ، وشرعت في تأليف هذا الكتاب ، وأنا مقيم بهـا ، واكملت المقدمة منه على ذلك النحو الخريب ، الذي اهتمت اليه في تلك الخلوة ، فسالت فيها شآبيب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتحنت زبدتها ، وتألفت نتائجها)) (٤) •

٥ • التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا : وكان هذا الكتاب (جزءا تابعا) (٥) للبربر منذ ان ألفه ابن خلدون ، وجاء تحت عنوان (التعريف بابن مؤلف هذا الكتاب) (٦) • وتعريف مستفيض بسيرة المؤلف ، وما عرض له من تلقي انوار كاشفة على عصره ، ويبدو ان رحلة ابن خلدون الى المشرق وما رافقها من احداث ، قد أملت عليه ضرورة تسجيله ، مما زاد في حجم هذا الجزء ، وأدى به الى التعديل على العنوان

(١) طبعت (مقدمة ابن خلدون) طبعات عديدة منها طبعة باريين باغتناء كاترمير ، ١٨٤٧ — ١٨٥٨ م • في ثلاثة اجزاء ، ومنها طبعة بولاق باشراف نصر الهوري ، ١٢٨٤ هـ — ١٨٦٧ م ضمن كتاب العبر وطبعة بيروت بأشراف رشيد عطية وعد الله البستاني ، ١٩٠٠ م ، وطبعة القاهرة ١٩٣٦ ، وطبعة مصر ، ١٣٢١ هـ — ١٩٠٤ م منقولة عن طبعة بولاق وغيرها ، ينشر في البحوث المقدمة ذخائر التراث العربي الاسلامي : ١٠٨ •

(٢) وقد طبع تاريخ ابن خلدون عدة طبعات ، ويقع في سبعة مجلدات ، ينظر الطبعة الثالثة منه ، بيروت (دار الكتاب اللبناني) ، ١٩٦٧ •

(٣) ينظر : المقدمة : ٣٥٥/٤ • (٤) التعريف بابن خلدون : ٢٢٨ — ٢٢٩ •

(٥) تقديم محقق التعريف بابن خلدون : ص (يز) • (٦) نفسه •

- المذكور أعلاه (1) (التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب برحلته غربا وشرقا) (1).

تأليف ابن خلدون

عن المسير حقا ، حضر تلاميذ ابن خلدون ، لأن من اعتذر أصلا حصر الميدان الذي تضمن فيه رجل ذو انتظامات متعددة مثله • فقد كان ابن خلدون من المفكرين والمؤرخين الحرب والمسلمين ، وكان استاذنا للفلاسفة والمؤرخين الأوربيين الذين بحثوا في الشؤون الاجتماعية والسياسية والفلسفية والتاريخية والعرقية •

ومن عرف عظم انتمهم من تلاميذ ابن خلدون ، وانهم تأثروا به تأثرا كبيرا •
انهم ابن الأزدق والمقريزي ، وغيرهم من عثونا بزم بيو غيات كتب التراجم :

- ١ ابن الأزدق : شرح ابراهيم بن علي بن محمد بن الأزدق (٢) •
- ٢ المقريزي : شرح احمد بن علي بن عبد القادر ، ابو حبان (٣) •
- ٣ البدر الدمايني : شرح محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن سليمان جعفر ، فخر الشرف بن الحسين أو الشريف بن الهمام بن التاج بن الحسين الخزومي الدمايني (٤) •
- ٤ ابن جماعة : شرح محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد ، الكفائي الحموي الحموي (٥) •
- ٥ ابن عزوق الحفيد : شرح محمد بن أحمد بن محمد الشاذلي بن بابن عزوق الحفيد (٦) •
- ٦ البساطي : شرح محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم بن قديم ، ابراهيم بن الله البساطي (٧) •

(١) نفسه •

(٢) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٢/٦٩٩ وما بعدها •

(٣) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٢/٢١ •

(٤) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٩/٦٢-٦٤ •

(٥) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٧/١٧١ •

(٦) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٥/٤٢٠-٤٢٢ •

(٧) يندرج ترجمته في نفح الثيب : مج ٧/٥ •

نكر ابن خلدون في خلال آراء الدارسين فيه :

١ : أنوما كتب عن ابن خلدون ، ولكن شخصية مثل شخصه ، لا تزال الكتابة مستمرة
عزرا ، من المفكرين السياسيين بما يتألق في عقولهم وقلوبهم فحيي نبع ثري فياض ، وأكثر
ما رفع من الباحثين موقع الحداثة المرتكك الدوانب التي ابتكر درسها ، فأصبح بذلك من
أول روادها في عالم الاجتماع والنقد التاريخي • وابن خلدون - كما نعلم - من الشخصيات
المتفردة في تاريخ الفكر الإنساني والأدب العربي ، لا يبتلى جده ، ولا ينضب معين الحديث
في شأنه • فلا يزال المتأمل له ينطرح على جديد فيه ، يستحق الوقوف عنده •

كما أن درسه وتقني وجود حياته والتغلغل قدر المسامع في بواطنها واجب علمي ،
يفرضه الوفاء للعلم والقيام بحقه ، ولابن خلدون جوانبه الكثير وآفاقه العديدة التي
تكشف عن عمق أصيلة ، جعلته من الأعلام البارزة في حياة الإنسانية عامة ، بما استنبط
عن قوانينها ، وما ابتكره من منهج مهد به لما جاء بعده من رجال الفكر • وقد استطاع
بما يملك من قدرة فائقة على النفاذ في بواطن الأشياء ، وتبين دقائقها ، أن يصهر مختلف
الثقافات في بريقته ، ليظهرها بلمعة ، ويسبح عليها خصائص شخصيته •

عرف عن ابن خلدون ، أنه مؤرخ عميق الرؤية في تحليل الأحداث ، وصاحب منهج متميز
في سرائر فلسفة تلك الأحداث ، ومقدته المشهورة خيرة ليل على هذا القول •
انجل الذين ترجموا لابن خلدون ، عن القدماء والمحدثين ، قد اعتمدوا على ما أورد
عن نفسه في كتابه (التمهيد لابن خلدون ورحلته غربا وشرقا) (١) •

وقد كتب كثير من العلماء العرب والأوروبيين أبحاثا مستفيدة عن حياته وتراثه الفكري ،
وماهجه في دراسته ، وتكاد تتفق هذه الأبحاث في فكره التاريخي والسياسي والاجتماعي
والفلسفي ، ونفحاته التشريعية إلى الأمور ، وحرصه على الملاحظة والمشاهدة ، واهتمامه
بالمقارنة ، واستفادته من الخبرة والممارسة ، وتصوره للمعرفة المتطورة ، وذلك من خلال

(١) ينشر على سبيل المثال على الحصر : دائرة المعارف الإسلامية : مج ١ / ٤٦٠ - ٤٦٨ ،
والإعلام : ١٠٦ / ٤ - ١٠٧ ، والمشرق الألع : مج ٤ / ١٤٥ - ١٤٩ ، ودراسات عن مقدمة
ابن خلدون : ٤٧ وما بعدها ، أدب ابن خلدون : ٤٦ وما بعدها (بحث منشور) •

دراسة القديسة التي تعد حدثاً مهماً في عالم التأليف العربي ، وإبداع طائفي من
الروائع المعاصرة ، وهي موسوعة طيبة ونحيم للتاريخ . تلك البحث في العمران
البحري ، إلا عد حلالهم مجربات التاريخ ، لهذا هي الباء من لدينا وحديثاً بدراسة
موضوع ابن خلدون من قبل مقدمه (١١) .

ولذلك ((اتجهت الدراسات الحديثة ، في الآم الآداب ، إلى بيان أصالة
الفكر هذا الرجل ، ورافقة بشرياته ، والاسادة به كفكر مدع (٢) لم يصفه أحد
من المتقدمين عليه ، يونانيين أو اسلاميين ، إلى كثير من علماء القراء أدلى بها
في ميدان السياسة والاجتماع والاقتصاد ، بل أن كثيراً من الذين اتجهوا هذا
الاتجاه بأخذين بحقيقة (٣) مسلمة ، أن الفكر الهنري لم يفتن إلى الحقائق
الاجتماعية والسياسية التي كشف عنها ابن خلدون ، إلا بعد صدير مقدمته بأكثر
من سبعة قرون (٤) .

أن الدراسات الحداثوية ، تلاثت في الشرق والغرب آثاراً ملحوظة ، ولكننا
نسير إلى اسم الدراسات التي عطلت في تصورنا ضاهج بيارات معزة في دراسته
فبالاحد أن هناك دراسات اعتدت الطرح الرصفي في دراستها لطهج ابن
خلدون (٥) . وهناك دراسات اعتدت المراجعة بين ابن خلدون وعلماء الفلاسفة
والاجتماع والتاريخ (٦) . كما أن هناك دراسات استلعت أن تضع القدمة لـ

١١) ينسب في دراسة القديسة وما تشتمل من موضوع التاريخ والعمران الهنري ، على سبيل
المثال لا الحصر : الفكر الراقعي عند ابن خلدون : ١٢ وما بعدها ، والعمران
الهنري في مقدمة ابن خلدون : ١٥٢ وما بعدها ، المذهب التاريخي : ١٩٥ وما
بعدها ، الاشكاليات التاريخية : ١٤٤ وما بعدها .

(٢) الفصح : فكرياً مدعاً . (٣) الفصح : حقيقة . (٤) العصبية والدولة : ٩ .
(٥) ينسب على سبيل المثال لا الحصر : دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٤٧ وما بعدها ،
العلاقة بين خلدون : ٤١ وما بعدها ، وميرجان ابن خلدون ، منطقته (كلية
الآداب جامعة محمد الخامس ، بمشاركتة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قدماء
مؤلفي ادريس بقماس) (مايو ١٩٦٢) نشر وتوزيع - دار الكتاب - الدار البيضاء ، ابن
خلدون الفكر العربي الاصيل : ٢٢ وما بعدها .

(٦) ينسب على سبيل المثال لا الحصر : ابن خلدون (حياته - تراثه الفكري) - محمد
عد الله علان - ٢ - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٣٨٥ هـ
- ١٩٦٥ م ، الاشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون - د .
عد القادر جخلول - ط ٤ - ١٩٧٧ - دار الحداثة للنسرة والتوزيع ، لبنان .

المعروف بالحكماء من التاريخ والمعرفة ، وذلك في إطار المنهج العقلاني النقدي (١) .

يحتفي ابن خلدون في مقدمة البحث عن القوانين التي تحكم السلوكيات الاجتماعية بكثير من الاستدلال عليها ، ولذلك نجد عناوين كثيرة كلها تقريباً ، هي قوانين تقدم طوائف العمل كنه ما يشتهرنا عطياً وبسارياً ومالياً ، ويبدوان بهذه القوانين لسواهم الاجتماعية لم يغلن لها أحد قبل ابن خلدون ، ولذلك يعد علمه هذا في كشف تلك القوانين عملاً عبقرياً ، ورائعاً تأمل طليل في : أهرام عمران واللوصول الحى هذا العلم وقوانينه .

فتح القفول الخفية من المقدمة وصلة ابن خلدون بالدرس اللغوي : لقد اعتمد كثير من العلماء والمؤرخين للحركة العلمية والأدبية في مقدمة ابن خلدون في شرح العلوم الحديث كان للمقدمة أثراً في النشر العلمي والسياسة والاجتماع والتاريخ ، فقد اتسم أسلوبها بالتمثيل والتحرر من ائقال السجع والبديع والمروسة والاتساع لتعبير عن المعاني التي تجل في النفوس .

ومنذ نصف قرن تقريباً بدأت المطابع تكثُر من طبع الكتب اللغوية والأدبية بأهل الحثقة على اقتنائها ، وكانت مقدمة ابن خلدون منها ، فشاركت في النهضة والتأثير .

ثمة حقيقة أكد على ابن خلدون ، وكان كثير من الفلاسفة اليونان والمسلمين قد رددها من قبل ، وفادها ان الانسان كائن اجتماعي بالطبع من جهة ، ومفكر ومنتج للمعرفة من جهة ثانية .

يحكم ابن خلدون اصناف العلوم الواقعة في عمران من قسمين : (٢)

١ . صنف طبيعي : هو العلوم الحكيمة الفلسفية التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركه البشرية الى موزعاتها ومسائلها والمسائل بما هي ووجه تعلمها .

(١) ينطوي سبيل المثال لا الحصر : الفكر الواقعي عند ابن خلدون : ناصر ٢٠٠٥ ١٩٨٥ دار الطليعة - بيروت ، العصير والدولة - محمد عابد الجابري - ٥٠٠ - ١٩٩٢ مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ، ونظرة المعرفة في مقدمة ابن خلدون - د . بلحم قربان - ط ١ - ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٩١/٣ - ١٩٢ .

٢ • صنف نقلي وضعي : يشمل العلوم المستندة الى الخبر عن الراضع الشرعي ، ولا مجال فيها للمغال الا في الحقائق الفرع من مسائلها بالاصول •

ويضاف الى هذا التصنيف ، الموقع الذي عينه ابن خلدون لعلوم اللسان العربي ، وهو موقع على جانب كبير من الانسية ، اذ جعلها من العلوم العقلية الراضعية المستندة الى الخبر عن الراضع الشرعي اولا ، وجعلها تالية على الشرعيات من الكتاب والسنة ثانيا • وفي هذا يقول : ((اصل هذه العلوم العقلية كلها في الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي عشرة لنا من الدرس ، وما يتعلق بذلك من العلوم التي توثقها للاستفادة ، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي ، الذي هو لسان الله به نزل القرآن)) (١) •

وقد أكد ابن خلدون هذا الترابط الوثيق بين علوم اللسان العربي وعلوم العربية في مواضع عدة من المقدمة ، لحل أبرزها ما جاء في مستهل الفصل الذي عقده لعلوم اللسان العربي (٢) •

ولذلك نجد ، ان علوم اللسان العربي في نظر ابن خلدون ، كنيرها من العلوم الواقعة في العمران البشري نتاج طبيعي لا تعمي ، يخضع لرايين التقدم والا انحطاط ، وهي من العلوم الوضعية العقلية المأخوذة عن واقعها الفعلي ، كما ان معرفتها ضرورة على اهل العربية ، لان مأخذ احكام العربية كلها من الكتاب والسنة وقد جاء في مقدمة العرب •

اما لغة ابن خلدون بالدرس اللغوي ، فهي تتفح بحسب ما حدثنا في دراساته وثقافته وعرفنا انه قرأ القرآن الكريم بالقراءات السبع ، ودرس الفقه والعلوم ، ولا سيما العلوم العربية ، التي تعلمها على والده واشتاتته ، وبعد ، فظه الشعر • نستنبط تمكنه من اللغة والادب ، من خلال كلامه في مقدمته على العلوم اللسانية التي درسها دراسة عربية بأرائه ونظراته ، دالة على تبهره بداية هذه العلوم وتطورها ومعرفته بأماط مراجعتها ، وبأجر المؤلفين فيها ، وكان كلامه على اللغة وتحديد له وللغة اللسانية ، كلاما ينم على تبهر واطلاع واطلاع باللغة العربية وعلومها •

(١) المقدمة : ٣ / ١٩٢ •

(٢) ينظر المقدمة : ٤ / ١٢٥٤ •

يتضح من ذلك ، ان ابن خلدون ، لم يكن عالما احتدعيا وتاريخيا ضليعا بحسب ، بل كان اينا لغويا ساذقا وعارفا باللغة وعلوم اللسان وخصائصها واسرارها ، ثم لم يكن عالما لغويا جامعاً في ندر عصرنا الحاضر ، بل انه قد أثار السبيل لمن بعده ، وكان بذلك في الميعة عصره سواء في العالم العربي أو في غيره .

ان ملاحظاته في اللغة لم تبلغ من العمق ما بلغت نظرياته في التاريخ والا اجتماع وذلك لانه كان يدرس لغته الخاصة ، ويهتم بما يسعه من اللغات الاخرى التي يعلم انها أثرت في العربية من قبله ، وقد أكد ان اللغة تنشأ في نطاق معين ثم تنتشر وتتغير ، وان تلك التغيرات مرتبطة بالزمان والمكان كما يبدو من اختلاف اللهجات وأقتباسها بعضها من بعض ، ولو آمن ابن خلدون مدرسة ، لصقلت نظرياته وتطورت ، لانه فطن لكثير من المشكلات وعرف كيف ييسطها ، فانه يحتل مكانه بين افكار المبكرة في ميدان اللغة ، شأنه في سائر العلوم الاجتماعية .

فابن خلدون عندما نحرف في مقدمته ، علوم اللسان العربي ، ومنها علوم اللغة ، ببضعة فصول ، لم يكن خالي الذهن من الجهود اللغوية التي انجزت في المشرق والمغرب . بدليل اشاراته المثنية الى الكثير من هذه الجهود في معرض كلامه على علوم اللغة .

وعلى الرغم من ان الجهود اللغوية في عصر ابن خلدون ، كانت قد وصلت حدود الاشباع التام ، نجد ما يؤكد استناد ابن خلدون الى تراث لغوي ثرو ومتنوع ، أتاحت له فرصة كتابة بضعة فصول عن علوم اللغة ، على جانب كبير من الاهمية ، مستفيدا من هذه الجهود ، ومتجاوزا بعضها في الوقت نفسه .

لقد نالت قضايا اللغة مكانة مرموقة رفيعة في جهود الكثير من المتكلمين الاصوليين والفلاسفة والمناطقة ، واللغويين بميعة الحال . وقد كان النباين في المسائل المثيرة لدراسة القضايا اللغوية لدى هؤلاء ، راضحا جدا من خلال المنهج والفرش . ان ان الدرس اللغوي ، لم يكن موضع اهتمام المختصين (اللغويين) بل اهتم به غير المختصين كالمتكلمين والاصوليين والمناطقة والفلاسفة وعلماء الاجتماع وغيرهم ، فكان ابن خلدون - عالم الاجتماع الكبير - من الذين انصب اهتمامهم على الدرس اللغوي ، وقام بدراسته وتحليله وفقا لنظريته الاجتماعية ، ان البحث في اللغة عند علماء العربية يختلف من حيث المنهج والفرش عن بحث علماء الاجتماع

وغيرهم ، لأن علماء العربية (اللغويين) ، يكون منهجهم قائماً على الوصف والاستقرار في حين نجد منهج علماء الاجتماع — ومنهم ابن خلدون — قائماً على النظرة الاجتماعية للغة وللشواهد عامة، وعلى الرغم من ذلك نجد منهج ابن خلدون في علوم اللسان العربي، منهجاً تتعاقب فيه المنهج التاريخي والتحليلي ، لأنه كان معتمداً على الغيـــــر ويميل إلى التلخيص ، ويتضح ذلك عندما يتكلم على تاريخ علم من علوم اللسان العربي يعود إلى بضع مئات من السنين ، وهذا من حيث المنهج التاريخي ، أما المنهج العلمي التحليلي ، فنجد فيه ابن خلدون يعتمد على الوصف الواقعي المجرد ، ثم بعد ذلك يلجأ إلى التحليل .

ان اتجاه ابن خلدون إلى التأريخ لعلوم اللسان العربي ، على أنها بعض العلوم الواقعة في العمران ، يحتم علينا ضرورة النظر إلى منهجه التاريخي التحليلي على أنه منهج ينتمي إلى دائرة المناهج الاجتماعية في التأريخ والدراسة .

الفصل الأول

اللغة

البحث الأول طبيعة اللغة

عرف ابن خلدون اللغة بقوله ((أعلم ان اللغة هي التعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن تقصد لافادة الكلام ، فلا بد ان تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها ، وهذا اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم)) (١) .

من خلال هذا التعريف نلاحظ ان ابن خلدون قد اهتم بوضع الحدود ، وكما نعلم ان العرب عرفوا منذ وقت مبكر ب (الحدود) أو (التعريفات) ، ومما عنايتهم بالحدود فاننا لا نجد تعريفاً للغة - فيما نعلم - قبل القرن الرابع الهجري ، ونعتقد ان أول من عرف اللغة هو ابن جني (٣٩٢ هـ) في كتابه الخصائص (٢) .

ومن الملاحظ ان الذين جاءوا بعد ابن جني مع عنايتهم بموضوع فقه اللغة ، لم يعرفوا اللغة (٣) . ومع ان ابن جني أول من عرفها ، فان تعريفه اياها (يشير دةشة الباحثين البعيدين عن تطور الحياة العلمية العربية ، لانه يقترب اقتراباً شديداً من كثير من تعريفات المحدثين ولا نعلم يدرك مع علم جوانب التعريف التي مرادها (علم اللغة) في العصر الحديث)) (٤) .

لقد عرف ابن جني اللغة بقوله (اما حديثاً : فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن افراسم) (٥) ، والتأمل لهذا التعريف يجد الاشارة الرئيسة التي قام عليها ، منها : ان بيعة العربية لغة وهي رمز صوتية (وهذا يستبعد الخطأ الشائع الذي يفترض ان اللغة هي جوهرية كاشرة مكتوبة) (٦) . وهذا دليل على

-
- (١) المقدمة : ١٢٥٤/٤ .
 (٢) الخصائص : ٣٣/١ ، وينظر فقه اللغة في الكتب العربية : ٥٩ - ٦٠ .
 (٣) نلاحظ ان فارس والشمالي بعد ابن جني قد عنياء وضع فقه اللغة الا انهما لم يعرفا اللغة .
 (٤) فقه اللغة في الكتب العربية : ٥٩ .
 (٥) الخصائص : ٣٣/١ .
 (٦) مدخل الى علم اللغة : ١١ .

ان علماء اللغة كانوا يدرسون اللغة من حيث كونها مفردة لأنها ((اولا وقبل كل شيء نظام من الرموز السمعية))^(١) ، والدلائل في ندر الاغنية الحديثة ، صوتية (مداورة) تبين ان تكون مكتوبة والدليل ان الانسان لم قبل ان يكتب^(٢) .

يذهب تعريف ابن جني ايضا الى الترفيف الاجتماعي للغة ، وهي التعبير ونقل الأفكار ، وأخرى تستخدم في مبحث ، فكل قوم لغتهم وهذا يعني أن تعريف ابن جني تعريف قائم على الاتصال باللغة وليس تعريفا مستوحى من خارجها (تعريف جامع مانع فهي أصوات رمي أداة تعبيرية . قوم بعينهم لتعدد اللغات والانسان في اللغة ذلك التعبير عن مختلف الاغراض)^(٣) .

ومع أن معجم اللغويين بعد ابن جني ، قد اقتتروا اثره في حده للغة ، نجد بعضهم يقيدنا بأنها اللغة الموضوعة للمعنى ، دون ان يبين ذلك تعبيرا عن المعنى ، وأداء لغوي معين ، فقد ((قال ابن الساجب في مختصره : حدد اللغة كل لفظة وضع للمعنى ، وقال الاسنوني في شرح منهاج الاصول : اللغات عبارة عن اللفاظ الموضوعة للمعاني))^(٤) .

وعند رافقنا الى معنى اللغة لغة ، في الكتب العربية ، نجدها قد وردت في المعاجم بمعنى الكلام ((وهي فحلة من لغات ان تكلمت اصلها لغوة ككرة ، رقعة ، وثبة كلها لاماتها واواوات))^(٥) ، جاء في كتاب ((الكلبيات))^(٦) ((اللغة في (الترانز) هي اصوات بها يعبر كل قوم عن اغراضهم . اصلها (لغوي) أو (لغوي) بجميعها (لغوي) و (لغات)))^(٧) . وجاء في كتاب ((التعريفات))^(٨) اصطلاحا

- (١) علم اللغة العربية : ١٠ .
- (٢) تعريف اللغة في سورة الاسمية : ٥٦ (بحث منشور) .
- (٣) نشريات نشأة اللغة عند العرب : ٩٩ (بحث منشور) .
- (٤) الزهر : ٨/١ ، وينشر : نشريات نشأة اللغة عند العرب : ٩ (بحث منشور) .
- (٥) لسان العرب : مادة (لغ) ، وينشر : مادة (لغوي) في تهذيب اللغة والمحكم ، المخصص : المقدمة ٦٤-٧ ، الزهر : ٧/١ .
- (٦) وهو معجم في المصطلحات والشرق اللغوية لابي الرقاء ايوب بن موسى الحسيني الكوفي (١٠٩٤ هـ - ١٦٨٣ م) .
- (٧) انكليبات : ١٧٠ .
- (٨) كتاب تعريف المصطلحات اللغوية لابي الحسن علي بن محمد بن علي البرجاني المعروف بالسيد الشريف .

((شي ما يحبر بها كل قوم عن اغراضهم)) (١) .

وعندما نعود الى تعريف ابن خلدون للغة رضى ((عبارة المتكلم عن مقصوده ،
تلك العبارة تحمل لساني ناشئة عن القصد لا فائدة الكلام ، فلا بد ان تصور ملكة
متحركة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان ، وهو في كل امة ، بحسب
اعطالاتهم)) (٢) نجده قد ادرجت تحته قضايا عديدة (٣) ، منها : ان اللغة
هي وسيلة التعبير عن الانسان التي بها يحبر عن اغراضه ، والتي تميزه من
الكائنات الاخرى ، فهي تحقق الاتصال بينه وبين افراد بيئته ، وهذا تكمن اهميتها ، وقد
جسد ابن خلدون هذا المفهوم (وهو كون ، اللغة وسيلة التعبير عند الانسان) في
عدة مواضع من مقدمته ، فأشار الى ذلك بقوله ((كل نهم (اهل المذهب
والاندلس والمشرق) متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا
معنى اللسان واللغة)) (٤) ، فاللغة لا يستفيد منها متكلمها في الابانة عما في
نفسه ، الا اذا وجدت لتحقيق التواصل (٥) . وهي التي تحمل افكار الانسان
ومراميها وتظهرها للوجود ، وتوصلها من المتكلم الى السامع ، وقد اشار ابن
خلدون الى ذلك بقوله ((المتكلم يقصد به (بالكلام المطبوع) ان يفيد سامعه ما
في ضميره افادة تامة وبدل به عليه دلالة وثيقة)) (٦) وكذلك قوله ((واللغات اما
هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني يؤديها بعض الى بعض بالمشافهة

-
- (١) التحريفات : ١٠٨ .
(٢) المقدمة : ١٢٥٤ / ٤ .
(٣) وقد اشار الى ما يتضمنه تعريف ابن خلدون للغة من قضايا ، كل من الدكتور محمد
عبد في كتابه (الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون) : ١٠٨ - ١٠٩ ، وكذلك
الدكتور ميشال زكريا في كتابه (الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون) : ١١ - ١٤ .
(٤) المقدمة : ١٢٧٤ / ٤ ، وينظر مثلاً : فقه اللغة المقارن : ١٦٩ ، فقه اللغة في
الكتب العربية : ٦٩ - ٧٠ ، مدخل الى علم اللغة : ١١ - ١٢ ، تعريف اللغة في
نظر الالسانية الحديثة : ٥٦ - ٥٧ (بحث منشور) ، التطور اللغوي : ٥ ، التفكير
اللساني في الحضارة العربية : ١١٩ ، فقه اللغة العربية وخصائصها : ٢١ - ٢٢ ،
علم اللغة : (الضامن) : ١٣٥ ، اللغة والمجتمع (اسحران) : ١٢ .
(٥) ينظر الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ١١ - ١٢ .
(٦) المقدمة : ١٣٠٨ / ٤ .

في اللغة، وانه ليس عبارة ابداعية في مفهوم اللغة بل انه يمارس الدوران على ذلك^(١).
 يعتمد ابن خلدون على هذا ما يوافق بهما فيقول ان من رتب اللغة في وسيلة
 التمييز والتمييز.

فان اللغة التي هي لغة تتغير، وتكون لغة من دلالات ومعاني
 تتغير، وتتغير الى اللغة من رتب اللغة (الاصوات) وتلك
 هي غاية التكميم، فالاصوات الخارجية التي يحددها الخطر تحصل ما يدور في
 ذهن من افكار ودلالات ومعاني، هذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله ((واللغة
 اجزاء من اللغة كذا السطح كذا والتركيب في غاية السهولة))^(٢).

التأثير الثاني الذي يحدده التأمل في تعريف ابن خلدون للغة، هي
 ان اللغة الانسانية تحمل بؤبؤ الانسان هو لسانه، هذا ما اشار اليه ابن
 خلدون بقوله ((وتلك العبارة فعل لسان نائمة عن القصد لا فائدة الكلام، فالابد
 ان تعبير ملكة متحركة في الحرف الفاعل لها وهو اللسان^(٣)، ومن ان ما يـراد
 باللسان في تعريف ابن خلدون هو الحرف الخارج - ((الصفة الانسانية نشاط
 انساني يحدده الفكر الانساني وهي، في دور ابن خلدون، ناجمة عن^(٤) تصميم
 ذاتي، فالانسان يستعمل اللغة للتعبير عن مراقبه من الحروف المحيطة به،
 فهي، بالظن^(٥)، عمل عقلي وفعل يقع يقوم به كل فرد بما يقصد استعطائها^(٦)،
 ثم ان هذا العمل المتحد (اللسان) لابد ان يدير ملكة متحركة في اللسان وهو
 الحرف الفاعل لها، ويعني هذا ان القدرة على التكلم تأتي نتيجة ملكة لسانية
 يكتسبها الانسان، ثم يحددها بقدرة على التكلم، اذن فاللسان، من خلال حد ابن
 خلدون، ليس ملكة مستقرة في اللسان (الحرف الخارج الفاعل لها)، وهي
 قبل كل شيء ملكة كاشية، وبؤبؤ اساسي وتكون غيرا، فان اجتماعي لملكة اللغة

(١) المقدمة : ١٢٥٠/٤ •

(٢) المقدمة : ١٢٦٢/٤، ريدو : الملكة الانسانية في اللغة ابن خلدون : ١٢ •

(٣) المقدمة : ١٢٥٤/٤ •

(٤) الخديج (من ك)

(٥) الخديج (من ك)

(٦) الملكة الانسانية في مقدمة ابن خلدون : ١٢، ريدو : الامنية عند النحاة

الحرف : ٥٩ وما بعدها (بعض النسخ)

... (١) .

... (٢) .

... (٣) .

(١) مقدمة : ١٢٦٢/٤ ، ريدار : الطلعة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ١٢-١٣ .

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ١١١ .

(٣) نسخة اللغة لابن خلدون : ٢٨ (بعث غشور) .

رأى من الدكتور عبد الباقى المزيور الى ان ثبوت ان المحدثين للغة واللغة
 من مائة سنة كانوا الكثير انما هي لغة قديمة ، وان هذه اللغة ببسب
 انما كانت اللغة (و هي اللغة عما في اللغة) . ورا الى ذلك بقوله
 (ان من بين المحدثين من من لم يدر لغة العرب ، ويدر لغة الكثير الانساني قديما
 وحديثا ، فمما تميزوا به) . وبقوله هذا المحدثون انما على العديد للغة باعتبارها
 عبارة المتكلم عن مقوده (انما) و (انما) ، وهذه العناوين
 المحدثين من لغة الانسانية ، فالتقدم هو الفاء بين ما هو لغوي وما
 هو من حيث اللغة والمادة لا يمكن اعتبار لغات الحيوانات ، مثلا أن ما يفتش
 به الجار من لغات فهو لغة كالحمار أو المنيور من باب اللغة . والافادة
 هي بمثابة غاية من استعمال اللغة واعراض المتكلم عن نوع من البحث يودعه
 المحدثين بتجانبه أو ربي . ما به بالضرورة . وانتظام . ان فهم المتكلمين بعضهم
 بعد ما يدور ما يورس في نظام) (١) . و هو انما بحث المذكر ، ان ما قدمه ابن
 خلدون من مباح (النظام) هو ما قدمه اللسانيون في حديثهم في رتيقة
 اللغة وهي (التوافق) لان اللغة عندكم مؤسسة اجتماعية ولا يفتها التوافق (٢) .
 ثم ذهب الدكتور عبد الباقى المزيور الى بحث قوله ، الى ان تعريف ابن
 خلدون للغة كان تعريفيا ، لا فقهيا ، بل لغويا ، وأداتها (٣) . ثم
 ذهب الدكتور عبد السلام النعاش الى ان تعريف ابن خلدون للغة تعريف جامح
 لا يميز بين القواعد منها التعريف والتوافق والتقدم الاجتماعي ، وأشار الى ذلك بقوله
 (ان مفتاح الدور العلمي في شأن اللغة النسانية يأتي عند ابن خلدون في
 استقر التعريف الذي يحدد به اللغة . ويستند هذا التعريف الى كل
 عناصر التشكيك الاعتباري اذ يستلزم جهة من القواعد اسمها التسميات والتواصل
 والتقدم الاجتماعي) (٤) . وذكر بان هذا هو محورية المبرقي ذويب الى ان ابن
 خلدون في تعريفه للغة كان يدور حولها دائرة عالم الاجتماع لباحث عن الاسباب

- (١) ابن خلدون علوم اللسان : ٨ (بحث منشور) .
 (٢) يدر : ابن خلدون علوم اللسان : ٨ (بحث منشور) .
 (٣) يدر : مباح (اللغة) و (اللسان) عند ابن خلدون : ٢٨ (بحث منشور) .
 (٤) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٥ (بحث منشور) .

والحسيات . من السواط المعروفة داخل إطار السراج البدني فأشار الباحث
المذكر إلى هذا بقوله ((بن خلدون هذا التعريف فلا بد أن ابن خلدون ركز
الاهتمام على البعد الاجتماعي للغة • (قوي عبارة انتمكم من مقصوده) ثم (هي
لويكن لغة بحسب استعمالهم) (١) • واعتبار اللغة انما لها بين القيم الذين
يتكلمونها يدل على تصور عبق بدورنا الاجتماعي • ريثما علق هذا الشخص
بذير اللغة الاجتماعي قول صاحب المقدمة في سياق آخر (واللغات انما هي
تربوا من غري الفخار من المعاني يؤديها بعض إلى بعض بالمشافهة) • فاللغة اذن هي
جسر التواصل بين افراد المجتمع اذ برامضتها يستلزم الانسان التعامل مع
الغير الانسان ، فالانسان مدني الساج وسوغي حاجة الى غيره من بني جنسه
لتحقيق حياته ولتقاء حاجاته ، واللغة هي الوسيلة بين هؤلاء الناس الذين
يسعون الى التعارف مع بعضهم البعض من اجل تلبية ابقاء • بهذه الطريقة
يولد ابن خلدون - لغة اللغة بقانون الحاجة ، ذلك القانون الذي جعله
صاحب المقدمة الدليل الرابع لكل واحد المجتمع تقريباً)) (٢) •

ريثما نقتطع علماء اللغة المعاصرين ، نرى انهم قد اتفقوا على طبيعة
اللغة بوصفيتها وثابتها فبعد مثلاً الدكتور بسام بركة في كلامه على تعريف
اللغة في دار الالمانية الحديثة يبين ان اللغة مدلول وان وظيفتها الاساسية
هي الاتصال أو التبادل ثم الوظائف الاخرى ومنها التعبير عن الافكار ، ثم ذكر
ان علماء الالمانية قد اهتموا بهذه الناحية حتى انهم يحرفون اللغة بأنها
(وسيلة تبادل ذاتي) (٣) • وقد ذهب الدكتور عظمي خليل الى ((ان الفكر
التعبير شيء واحد وان اللغة في الحقيقة ما هي الا امر مدلول بحيث اننا
لا نستطيع ان نضع حداً عاماً بينهما ، ولتستطيع القول : ان هنا ينتهي التفكير
ومن هنا تبدأ اللغة كما اننا لا نستطيع ان نعتبر (٤) احدى هاتين الظاهرتين
واسطة والاخرى غاية ، اذ انهما في الواقع شيء واحد احدهما امتداد للآخر)) (٥)

- (١) في الاصل (لغة الاحاطهم) •
- (٢) نظرة ابن خلدون في اللغة : ١٠٧ - ١٠٨ (بحث منشور) •
- (٣) بندر : تعريف اللغة في دار الالمانية الحديثة : ٥٦ - ٥٧ (بحث منشور) •
- (٤) الفايح (نحد) •
- (٥) اللغة والفكر (عظمي خليل) : ٥٨ - ٥٩ (بحث منشور) ، وينظر : اللغة والفكر
(قوري : منشور) : ١٢٧ •

أكد الدكتور رومان عبد التواب في ان الربطة الأساسية للتعبير والتفاهم
عالمية، في اللغة، ويتبادل الأفكار في اللغة وهي مادة اجتماعية عرضة للتطور
والثبات في منطقة واحدة، شأنها في ذلك شأن التوافق الاجتماعي الأخرى (١).
أكد الدكتور عبد الحميد محمد حسن خلال ندوة على تشرق الباحثين
المشورين في القرن العشرين بين اللغة والكلام، إلى ان اللغة هي نظام
من الرموز الصوتية وتؤدي المعاني المختلفة (٢). أما الدكتور ميشال زكريا فقد
أكد ان أهمية اللغة تكمن في كونها تنبع للانسان عذبة التوافق بينه وبين
أفراد بيئته وتتمثل في التعبير عن أرائه وتطلباته وإيمانه للأخرين ومن خلال
ذلك يحقق الانسان ذاته داخل المجتمع (٣). وأكد أيضا ان اللغة تدرس على
أشياء واقع قائم بذاته، مستقل عن فكر الانسان ونشاطه. ذهب إلى ان دراسة
اللغة تأخذ اتجاهين مختلفين : من حيث هي بنية وتقدم يحدد هذه البنية
ومن حيث هي وسيلة تواصل (٤). وأشار أيضا إلى ان اللغة تستعمل أداة يتوصل
بها الانسان لانسان عملية التواصل بينه وبين أفراد بيئته، مؤكدا ان اللغة لا تقتصر
على أداء هذه الوظيفة، الا ان التواصل يبقى المظهر الاستعمالي الاساسي
للغة، وان الدلالات والمعاني تنقل من خلال هذا التواصل اللغوي
الإشارات الصوتية، موضحا ما تقتضيه عملية التواصل انساني من توافر عوامل
أخرى : انسان موصل، ومقتضى، وإقامة الاتصال بين المرسل والملتقط، ولغة
مشتركة يتكلمها المرسل والملتقط معا، ووسيلة لغوية، ويحتوي لغوي ترمز
إليه الوسيلة (٥).

أكد الدكتور يوسف غازي اللغة مستعينا بتعريف الالمني أندريه
مارتينيه Andre Martinet ، وهي ان اللغة أداة تواصل، اذن فقد
جسدوا وليفتوها الأساسية والبيديرية (٦).

- (١) يندثر : التاريخ اللغوي من أواخر عظمه وقوانينه : ٥٠ .
- (٢) يندثر : علم اللغة النفسي : ٢٩-٧٠ .
- (٣) يندثر : الالمنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام : ١٩ .
- (٤) نفسه : ٤٠ .
- (٥) نفسه : ٤٧-٥٣ .
- (٦) يندثر : مدخل إلى الالمنية : ٧٦-٨٩، ويذثر : لغة اللغة العربية وخصائصها :
٢١ - ٢٢ .

في كتاب التكميل بمحمد بن يوسف بن محمد الأندلسي في تحديد طبيعة
اللغة من يختارها عندما أكد أن اللغة هي التي يملكها التوكيد التي تتداخل بها
التي هي من نوع التوكيد التي تتلصق بالصفات والخصائص اللغوية (١). ثم
عاد ليقرر أن اللغة هي من حيثها أنما هي من حيثها ، راداة عناعية تساعد
على التمييز ، راداة لتجديد الأفكار في اللغة (٢) .

وعندما نلقى محمد بن محمد الأندلسي في اللغة أو اللغات ، نجد أنها قد
حددت اللغة من حيثها ، راداة لتجديد الأفكار ، ثم اردفت هذا الحد
أو التعريف تعريفًا آخر ، هو تعريف يعرف به هذا : (اكتسبت حلقة الدائرة
منها من حيثها من اللغة) — على حد قول الدكتور عبد السلام العبدى (٣) —
فاللغة تعرف كشيء بالإنسان التي تتكون بها ((وهذا) اعتبار ينتهي كل تصور
للغة أو ادراك لها ، الذي يميز تراكيبها بين كونها يتحاوران بالسلام
ويشاعران فيه ، وإن تصور اللغة يشايعها ينتهي في أنها أن تكون هي نفسها
غاية ، أساس في راجعة أداء)) (٤) .

من خلال استعراضنا لأراء علماء اللغة المحققين باللغة ، وجدنا وبينهم
من يختارها راداة لتجديد الأفكار من تعريف ابن جني راداة على تعريف ابن خلدون للغة
وانتقاهم بطلان اللغة المحققين والذين عثروا بدراسة اللغة في دور الاستيعاب
الحديثة ، ومن خلال دراستنا المقدمة ابن خلدون راداة على ما قاله في
اللغة ، يتضح أن تعريف ابن خلدون للغة بناءً على تعريف ابن جني في أكثر
المرجع أن كان أكثر تشبيهاً وأوضح تمييزاً لتبعية اللغة عن رسومها المدونة
بالحرف أو (بالكتابة الصوتية) وذلك عندما قال : ((اللغة هي الحروف عليه)) (٥)
كما يتضح من خلال التصريف ، أن ابن خلدون لم يميز بين اللغة بلغة إنسانية
محيطة بل عرف اللغة كعبارة إنسانية عامة عند الإنسان يتحقق لغة خاصة عند كل
شعب من الشعوب ، فاللغة الإنسانية لغة خاصة بالإنسان وتتوحد بتوحد الشعوب
والعقائد الإنسانية .

- (١) يشار : سيكرولوجية اللغة والمعرض الحقلي : ١٧ .
- (٢) نفسه : ٢٢ .
- (٣) مقالة : حد اللغة بين المعيار والاستعمال : ١ (بعد منشور) .
- (٤) نفسه .
- (٥) المقدمة : ١ / ١٢٥٤ .

فما يقع من سوء الفهم عند انقضاء ذلك الوقت، انما هو انقضاء السر
الذي كانت المصلحة فيه، والى ذلك يعود الخرافة المبرهن، وقد بين ان الانسان مدني
في جميع احواله، وانما هو مدني في جميع احواله، وليس مدني في احواله
فقط، بل هو مدني في جميع احواله، وليس مدني في احواله فقط، بل هو مدني في جميع احواله.

كما يحتاج أن تلبية علماء اللغة المحدثين عظمين من أن رغبة اللغة هي
الاعتماد على الحرف في النظام.

وكانت من النماذج التي اشتهرت في تدمر في اللغة، كان قد
 يتركهم ابن بلدون في اعتصامه فيها بعد ما عرف اللغة . ان ذكر الدكتور زكريا
 بن النماذج في كتابه (اللغة النماذج في لغة ابن بلدون) ، وروى بعد
 استعراضه الاسم تدمري في اللغة (1) ، الى ان ابن بلدون ، قد أُلهم
 بالاسماء النماذج الحديثة اللغة ، وذلك عند تعرفه اللغة ومن تلك المسائل
 التي اوردتها الدكتور زكريا :

- ١. الثلاثة تغييراً متتابعاً •
- ٢. التثنية في المضافات من يذهب إلى آخر •
- ٣. الثلاثة المبررات صحتهم على ثلاثة •
- ٤. المضافة ليس حقيقي •
- ٥. الثلاثة بنية مضافة •
- ٦. أربع المضافة المضافة •
- ٧. التثنية مضافة (٦) •

ربما يلاحظ في بيان السامعة النورية عند ابن خلدون ، قضية التفسير الج
الاسلامي كما يسميها الدكتور عبد القادر المروني (٣) فتارة يستعمل مصطلحي
(الشيعة) ، و (الاسان) و ربما اقترادان ، او بمعنى واحد ، فتارة يتفرد بـ (اللغة)
في مقامات دين (الاسان) • والتفتيح لا يستعمل ابن خلدون لفظة الشيعة الحيين
ربما اقترادان ، يريد أنه يستعملها عند ما يريد بديها بخاية والهدف منه صيا
الاسان لاجابة ما في النظر ، يأتي ذلك الاثار بقوله (فما أشل المشرق ماينة

١١ : الرسالة الى ابيديني قدمه من لندن : ١٤ - ١١ .

• 2 • 4

(١) **نظم** : ٤ : ١٠٠
(٢) **يذكر** : ٤ : ١٠٠ (اللغة) واللسان (عند ابن خلدون : ٢٠٠) (بحث منشور) •

(1)

منه من غير لغة ، من العرب ، كذا قيل الاندلس معربا ، ولكن من غيرهم
يعتبر من لغته التي تأدية بقوله : الابانسة مما في نفسه وهذا معنى اللسان
الابانسي (١) .

ثم يقرر كلام ابن خلدون بهذا ، ويدل على أنه لم يلقوا مترادفين لانزما
بمعنى واحد . ومن الابانسة مما في النفس ، والتأري ، المتنبى المقدمة ابن خلدون
منه من لغات كثيرة تتأري غيرها . ابن خلدون عذير المصطلحين ، ومما مترادفان
للسان تأري لغة اللسان التأري ، اللسان الحمير ، وتأري لغة التأري
أو لغة الحمير فيقول (٢) ولقد كان اللسان التأري مع لسان الحمير بهذه
التأري ، وتأريه عند كثير من موضوعات اللسان التأري وتعاريف كلماته ،
تأريه بذلك اللسان الموجودة لدينا ، وألا فمن يحكم التأري على انزما
حده واحدة ، ويتصل اجزاء اللغة الحميرية على مقاييس اللغة التأري
وغيره (٣) .

كذلك من استعمال ابن خلدون للمصطلحين بمعنى واحد أو عدول
إلى واحد ، عند به في لسان الطقة فيقول (٤) ثم فسد اللسان الحميري (٥) ويقول
تأريه التأري (٦) ففقدت لغتهم (٧) .

اذن ما فائدة هذا الازدواج الاصطلاحي ؟ هذا السؤال المتوارد في ذهن
التأري ، ولكن لا أنصفنا الدور في هذه السياقات السابقة وتأملنا بها ، نجد
أن ابن خلدون كان حقا في استعماله لمصطلحين (اللغة) و (اللسان)
بمعنى واحد ، وذلك لأن الفرض دائما ؟ والنهاية دائما . كما ذكرنا - هي
الابانسة مما في النفس ، اذن هناك مجموع لاستعمال عذير المصطلحين
يشد الاتصال ، والامثلة التي ذكرناها تدل على اختيار ابن خلدون الواعي
في استعمال عذير المصطلحين (٨) .

-
- (١) المقدمة : ١٢٧٤/٤ .
(٢) المقدمة : ١٢٧٢/٤ .
(٣) المقدمة : ٨٠٩/٢ .
(٤) المقدمة : ١٢٨٥/٤ .
(٥) يقول : مصطلحا (اللغة) و (اللسان) عند ابن خلدون : • (٦) بحث منشور .

في إذا أضفنا إليه في ذلك ما بين يدينا نجد أنه قد تكرر
 في (الكتاب) في حياته ذلك ما بين احتمال (الكتاب) ، وذلك عندما
 يورد (الكتاب) بعض أدوات اللغة التي كانت في ذلك الوقت في حيزها
 في (١) ، فإذا أراد ابن خلدون أن يحدد هذه اللغة (أداة أو سبباً)
 في (الكتاب) ، فمن أثره ، فإنه يسمي من الاسم المستعمل في (الكتاب) (٢) ،
 والكتاب (٣) ، لأن في مقابلة بين النظم (الكتاب) والكتاب (الكتاب) (٤) ، وقد
 استعمل ابن خلدون هذا الاسم في مقابلة حين قال : ((لم أر احتمال
 النظم العربي من حكاية النظم واللغة العرب يعرفها في لغاتهم)) (٥) .

لأن فقد استعمل بعض (الكتاب) تمييزاً عن (الكتاب) ، إذا أراد به
 ((الكتاب)) أداة اللغة التي كانت في زمان ثم يحذف . وهذه المقابلة بين
 (الكتاب) (الكتاب) ، ابن خلدون النظم الذي كان في (الكتاب) ، تتجسد
 أيضاً في هذه اللغة التي كانت في زمان ((حكاية النظم عن لغة)) (٦) مشيراً إلى
 في (الكتاب) ، ثم يقول : مستعمل النظم بدلوه ((وإن كل لغة بحسب
 أصلها)) (٧) .

ومن الأمور التي تثير في (الكتاب) من (الكتاب) ، تنوع الاحتمال في
 في (الكتاب) ، أن ما يسميه النظم في (الكتاب) ، وهذا يتوارد عند القدماء ،
 في (الكتاب) من (الكتاب) يورد ابن خلدون (الكتاب) فكان ابن خلدون قد
 اختار أن يسمي في هذا الاحتمال . ومن الملاحظات التي تدل على هذا الاحتمال
 نراه : ((الكتاب) كانت لغة عربية (الكتاب) العربية (الكتاب)) (٨) .
 في (الكتاب) ، وهذا يعني ، أن في (الكتاب) ، في (الكتاب) التي أصل
 في (الكتاب) ، عربية في (الكتاب) كان في (الكتاب) ،
 في (الكتاب) على (الكتاب) ، أن قدمت (الكتاب) (الكتاب)
 في (الكتاب) (٩) .

- (١) : في : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) ، عند ابن خلدون :
 (٢) : (بحث منشور) .
 (٣) : في : (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ٣١ (بحث منشور) .
 (٤) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .
 (٥) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .
 (٦) : (٥) : (٦) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .
 (٧) : (٥) : (٦) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .
 (٨) : (٥) : (٦) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .
 (٩) : (٥) : (٦) : المقدمة : ٧/١ ، وكتاب (الكتاب) (الكتاب) (الكتاب) : ١٢٦٩/٤ .

المبحث الثاني علوم اللغة

من العلوم التي لا غنى عنها في حياة الإنسان، وخصوصاً في حياة العرب، اللغة العربية. وقد اهتم العرب منذ القدم بدراسة اللغة العربية، فكانت اللغة العربية لغة العلم والادب، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث ازدهرت العلوم العربية في مختلف المجالات. وقد اهتم العرب بدراسة اللغة العربية، فكانت اللغة العربية لغة العلم والادب، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث ازدهرت العلوم العربية في مختلف المجالات. وقد اهتم العرب بدراسة اللغة العربية، فكانت اللغة العربية لغة العلم والادب، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث ازدهرت العلوم العربية في مختلف المجالات.

ومن العلوم التي لا غنى عنها في حياة الإنسان، وخصوصاً في حياة العرب، اللغة العربية. وقد اهتم العرب منذ القدم بدراسة اللغة العربية، فكانت اللغة العربية لغة العلم والادب، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث ازدهرت العلوم العربية في مختلف المجالات. وقد اهتم العرب بدراسة اللغة العربية، فكانت اللغة العربية لغة العلم والادب، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث ازدهرت العلوم العربية في مختلف المجالات.

- (١) يفرق : اسماء العلوم : ٥٧ .
- (٢) اسماء العلوم : ٥٧ - ٥٨ ، ويذكر : علم اللغة العربية : ٦٨ .
- (٣) يفرق : الادراك للسان الاقواس : ٦١ ، وعلم اللغة العربية : ٦١ - ٧٠ .
- (٤) يفرق : الادراك للسان الاقواس : ٦١ .
- (٥) المقدمة : ١٢٥٩/٩ .
- (٦) المقدمة : ١٢٦٧/٩ .
- (٧) مقدمة .

تقدم في كتابي السابق هذه العلوم بأعلى درجاتها كمالاً ، فكانت جديده
في هذا المجال فورا بعد ما كتبه .

تقدم رجلان : أحدهم العلوم اللسان العربي كمالاً في مقدمته تحت
بيان (أن في علم اللسان العربي) (١) ، وقد استعمل المصنف (علم اللسان
العربي) في مقدمة علم هي (اللغة ، والنحو ، البيان ، والأدب) (٢) .
وتتأرجح على هذا التقسيم ، وإن تشييه لهذه العلوم بتدوينها ليست جديدة
بل هي تصاريف طويلاً بعد التداوم كما ذكرنا آنفاً ، ولكن قد أدرك أهمية كل
إحدى هذه ، ونجى بقربها باللسان ، والعلاقات الربانية بينها (٣) طريقة تعبيره
عن ذلك فربما أحيانا يوضح من نزلة الكتبي برواية الخبر والاحداث التي
بوقفة المتكبر الذي ينفذ إلى ما هو منها علم في سيرته (٤) (٥) .

التأمل في المصنف هذا يدل بوضوح أن ابن خلدون قد عرض علم اللسان
العربي رضي اللغة ، والنحو ، والبيان ، والأدب ، وقد ذكرها مجودة عن كل
رسم طائفة ، ثم يأتي على (تنارت مراتبها في الترفيع بحقوق الكلام) (٤) ، ويخلق
ذلك بما ((يتبين في الكلام طويلاً غناً)) (٥) ، ومعنى هذا أنه قد أدخلها
في تعداد الفنون ثم بعد ذلك تتأرجح بالتفصيل ، وقد جعل لكل واحد منها
كلمة (علم) فصار (علم اللغة ، وعلم النحو ، وعلم البيان ، وعلم الأدب) . ونحن
كما نعلم أن هذه المصنفات قد استحصلت مكرراً ، ولكن ، بيد ، أن ابن خلدون
من أول من جعل هذه المصنفات بكلمة (علم) وهو اندثار هذه الراجح
أن سبب ذكر ابن خلدون لكلمة (علم) ، هو أنه من الفصل (في علوم
اللسان العربي) ، فلما جعل القول غيراً ذكر كلمة (علم) مع كل فرع منها (٦) .

-
- (١) المقدمة : ٤ / ١٢٥٤ .
(٢) نفسه .
(٣) ابن خلدون : علم اللسان : ١٠ (بحث منشور) .
(٤) المقدمة : ٤ / ١٢٥٤ .
(٥) نفسه .
(٦) يشار : لغة اللغة في الكتب العربية : هامش ٢٦ .

... (١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ... (٥) ... (٦) ... (٧) ... (٨) ... (٩) ... (١٠) ... (١١) ... (١٢) ... (١٣) ... (١٤) ... (١٥) ... (١٦) ... (١٧) ... (١٨) ... (١٩) ... (٢٠) ... (٢١) ... (٢٢) ... (٢٣) ... (٢٤) ... (٢٥) ... (٢٦) ... (٢٧) ... (٢٨) ... (٢٩) ... (٣٠) ... (٣١) ... (٣٢) ... (٣٣) ... (٣٤) ... (٣٥) ... (٣٦) ... (٣٧) ... (٣٨) ... (٣٩) ... (٤٠) ... (٤١) ... (٤٢) ... (٤٣) ... (٤٤) ... (٤٥) ... (٤٦) ... (٤٧) ... (٤٨) ... (٤٩) ... (٥٠) ... (٥١) ... (٥٢) ... (٥٣) ... (٥٤) ... (٥٥) ... (٥٦) ... (٥٧) ... (٥٨) ... (٥٩) ... (٦٠) ... (٦١) ... (٦٢) ... (٦٣) ... (٦٤) ... (٦٥) ... (٦٦) ... (٦٧) ... (٦٨) ... (٦٩) ... (٧٠) ... (٧١) ... (٧٢) ... (٧٣) ... (٧٤) ... (٧٥) ... (٧٦) ... (٧٧) ... (٧٨) ... (٧٩) ... (٨٠) ... (٨١) ... (٨٢) ... (٨٣) ... (٨٤) ... (٨٥) ... (٨٦) ... (٨٧) ... (٨٨) ... (٨٩) ... (٩٠) ... (٩١) ... (٩٢) ... (٩٣) ... (٩٤) ... (٩٥) ... (٩٦) ... (٩٧) ... (٩٨) ... (٩٩) ... (١٠٠) ...

... (١) ... (٢) ... (٣) ... (٤) ... (٥) ... (٦) ... (٧) ... (٨) ... (٩) ... (١٠) ... (١١) ... (١٢) ... (١٣) ... (١٤) ... (١٥) ... (١٦) ... (١٧) ... (١٨) ... (١٩) ... (٢٠) ... (٢١) ... (٢٢) ... (٢٣) ... (٢٤) ... (٢٥) ... (٢٦) ... (٢٧) ... (٢٨) ... (٢٩) ... (٣٠) ... (٣١) ... (٣٢) ... (٣٣) ... (٣٤) ... (٣٥) ... (٣٦) ... (٣٧) ... (٣٨) ... (٣٩) ... (٤٠) ... (٤١) ... (٤٢) ... (٤٣) ... (٤٤) ... (٤٥) ... (٤٦) ... (٤٧) ... (٤٨) ... (٤٩) ... (٥٠) ... (٥١) ... (٥٢) ... (٥٣) ... (٥٤) ... (٥٥) ... (٥٦) ... (٥٧) ... (٥٨) ... (٥٩) ... (٦٠) ... (٦١) ... (٦٢) ... (٦٣) ... (٦٤) ... (٦٥) ... (٦٦) ... (٦٧) ... (٦٨) ... (٦٩) ... (٧٠) ... (٧١) ... (٧٢) ... (٧٣) ... (٧٤) ... (٧٥) ... (٧٦) ... (٧٧) ... (٧٨) ... (٧٩) ... (٨٠) ... (٨١) ... (٨٢) ... (٨٣) ... (٨٤) ... (٨٥) ... (٨٦) ... (٨٧) ... (٨٨) ... (٨٩) ... (٩٠) ... (٩١) ... (٩٢) ... (٩٣) ... (٩٤) ... (٩٥) ... (٩٦) ... (٩٧) ... (٩٨) ... (٩٩) ... (١٠٠) ...

- (١) علم السلطان عند ابن خلدون : ٢١ (بمعنى مناور)
- (٢) المقدمة : ١٢٥٤/٤ •
- (٣) نفسه •
- (٤) نفسه •
- (٥) يدور : الملكة اللطيفة في دار ابن خلدون : ٢١ •
- (٦) علم السلطان عند ابن خلدون : ٢١ (بمعنى مناور) •
- (٧) يدور : علم السلطان عند ابن خلدون : ٢٣ (بمعنى مناور) •
- (٨) يدور : علم السلطان عند ابن خلدون : ٢٣ (بمعنى مناور) •

الذي ملكه راجعاً إلى ملكه المكنون من غير أن يملكه من اللغة
 الخاصة، لأن الضرر من الترخيص الكتابي لا يقتضي الدخول إلى
 فكرة التراب (١)، وذلك كان متقنياً في تقديم (علم اللغة) على (علم اللغة)، لأن
 (علم اللغة) يترجم بغير (علم اللغة) أو (علم اللغة) أو (علم اللغة) أو (علم اللغة)
 الترخيص يقتضي الدخول في الترخيص بسبب الاستشكاف، فكل من يملكه التقديم.
 راجعاً إلى ابن خلدون أن معرفة هذه العلوم ضرورية على أهل الشريعة لأن
 الترخيص من القرآن والسنة وسما بلسان الحرب وقد عارفاً المحاسبة والتابعين
 راجعاً إلى ابن خلدون راجعاً إلى ابن خلدون راجعاً إلى ابن خلدون (٢).

بدأ ابن خلدون في تقديم (علم اللغة) بمرافعة هذا العلم ثم تحريكه،
 كان هذا التحريف غاية في الدقة والتأويل. وينبغي أن هذا التحريف من ((اعتبار
 الضرر اعتباراً ليداراه لا يقتضي الدخول في الأمر بغير علم ابن خلدون بصحارى
 الكلام، وهذا معناه أن الضرر، يسمى إلى تأسيس (الخيار) انطلاقة من
 (الاستدلال) • وهذا التأسيس يداره استنباط (القرآن) التي تتحكم (الملكة)
 النظرية • فإذا بالضرر علم تبريد من نايته استخراج التأسيس الذاتية المحسوسة
 للحدث الكائن على لسان السيرة النظرية المتكلمة به، وهذا الاعتبار،
 تدرب العملية النظرية في اشتقاق التواضع الذاتية مجردة وهي التي يطلق
 عليها ابن خلدون أدق ما عرف فيها من ملاحظات، أو رومي (الكليات) (٣).

راجع من كلام ابن خلدون عن هذه العلوم، أنه أراد تأكيد الملكية
 الباهرة بيننا وبين (الملكة النظرية)، فبعد أن ذكر عند حديثه في دخول
 هذه العلوم في تفسير القرآن، أن هذه الملكة كانت فارة للحرب ثم عادت
 مناعة بعد تناسلها ((ثم عادت علم اللسان مناعة من الكلام في موضوعات اللسان
 اللغة وأحكام الاعراب والطلاقة في التراكيب، فوضعت أدوارين في ذلك بعد
 أن كانت ملكات للحرب لا يوجب غيرها إلى نقل ولا كتاب فتتوسل ذلك وصارت
 تنطق من كتب أهل اللسان فأحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن لأنه بلسان

- (١) يفسر: مفهوم الأدب في الكتاب الخلدوني: ١٢١ •
 (٢) يفسر: الخطة: ١٢٥٤/٤، يفسر: مفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني: ١٢٢ •
 (٣) علوم اللسان عند ابن خلدون: ٢١ (بحث في شرح)

لم يذكر ابن خلدون أن مادة اللغة لا تثبت إلا من طريق النقل من
 العرب ، إذ لم يكن ليروا هناك رجالاً الذين ، لأن النقل يكون على
 أساس الاستحسان لا على أساس راجح ، وذلك لأن اللغات لا تثبت ((بقياس ما
 لم تحرك استقامته على ما عرف استقامته))^(١) ، وإنما ابن خلدون في
 هذا العدد قد أثبت قضية مزمنة ولم يتناولها وهي قضية أصل اللغة
 وتأثيرها ، واكتفى بقوله أنهم (ومعناها)^(٢) ، وقد ألزمه الدكتور عبد القادر
 المزويري في هذا العدد ، فأشار إلى ذلك بقوله ((وبهذا الموقف يجتنب ابن
 خلدون قضية سلامة طرحها الفلاسفة قديماً ، فعاد إليها بعض النحاة وفقهاء
 اللغة في القرن الرابع الهجري خاصة ، وهي قضية أصل اللغة وقد طرحت للبحث
 عن أصول اللغة عامة واللغة العربية خاصة ، ولمعرفة هل أنها^(٣) توقيف
 أم أصلية ، وهي توقيف بالمعنى المقدمة من القول بأنهم (ومعناها) تحرر في
 التعبير غاية ابتغاء الدرس في ما لا يمكن إثباته بالحجة ، وعلى كل فـرـسـو
 باعتباره عالماً يتعامل مع ما ينبغي أن يدرك باعتباره موقفاً واقعياً فلا يخامر للدخول
 في موضوع يستحيل الخروج منه بطل)^(٤) ، أما العلم الثالث عن علوم اللسان
 العربي فهو (علم البيان) . راجع ما يتخذه هذا العلم ، حسب رأي ابن خلدون
 وما يندلج بأحوال الدلالة وديانها وما تتضمنها أقوال المتأخرين والفاعلين ،
 وبهذا أشار بطله ((ويبقى من الأمور المكتشفة بالترافعات المحتاجة للدلالة ،
 أحوال المتأخرين أو الفاعلين وما يقتضيه حال الفعل))^(٥) . ومن الملاحظ أن
 ابن خلدون ، أطلق مصطلح (علم البيان) على علوم البلاغة ، وكما نعلم أن
 البحث البلاغي أو العلم البلاغي تتضمن علم البيان ، علم المعاني ، وعلم
 البديع ، وهذا يعني أن ابن خلدون يطلق على العلم الكلي (البلاغة) علم
 البيان وموارد علوم البلاغة ، في حين يطلق على علم البيان (البلاغة) أي يسمي
 الجزء باسم الكل ، والكل باسم الجزء ونحله اقتضى في ذلك كما يرى الدكتور

- (١) المقدمة : ١٢٦٢/٤ .
 (٢) نفسه ، ويندر : ابن خلدون وعلوم اللسان : ١٦ (بحث منشور) .
 (٣) الفصيح (هي) .
 (٤) ابن خلدون وعلوم اللسان : ١٦ (بحث منشور) .
 (٥) المقدمة : ١٢٦٣/٤ .

هذا الاسم المسمى ، فخرج السكاكي في تقديم علوم البيان (١) ، وقد ذكر
ابن خلدون ان المصنف كتب كثيرا على هذه الخطب البلاغية الثلاثة
(علم البيان ، علم المعاني ، علم الالفاظ) ، اسم البيان ، وذلك لان المقدمين
انما اشبهوا به (٢) .

يذكر ان ابن خلدون لم يجد هذا العلم عند ائمة قبل القرن السادس ، بل
انه تمكن تدريجيا وروى مسائله شيئا فشيئا يكتسبا . فحق عن سابق الى ان
((سائر السكاكي زبدة)) (٣) ، كما يقرن ابن خلدون ، مذهب مسائله في كتابه
(الافتاح) ، ثم جاء من بعده المتأخرون وأخذوا هذا العلم به ، وألفوا
فيها ، منه الامارات التي كانت تتداوله في عهده ، راجع الى ذلك ابن خلدون
بذيله ((مقدمة مسائل البيان)) اربعة بعد الفهرست ، وفيه خبر جعفر بن يحيى
الاجلبي ، وقدامة رعايته في الامارات اربع رابعة فيها . ثم تزل مسائل الفن تكمل
شيئا فشيئا ، الى ان وصل السكاكي زبدته ، مذهب مسائله ، رتب ابوابه
على ما ذكرناه انما بن القزويني ، وألف كتابه المحصور بالافتاح في النحو
والتصريف والبيان ، فجعل هذا الفن من بعض اجزائه ، وأخذ المتأخرون من
كتاب ، واخصوا به اميات هي تتداوله لهذا العهد ، كما فعله السكاكي (٤) في
كتاب التبيان ، وابن مالك في كتاب المصباح ، وجلال الدين القزويني في كتاب
الايضاح والتلخيص وهو اصغر حجما من الايضاح (٥) ، وهذا يعني ان ابن
خلدون ، قد اعتبر السكاكي وكتاب (الافتاح) ((العلم الذي انتهت اليه الرئاسة
في هذا الباب)) (٦) .

ومن الملاحظ في هذا النص ، ان ابن خلدون يذكر رواد علم البلاغة امثال
الجاحظ وقدامة بن جعفر وجعفر بن يحيى ولكنه غفل عن ذكر رائد كبير من رواد

- (١) ينظر : المقدمة : ٤ / ١٢٦٤ ، وعلوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٣ (بحث منشور) .
- (٢) ينظر : المقدمة : ٤ / ١٢٦٥ ، وما مر محقق المقدمة : ٤ / ١٢٢٩ .
- (٣) المقدمة : ٤ / ١٢٦٥ .
- (٤) هذا وهم وكما اشار الدكتور علي عبد الواحد في هامش [١٢٦٥] ، ان سياق الكلام يدل على ان الاسم بحرف عن اسم اخر ، وربما يكون المقصود به (شرف الدين الخليلي ت (٧٤٣هـ) صاحب كتاب (التبيان في علم البيان) .
- (٥) المقدمة : ٤ / ١٢٦٥ .
- (٦) ينظر : علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٣ (بحث منشور) .

البلاغة ، له الفضل في نشأة علم المعاني وعلم البيان ، وهو عهد القاهر الجرجاني وغفل عن ذكر كتابيه (دلائل الإعجاز) ، و (اسرار البلاغة) (١) ، وكذلك غفل عن ذكر ابن سنان الخفاجي وأبي هلال العسكري ، وكما نعلم ان عهد القاهر الجرجاني له فضل كبير في نشأة هذه العلوم وقد جسدنا في كتابيه المذكورين . وربما يرجع سبب اغفال ابن خلدون عن ذكر عهد القاهر الجرجاني ومؤلفاته ، عدم اطلاعه مباشرة على جهود الجرجاني ، ومعرفة به هذه الجهود من خلال السكاكي ، لما دفعه الى السن بان جهود الجرجاني لا تختلف عن جهود بعض من ذكرهم كالباحث وقداسة (٢) .

والقارىء المتتبع للمقدمة ، يرى ان ابن خلدون قد ذكر في موضوع (علم البيان) صناعة هذا العلم وذكر اعمى يدلان على الطلقة العامة ، وهذا يعني ان تحديد ابن خلدون للموضوع وابعاده ، يتم على نفاذ بصره وجرأة رأيه ، والا بر الا ان المتعلق بمفهوم الملكة هو ذكره ان اهل المشرق كان لهم قدم سبق في تناول هذا العلم بكل فروعه ، وهم اقدم من المخرية ، في حين ان المخرية قد تناولوا علم البديع فقط ، وابدعوا فيه ، وفرعوا له القابا ، وعددوا أبوابا ، ونوعوا انواعا ، فالموضوع عنده هو صناعة كمالية والصنائع الكمالية تتم ، عنده بوجود العمران ، والمشرق اكثر عمراننا من المغرب ، وأشار الى ذلك بقوله ((والعناية به لهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليم منه اكثر من غيره ، وبالجولة فالشارقة على هذا الفن اقدم من المخرية . وسببه والله اعلم انه كمال في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق او فر عمراننا من المغرب كما ذكرناه . أو نقول لعناية العجم وهم معظم اهل المشرق ، كتفسير الزمخشري وهو كله يعني على هذا الفن وهو اصله ، وانما اختص باهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الادب الشعرية ، وفرعوا له القابا وعددوا أبوابا ونوعوا انواعا . وزعموا انهم أحصوها

- (١) ينشر: هامش محقق المقدمة : ١٢٦٥/٤ ، والذي ذكر فيه اغفال ابن خلدون عن مرحلة حاسمة من مراحل تكوين علوم البلاغة قبل السكاكي ، وهي مرحلة عهد القاهر الجرجاني وكتابيه (دلائل الإعجاز) ، و (اسرار البلاغة) ، وينظر ايضا : مفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٢٢ .
- (٢) ينشر : مفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٢٢ - ١٢٨ .

من لسان العرب • وإنما جعلهم على ذلك النوع بترتيب الالفاظ ، وأر علم البديع
 سهل المأخذ • وصحبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة سائرهما ومغروس
 حائنها فتجافوا عنها • وعن ألف في البديع من اهل افريقية ابن رشيق
 ركتاب (المدة) له بشرير • وبشرير كثير من اهل افريقية رأى تدل على (نحاه) (١) •
 والامر الثاني المتعلق بفهم الملكة هو موضع الاعجاز القرآني الذي
 ذكره ابن خلدون ، وأكد بأن ثبوته هي في فهم الاعجاز من القرآن ، اذن فقد
 لغت الدار الى انه لا يمكن الحديث في (علم البيان) بفحص عن قضية الاعجاز
 وذلك بقوله ((وأعلم ان شدة هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن)) (٢) •
 وذهب الدكتور عبدالقادر العويدي الى ان ((تاريخ هذا العلم لا يكتمل الا اذا ربطنا
 بين نشأته وتكون مادته بأثار الذين كتبوا في الاعجاز ولئن كان لمؤلفين مثل
 الجاحظ أو قدامة بن جعفر أو غيرهم ممن لم يذكرهم ابن خلدون فضل المساهمة في
 جعل ملامحه تتبلور تدريجيا بتقديم بعض معطياته تقديم يمكن من اعتبارها
 مقدمات لفن جديد ، فان فضل الذين كتبوا في الاعجاز هو في توفير جانب هام
 من مادته باستخراج فنون التعبير والتصوير وتحليلها وتسخيم اسباب الابداع
 فيها ، وليس من دليل أقوى على ذلك أن المصنف الذي يسمى ابن خلدون (علم
 البلاغة) عدين بوجوده الى عهد القاهر النجرجاني وكتابته دلالة الاعجاز)) (٣) •
 وهذا يدل على ان ابن خلدون كان يرى ان اعجاز القرآن قائم على بلاغته ،
 ولذلك بحث على الاطلاع على التفاسير التي تتذج النهج البلاغي في كتاب
 (الكشف) للزمخشري • واهمية بلاغة الاعجاز عند ابن خلدون تكمن في انتقاء
 الالفاظ وجودة الصرف ، وحسن التركيب ، وإدراك هذه البلاغة متوقف على الذوق
 ورقيه فهو لذلك يتوقف على العربية ومخالطة اللسان العربي ، والحياة بين
 العرب ، والمأخذ عنهم حتى تتكون له الملكة ، وكان يعتقد بأن نمو الذوق ، وبيان
 اللسان وبلاغة الكلام كل ذلك متوقف على البيئة فمن كان في العرب أو خالطهم
 فهو بليغ (٤) •

(١) المقدمة : ١٢٦٥/٤ - ١٢٦٦ ، وينصر : الملكة اللسانية في سر ابن خلدون : ١٢٧ •

(٢) المقدمة : ١٢٦٦/٤ • (٣) ابن خلدون وعلوم اللسان : ١٨ (بحث منشور) •

(٤) ينصر : المقدمة : ١٢٦٦/٤ ، واعجاز القرآن البياني : ٨ وما بعدها •

الذي هو من اعجاز القرآن في بلاغة القرآن وما ارادك هذا الاعجاز
 من ان يرقى الناس على ساحة اللسان العربي رحمت ملكته ، ولهذا
 انما هو من اعجاز القرآن في هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز عن القرآن لان اعجازه
 في قوله الله تعالى في جميع المقامات الاسرار والفرقة والفرقة ، وهي اعلى مراتب
 العرب ، مع انهم فيما يقتصر بالالفات في انتقائها وجودة وصفها وتركيبها ، وهذا
 من اعجاز القرآن في مقتصر الافراد عن ادراكه ، وانما يدرك بعض الشيء منه من
 تارة في رقى بمساحة اللسان العربي رحمت ملكته ، فيدرك من اعجازه على
 سائر الناس . فلهذا كانت تارك العرب الذين سمعوه ن بلغه اعلى مقامها
 في ذلك ، لم يسم فرسان الكلام وجهابذته ، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون
 راسخا . راسخا ما يكون الى هذا الفن المفسرون . واكثر تفاسير المتقدمين غفل
 عنه حتى لم يروا الى الزمخشري ووضح كتابه في التفسير ، وتتبع آي القرآن
 بأحكام هذا الفن بما يبدى البعض من اعجازه ، فانفرد بهذا الفضل على جميع
 الناس ، ثم انه يؤيد عقائد اهل الهدى عند اقتباسه عن القرآن بوجوه
 البلاغة ، ولاجل هذا يتحاشاه كثير من اهل السنة مع زعم بضاعته عن البلاغة
 ثم احسن عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشركين حتى يقتدر على الرد
 عليه من جدر كلامه ، أو يعلم انه بدعة فيعرض عنها لا تضر معتقده ، فأنسه
 يتعين عليه ان يروى في هذا الكتاب للفر بشيء من الاعجاز مع السلامة من البدع
 (راء ص ١١١) (١).

ان علوم اللسان العربي (النحر واللغة والبيان) هي اساس فهم كلام
 العرب وادراك مقامه ومعانيه ، فزيت تكسب الناصر فيها معرفة ودراية بلغة
 العرب وقدرته على استعمالها ، ومع ذلك كله فان اللسان عند ابن خلدون يحتاج
 الى علم رابع غير (علم الادب) (٢) .

والسلاحت على هذا المصطلح - علم الادب - أن ابن خلدون قد جمع بين
 العلم والادب فقال (علم الادب) ، على الرغم من أن غرض كل منهما مختلف عن
 الآخر ، وكذلك ينبغي انما ، وهذا ما لاحظته الدكتور عبد القادر المهيري وأشار

(١) المقدمة : ١٢٦٦/٤ - ١٢٦٧ .

(٢) يذكر : المقدمة : ١٢٦٧/٤ .

به بقوله ((رشيد راجع بين (العلم) و (الادب) أما ^١ . لانا يدرون
 العرب من ثمان غرضين ما يطهرون ما فحسب ، بل خاصة ما أعنه ابن خلدون
 عنه من أن (هذا العلم لا يوضع له يد في اثبات عريضة أو نفيها) ، وليس
 ضروري قبل علم النحر أو علم البيان يركز على مادة عينة لاستنباط خصائصها
 وقوانينها ، وانا هو تلك المعرفة التي تحصل بعد ممارسة تصوره وانقياسه
 يهديا الى الاجادة في فني المنظم والنثر ، ولعله يمكن ان نقول ان (علم
 الادب) معناه (معرفة الادب) ((١) .

اذن ابن خلدون يرى ان هذا العلم لا يوضع له وانا ((المقصود منه عند
 اصل اللسان ثمرته ، وهي الاجادة في فني المنظم والنثر على اساليب العرب
 ومناحيهم فيجمعون لذلك من كلام العرب ما علمه تحصل له المنة من شعر
 عالي القيمة وسجع متناثر في الاجادة ومائل من اللغة بثرة اشياء ذلك
 بفرقة يستقرى منها الناصر في الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من
 أيام العرب يفهم به ما يقع في اشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الانساب
 الشريفة والاخبار العامة . والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناصر فيه شيء من
 كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه ، لانه لا تحصل المنة
 من حفظه الا بعد فهمه ، فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ((٢) ، وهذا
 يعني أن ابن خلدون ، يرى أن الهدف من هذا العلم هو حصول المنة اللسانية
 وهذه المنة لا تحصل الا بحفظ الشعر والنثر ومعرفة القوانين العربية ، وإتمام
 العرب واخبارهم واساليبهم حتى يتم الحفظ ثم حصول المنة . وهو ((بهذا التحري
 الهدى يصيب ابن خلدون هدفه التعريفي المزدوج وهو : مجال العلم ، ثم
 حده بوليافته التي هي (ثمرته) وتتبعين بهذا (الاجادة) مما يحول الحاصرة
 المفوية الى وضع فني على نسيج الشعر والنثر ((٣) .

وكما نعلم ان ابن خلدون كان مهتما بوضع الحدود ، ولهذا حد هذا العلم
 بقوله ((الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم بطرف يريده
 من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث يتوينا فقط ، وهي القرآن والحديث)) (٤)

(١) ابن خلدون وعلوم اللسان : ٢١ (بحث منشور) .

(٢) المقدمة : ١٢٦٧/٤ . (٤) المقدمة : ١٢٦٧/٤ .

(٣) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٤ (بحث منشور) .

هكذا يعني أن ابن خلدون ، كما يرى الدكتور محمد ع ، يضع الاسس الرئيسية للمشتغلين بالادب أو أنها هوحف اشعار العرب واخبارها ، والاخذ من كل علم من علوم اللسان (النحر والبيان) ، والعلوم الشرعية (القرآن والحديث) وحفظ النصوص . وقد شاع بين المشتغلين بالادب في تعريفه لادب أنه يركز على تفسير الامر الاخير وهو (الاخذ من كل علم بطرف) ، ويعد ذلك تجاوزا كبيرا ومشكلا ، ويرون أن ابن خلدون ، يفسره بان المقصود من ذلك علوم اللسان كالنحو والبيان ، والقرآن والحديث ، بحفظ نصوصهما زيادة على معرفة بعض مصطلحات العلوم ، لان المتأخرين من ضعفاء الادب قد حشوها في اشعارهم واسجاعهم (١)

وقد ذهب الدكتور عبد القادر المهيري الى أن عادة (علم الادب) : ((ليست ناتجة عن تجريد كلام العرب لتصنيف النحويات المجردة أو استنباط القواعد والقوانين من الاستعمال ، وانما هو الاستعمال ذاته مثلا في روائع الشعر وما يحف بها من اخبار وجيد السجع ونقف من اللغة والنحو تجسم (معظم قوانين العربية) (٢)

ثم يذكر ابن خلدون ((أن اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي : ادب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفرع عنها)) (٣). اذن قد عد صاحب المقدمة هذه الكتب الاربعة هي اصول هذا الفن واركانه نقلا عن شيوخه ، وزاد عليها كتاب الاغاني (٤) . ويعني هذا أن ابن خلدون لم يغفل كتاب الاغاني من حيث كونه أحد أركان (علم الادب) ، وان لم يذكره مع اومات هذا العلم ، ولكنه قد شهد له في اثناء كلامه على الغناء وعلاقته بهذا العلم ، فقد ذكر أن ((الغناء في الصدر الاول من اجزاء هذا الفن لما هو تاج للشعر ، اذ الغناء انما هو تلحينه ، وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية يأخذون انفسهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وفنونه . فلم يكن انتحاله قادحا في العدالة والمروءة . فقد ألف القاضي

(١) ينشر: الطلعة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٢٨ .

(٢) ابن خلدون وعلوم اللسان : ٢٢ (بحث غشور) .

(٣) المقدمة : ١٢٦٧/٤ - ١٢٦٨ .

(٤) ينشر: المقدمة : ١٢٦٨/٤ .

أبرأ الخرج الأعجمي ، وموعا شع ، كتابه في (الآغاني) ، راج فيه أخبار العرب
 وأسعارهم وأنسابهم وأيامهم ودولهم وجعل منها على أجناس في المائة صوت
 التي اختارها المغنون للرشيد ، فاسترعب فيه ذلك أتم استيعاب وأرفاه ((١) .
 المثال في كلام ابن خلدون عذا ، يجد أنه قد جعل الغناء جزءا من
 الحضارة من الأدب وذلك لأنه تابع للشعر ، إذ الغناء عرثتين هذه
 الأسعار .

أذن (علم الأدب) يختلف عن العلوم الثلاثة (النحو ، واللغة ، والبيان) لأنه
 يعد ((سارة للفقرتين)) مختلفا (٢) واستعمالات مخصوصة لها ، أما
 تلك فهي وصف اللغة واللسان والكلام بتدوير معنى لهيته و (عقلنة) لمختلف
 جملاته ((٣) .

يرى الدكتور عبد النادر السويدي أن ابن خلدون قد رسم في فصل (علوم
 اللسان) ((صورة شاملة ومختصرة في آن واحد لحقول المعرفة المتصلة باللغة
 واللسان كما استقرت في الحضارة العربية الإسلامية)) (٤)

وبهذا قد تكامل هيكل المعارف اللغوية عند ابن خلدون - على حد
 قول الدكتور عبد السلام الحمدي من خلال الأسس الرباعية اللسانية (النحو ، واللغة
 والبيان ، والأدب) ، التي أسندت لقيام هذه المعرفة ، وقد تدرجت هذه الأسس
 ((في تفاعل عضوي يندرجها علم اللغة ، ويتناول المادة الفنية التي هي كالطاقة
 المعدنية في انجاز الماشرة اللغوية ، وثانيها علم النحو وموضوعه تركيب الكلام
 الذي يشر الطاقة التعبيرية وثالثها علم البيان ومداره حوال التخاطب مما يولد
 الطاقة التواصلية وأخيرا علم الأدب وبه تتفجر الطاقة لابداعية)) (٥) .

يرى الدكتور محمد عيد أن ابن خلدون من خلال عرضه علوم اللسان
 العربي واحدا فواحدا ، قد حرص على توضيح العلاقة بين كل علم من هذه

- (١) المقدمة : ١٢٦٨/٤ .
- (٢) الفصيح (امكاناتها) .
- (٣) ابن خلدون وعلوم اللسان : ٢٢ (بحث منشور) .
- (٤) نفسه .
- (٥) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٤ (بحث منشور) .

العلوم والقضية الأساسية (اللغة اللسانية) (١) .

أما الدكتور عبد القادر الميرى فيرى أن الدارس لا بد أن ابن خلدون يلاحظ ((أن صاحب المقدمة قد غفل أو سكت عن ركن من أركان هذه العلوم أو علوم من أعلامه أو تأليف من تأليفه النهائية ، فتصوره لعلم النحو مثلا لا يأخذ بعين الاعتبار (القسم الصرفي) ومن ثم لا يفي بالمجهود العظيم الذى بذل لضبط نظام الوحدات المفيدة وتصنيفها حسب شبكة من الأوزان قل أن نجد نظيرا لها في علوم اللسان الأخرى ، وتخصيصه بالذكر ، بعض المؤلفات دون أخرى في (علوم اللغة) أو (علم البيان) ، مثلا لا يبدو مادرا عن ضبط كتاب المقاييس الاختيار)) (٢) . وبعد هذا الدحض والاخذ الذى أخذه الباحث المذكور على ابن خلدون ، والذى كان مصيبا فيه ، يحزر ويؤكد أن الباحث عندما يريد أن يبدى رأيه في عمل ابن خلدون يجب أن يلاحظ ظروف التأليف ومنهجه ، فيرى أن مقدمة ابن خلدون ثرة معانية لسير المجتمع ، لأن صاحبها - وهو عالم الاجتماع - همه البحث عن العلامات البارزة والمؤشرات الحاملة لمغزى ، وهذا لا يأتي إلا إذا تمكن تجاوز الجزئيات أو انتزعية بعض العناصر التي لا تغيد أكثر من لا يفيد غيرها مما اختاره أو احتف به ، وهذا فهو يرى أن ابن خلدون قد وفق في رسم صورة تأليفية أجمالية لكل علم من علوم اللسان العربي ، تفي به هيته ومنهجه وتاريخ التأليف فيه (٣) .

ومن القضايا اللغوية التي تناولها ابن خلدون في مقدمته ، قضية اكتساب اللغة ، ومعلوم أن اللغة مزنة إنسانية يكتسبها الإنسان اكتسابا طبيعيا ، وقد عالج ابن خلدون هذا الاكتساب ، وتأثير عماره في اللغة اللسانية ، لأن اللغة عنده لغة إنسانية يكتسبها الإنسان وأشار إلى ذلك بقوله : (أن اللغات لما كانت ملكات كما مر ، كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات)) (٤) .

فواضح أن ابن خلدون يرى أن الإنسان يتكلم لغة تكلمها طبيعيا وذلك

(١) الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٢٨ .

(٢) ابن خلدون وعلوم اللسان : ٢٣ (بحث منشور) . (٣) نفسه .

(٤) المقدمة : ١٢٧٥/٤ .

الأفعال ، لأن الفعل يقح أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم تكرر فتكون حالة ،
 ومعنى الحال أنها صفة راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة^(١) .

وهكذا تمر ملكة اللغة عند رسوخها في داخل الإنسان بمراحل ثلاث :-
 الصفة ، والحال ، والملكة ، وهي في تدرجها هذا ترسخ لحامل الزمن ، إذ بمرور
 الزمن يزيد الإنسان تكلماً من اللغة بكثرة السماع والتمرين والتكرار حتى تتمكن من
 النفس وترسخ فيها ، والملكة إذا تمكنت من النفس ورسخت بدت كالطبع والجليلة
 ولهذا يشير ابن خلدون إلى عدم الوقوع في الخطأ شأن بعض المغفلين الذين
 عدوا اللغة للعرب بالأصل لجهلهم بخصائص الملكات ((ولذلك يظن كثير من
 المغفلين من لم يعرف شأن الملكات ، أن الصواب للعرب في لغتهم أعرباً
 وبلاغة أمر طبيعي ، ويقول كانت العرب تتحقق بالطبع ، وليس كذلك ، وإنما هي
 ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جليلة
 وطبع^(٢) .

أما إذا أراد الإنسان أن يتعلم لغة ثانية ، فإنه بإمكانه أن يتعلمها
 وأن تحصل له ملكة فيها ذلك ((أن اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها
 يمكناً شأن سائر الملكات والصنائع^(٣) .

وتعلم ذلك يوضحه ابن خلدون بقوله : ((أن حصول ملكة اللسان العربي
 إنما هي بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله المقوال الذي
 نسجوا عليه تراكيبهم ، فينسخ هو عليه ، ويتنزل بذلك منزلة من نشأ معهم
 وخالف عماراتهم في كلامهم ، وحتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن
 المقاصد على نحو كلامهم^(٤) . وهذا يعني أن عملية اكتساب اللغة غير مرتبطة
 بجنس إنساني معين ، فيستطيع الطفل أن يكتسب لغة أي مجتمع نشأ وترعرع فيه
 وأخذ كلامه منه ، فهو يأخذ مجرعة جمل المتكلمين الذين يحيطون به فتتكون
 له مادة لغوية تساعد على استنباط قواعد لغته حتى يحصل على الملكة

- (١) المقدمة : ١٢٦٨/٤ - ١٢٦٩ ، وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٦ .
 (٢) المقدمة : ١٢٧٩/٤ ، وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 (٣) المقدمة : ١٢٧٥/٤ .
 (٤) المقدمة : ١٢٧٨/٤ - ١٢٧٩ .

اللغوية التي تساعد على التعبير عن رايه ومقاصده ، من خلال مخالطتهم
لكلام اهل بيئته او مجتمعه ، وهذا يعني ان المادة اللغوية التي يحصل عليها
المتعلم ، وهي مجموعة جمل المحيطين به ، عنصر اساسي من عناصر اكتساب
اللغة (١) .

اذن ابن خلدون يرى أن على المتعلم ان يحذف كلام العرب واساليبهم في
التراكيب وعراة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال لان ((هذه الملكة كما
تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ،
وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك ، التي استلبطها اهل صناعة
اللسان ، فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة
بالفعل في محلها)) (٢) ، اذن فهو يركز على الممارسة والتكرار عند عملية الاكتساب ،
والمتعلم (المكتسب) لا يحتاج الى حفظ قوانين اللغة فتواعدها لكي يتعلمها لان
القوانين ((علم بكيفية لانفس كيفية)) (٣) .

اما الناحية الثانية التي نظر اليها ابن خلدون في اكتساب اللغة فهي عن
طريق الحفظ والسماع ، وقد فطن ابن خلدون للعلاقة بين اكتساب اللغة وتعلمها ،
ويرى من الضروري معرفة الاكتساب اللغوي ومحاولة توليفه لخدمة تعلم اللغة ،
وذلك من خلال ايجاد ظروف مناسبة لهذا التعلم ، وهذه الظروف يجب ان تتناسب
قدر الامكان ، مع المادة اللغوية التي كان يسمعها الطفل في اثناء تروعه فهي
بيئة مجتمعه الذي ينشأ فيه ، ويرى ابن خلدون ، ان افضل ما يحاط به المتعلم
هو النتاج العربي الفصيح ، فيجب عليه التعامل مع النتاج الثقافي العربي بالحفظ
والممارسة لكي تتم عملية التعلم هذه (٤) . وقد اشار ابن خلدون الى ذلك في اكثر
من موضع في مقدمته ، مبينا ان عملية تعلم اللغة تتطلب ظروفًا مشابهة للظروف
التي تكتسب بها اللغة ، حتى تصبح ملكة لسانية وبذلك يكون الهدف من تعليم

(١) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٩/٤ - ١٢٨٠ وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية :

٢١٦ و ٢١٧ ، والملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٥ و ٦٦ .

(٣) المقدمة : ١٢٧٦/٤ .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٧٥/٤ ، الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٧ و ٦٨ .

اللغة ، اكتساب المتعلم ملكة شبيهة بملكة العربي (١) ، وكلام العرب ، كما يرى ابن خلدون ، المادة التي يستقي منها المتعلم مادته فيبسط على مواله (٢) .

أما قضية اكتساب اللغة عند المحدثين ، فيرون أن اللغة ، اكتساب وعرف ، وأن هناك فرقاً بين الاستعداد للتكلم والكلام نفسه ، والاول هو الذي يكتسب من بالفطرة ، والثاني مكتسباً من المجتمع (٣) ، كما يرون ((أن علماء العرب قد فهموا أن لطق العرب — والاعراب بصفة خاصة — في عصر الاستشهاد للغة الصحيحة الفصحى كان سليقة لهم وطبعاً ملازماً وفطرة فطرهم الله عليها فكانوا ولدوا وهي تجري في أعراقهم ، شأنها شأن سحنهم وطبائعهم)) (٤) .

ولهذا فاللسانيات قد عكفت ((على قضايا اكتساب اللغة وحصول الكلام فعملت على ربط مراحل هذا الاكتساب لدى الطفل بمراحل نشوء اللغة أصلاً ، وحللت بؤادر عملية التواصل الكلامي من مستوى الادراك الشمولي الى مستوى التقطيع الجزئي ، وفسرت مرئ الطفل بالمرحلة العلامية ، وهي المرحلة الاشارية السيمائية ، قبل بروز العلامة اللسانية ، ودققت تراكيم المخزون الصوتي فالنحوي فالمعجمي)) (٥) .

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي ، أن من أحق علوم المعرفة البشرية في تناول حصول الادراك في طرائقه هو علم اللغة ، لانه الطريق الشامل وغير المقيد في كل تحصيل معرفي واكتساب ادراكي وذلك لان ((اللغة فضلاً عن كونها اداة الاتصال بين الانسان والعالم الخارجي بما في ذلك الانسان ذاته — فانها تنزل منزلة الرباط الجدلي الفعال بين العقل من حيث هو اداة التفكير ، ومكتسبات العقل من حيث هي موضوع التفكير ، غير ان واقع الامور كثيراً ما يعاكس بديهة العقل فيكون للاشياء — كما هي — منطق يخالف منطقها كما كان يجب ان يكون ، ومن اغرب ما تواطأ الفكر البشري عليه ان يبحث (اكتساب الكلام) تجده في حوزة فنون معرفية كثيرة ما عدا المعارف اللغوية ، حتى لكأن التطرق اليه يعد من المحظورات امام الناصر في اللغة)) (٦) ،

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ و ١٢٩٠ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧٨/٤ — ١٢٧٩ .

(٣) ينظر : في اللغة ودراساتها : ١٥ .

(٤) في اللغة ودراساتها : ١٤ .

(٥) الاسس النظرية لتوظيف اللسانيات في تعليم اللغات : ١٢ (بحث منشور) .

(٦) الاسس النظرية لتوظيف اللسانيات في تعليم اللغات : ١٣ (بحث منشور) .

كما يرى الباحث المذكور ان ((المتفحص في امر اكتساب اللغة - اذا هو اعطى القضية ابعادها المختلفة باختلاف مشارب الاختصاصات اولا ثم اختلاف موقعه من عملية الاكتساب ثانيا - استطاع ان يحدد اهمية الموضوع من وجهة نظر لسانية معرفية في نفس الوقت ، فيتسنى اذن استكناه البعد الاصولي لتطرق عالم اللسان الى هذا الاشكال اللغوي ذي الطابع الاختياري)) (١) . ثم حدد الباحث المذكور مراتب اكتساب اللسان في ثلاث مراحل : (١) تعلم مباشر مواضع اللغة ، (٢) ارتقاء الانسان من ممارسة تلقين اللغة فعليا الى وصف عملية التعليم وطرقه ، (٣) تتمثل في ما يسمح به الخوض فيها من تطرق اصولي يتصل بعاشرة بجوهر الركائز التي تقوم عليها اللغة (٢) .

(١) نفسه : ١٥ •
 (٢) ينشر : الاسس النظرية لتوظيف اللسانيات في تعليم اللغات : ١٥ و ١٦ •

المبحث الثالث اجتماعية اللغة

اللغة ظاهرة اجتماعية مهمة ، فهي الاداة التي يتم بها التعبير عن الفكر ، فلكي يتحقق التواصل الفكري بين الناس ، لابد من وسيلة يعبر بها عما يدور في ذهن من افكار ، فكانت اللغة • فاللغة نظام اجتماعي يقوم جميع افراد المجتمع في اتباعه ، باعتباره وسيلة تعبير عن افكارهم وخواطرهم وتفاصيلهم بعضهم مع بعض •

ويمتثل المتكلم اذن لغة المجتمع الذي نشأ وترعرع فيه ، واللغة ليست من الامور التي يصنعها فرد أو مجموعة افراد المجتمع ، بل هي باعتبارها ظاهرة اجتماعية فقد تكونت داخل المجتمع ، وكون اللغة بنت المجتمع اما هو من القوانين التي يتفق عليها اللغويون المحدثون دون استثناء ، وقد مر عن ذلك لتدريس بقوله : ((في احضان المجتمع تكونت اللغة وجدت اللغة يوم احس الناس بالحاجة الى التفاهم فيما بينهم فاللغة وهي الواقع الاجتماعي بمعناه الارفي ، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي وصارت واحدة من اقوى العرى التي تربط الجماعات وقد دانت بشوئها الى وجود احتشاد اجتماعي)) (١) •

فاللغة هي من صنع المجتمع بغض النظر عن اصل نشأتها (٢) • اذن ((لا يمكن فهم اللغة ، وقوانين تطورها بمعزل عن حركة المجتمع الناطق بها في الزمان والمكان المعينين ، لان فيها من الانسان فكره ، وطرائقه الذهنية ، وفيها من العالم الخارجي تنوعه والوانه)) (٣) • وهذا يعني أن العلاقات بين الظواهر اللغوية والظواهر الاجتماعية ، وتأثر اللغة بالعوادات والتقاليد والنظام الاجتماعي في زمان ومكان معينين ، قائمة منذ أن وجدت اللغة ووجدت الحياة الاجتماعية ، فجوهر الانسان يكمن في لغته وحياته الاجتماعية •

(١) اللغة : ٣٥ •

(٢) ينظر : اللغة لتدريس في كلامه على اصل اللغة : ٢٩-٤٢ ، واللغة والمجتمع

(السحران) : ٢٩ •

(٣) علم اللغة الاجتماعية (هادي نور) : ١٨ •

وقد تبين القديما على هذه العلاقات القائمة بين اللغة والمجتمع ، فأشاروا الى العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللغة ، فقد تكلم ابونصر الفارابي على ظاهرة تعدد اللغات مشيرا في ذلك الى قانون العادة والتطبع ، فيرى أنه اذا تعود اللسان أن يتحرك في جزء من الفم ، كان ذلك عند كل الساكنين في منطقة واحدة ، وسكان منطقة اخرى يتعود لسانهم التحرك في اجزاء اخرى ويكون ذلك هو السبب الاول في اختلاف ألسنة الامم (١) .

اما ابن جني فقد اشار الى العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع من خلال تعريفه للغة بانها ((اصوات يعير بها كل قوم عن اغراضهم)) (٢) . فيتضح من تعريفه هذا للغة ، انه قد تعرض الى وظيفة اللغة في المجتمع ، لانها تعبر عن آراء كل قوم واغراضهم وشؤونهم في الحياة فهو يقصد بـ (القوم) المجتمع الذي تنشأ فيسـ اللغة ، وقد تعرض ايضا الى قضية تداخل اللغات بمسألة كلامه على لغات العرب ، فأشار الى أن اللغات تتداخل بالاحتكاك والمجاورة ويحدث عن تداخلها بشو لغة اخرى تختلف عنها ، فأشار الى ذلك بقوله : ((واعلم ان اكثر ذلك وعاقته ، انما هو لغات تداخلت فتركت ثم تلاقى اصحاب اللغتين فسمح هذا لغة هذا ، وهذا لغة هذا ، فأخذ كل واحد منهما من صاحبه ما ضمه الى لغته ، فتركب هناك لغة ثالثة)) (٣) .

اما ابن حزم (٤٥٦هـ) فيعزو ظاهرة تعدد اللغات الى هذا تبدل بنسبة اللغة على طول الازمان واختلاف البلدان ومجاورة الامم (٤) .

فيتضح عن ذلك كله ، الارتباط القائم بين اللغة والمجتمع وقد تجسد هذا الارتباط في مجالين ، الاول : دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع وهذا ما نسميه علم اللغة الاجتماعي (٥) ، والثاني : دراسة المجتمع في علاقته باللغة وهذا ما نسميه

-
- (١) ينظر : الحروف : ١٢٦ - ١٣٧ .
 - (٢) الخصائص : ٣٣/١ .
 - (٣) الخصائص : ٣٧٥/١ - ٣٧٦ .
 - (٤) ينظر : الاحكام في اصول الاحكام : ٣٠/١ .
 - (٥) ينظر : علم اللغة الاجتماعي (هذسون) : ١٦ ، وعلم اللغة النفسي : ١١ وعلم اللغة (الضامن) : ٣٦ ، وعلم اللغة الاجتماعي (هادي نهر) : ٢٣ - ٢٤ ، ولقمة اللغة وخصائص العربية : ١٧ - ١٩ .

عد اجتماع اللغة (١) . والاختلاف بين الدراستين ، ليس اختلافا في العناصر
رأسا في بحث الاختلاف والدراسة يستند في ذلك الى الامة التي يوليها الدارس
سعة أم سجن وتحييه عليه الخوية (٢) . وهناك من لم يفرق بين الدراستين
ويستقل عن الدراسة التي تنبثق بالعلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع ، علم اللغوية
اجتماعي أو علم الاجتماع اللغوي (٣) .

ويعد علم اللغوية الاجتماعي من اكثر المجالات تقدما في الدراسات اللغوية
لانه يبحث دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي . من هنا تتضح اهمية الخواص
الاجتماعية وتأثيرها في اللغة . ويرى علماء الاجتماع أن النواهر الاجتماعية لها قوة
قاهرة على افراد المجتمع ((فاللغة تتأثر بكل هذه النواهر الاجتماعية ، تأثرا
كبيرا)) (٤) . وهذا يعني أن ((الاتصال الاجتماعي تحدده الاوضاع الاجتماعية سواء
أكان ذلك بصورة مترجمة أم غير مترجمة . فاللغات تنشأ وتنمو وتتغير في ظل ظروف
اجتماعية مختلفة)) (٥) . وقد وضع الدكتور علي عبد الواحد وافي اهم الميزات التي
تتاز بها النواهر الاجتماعية خيرا الى فضل عالم الاجتماع (دوركايم) في ابراز هذه
الميزات ، ويرى أن جميع هذه الميزات والخواص تتوافر في اللغة على اكمل ما
يمكن (٦) . وأكد أن اللغة نظام عام يشترك جميع افراد المجتمع في اتباعه ، وتخلقه
طبيعة الاجتماع ، والفرد ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه المجتمع
الذي يعيش فيه . ويتلقى هذا النظام اللغوي عن طريق المجتمع طبقا بالتعليم
والحائاة ، فأشار الى ذلك بقوله : ((فاللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد
في اتباعه ، ويتخذونه أساسا للتعبير عما يجول بخواطرهم وفي تفاهمهم بعضهم
مع بعض . واللغة ليست من الامور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون ، وإنما
تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتتبعث عن الحياة الجمعية ، وما تقتضيه هذه الحياة

(١) ينظر : علم اللغة الاجتماعي (هـ سون) : ٢٢ .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه : ٤٦ .

(٤) المدخل الى علم اللغة : ١٢٩ .

(٥) اللغة في المجتمع : ١٢ (بحث منشور) .

(٦) يدلمر : اللغة والمجتمع : (وافي) : ٣ - ٤ .

من تعبير عن الخواطر ، وتبادل للأفكار • وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نشاطاً لغوياً يسير عليه مجتمعه ، فيلتقاه عنه تلقياً بطريق التعليم والمحاكاة كما يلقى عنه سائر النظم الاجتماعية الأخرى ، ويصب أصواته في قوالبه ، ويحتذيه نسي نظامه وتعبيره ((١) •

فيوضح من هذا الكلام دور المجتمع في إنتاج هذا النظام الاجتماعي — اللغة — وهذا ما يرمي إليه علم الاجتماع عند دراسته لمختلف الخصائص والظواهر الاجتماعية ومنها اللغة • اذن يرجع الفضل في نشأة اللغة الانسانية الى المجتمع والحياة الاجتماعية (٢) •

وقد اكد الدكتور مصطفى لطفي العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع ، وتأثير الاشكال اللغوية بالمعطيات الاجتماعية بقوله : ((اما علم الاجتماع ، فيرتبط بعلم اللغة بحكم دراسته لمختلف الخصائص والظواهر الاجتماعية ومنها اللغة ، فيلتقي العلمان في بحث مشترك هو (علم الاجتماع اللغوي) (Sociolinguistics) الذي يتناول العلاقة القائمة بين اللغة والمجتمع وتأثر الاشكال والاساليب اللغوية بالمعطيات الاجتماعية التي تستعمل اللغة ضمنها)) (٣) • اذن هناك ارتباط عبادل بين اللغة والمجتمع بمعنى ان اللغة تؤثر في المجتمع وتتأثر به ، فاللغة هي احدى العلوم الاجتماعية وهي متصلة بها ولهذا نجد الظواهر اللغوية متأثرة بالظواهر الاجتماعية (٤) •

وقد اهتم علم الاجتماع برجاله بهذا الارتباط مؤكدين أن ((اللغة نشاط اجتماعي لمكة اللسان)) (٥) ، ويصل بنا هذا الى صلب موضوعنا ، وهو اللغة في عالم الاجتماع الكبر ابن خلدون • فكيف نظر ابن خلدون من زاوية الاجتماع الى اللغة ؟

فطن ابن خلدون الى العوامل الاجتماعية المؤثرة والعائدة الى اللغة في مقدمته ، ومن هذه العوامل : الدين • والدولة (السلطة) فيقول في هذا الصدد :

(١) اللغة والمجتمع : ٤ ، وينظر : اللغة في المجتمع : ٦ (بحث مشور) •

(٢) ينظر : علم اللغة : (وافي) : ٩٦ ، واللغة في المجتمع ضمن تصدير الدكتور ابراهيم الين : ٣ وما بعدها •

(٣) اللغة العربية في اطارها الاجتماعي : ٤٣ — ٤٤ •

(٤) ينظر : المدخل الى علم اللغة : ١٣٥ •

(٥) علم اللغة العام : ٢٧ •

((اعلم أن لغات اهل الامصار اما تكون بلسان الامة أو الجبل الغالبين عليها أو المختطين لها • ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد عربية ، وإن كان اللسان العربي المضى قد فسدت ملكته وتغير اعرابهم والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم ، والدين والمصلحة صيرة للوجود والملك ، وكلها مواد له ، والصورة مقدمة على المادة ، والدين انما يستفاد من الشريعة وهي بلسان العرب ، لما أن النبي صلى الله عليه وسلم عربي • فوجب هجر ما سوى اللسان العربي عن الالسن في جميع ممالكها))^(١) فيتضح عن كلام ابن خلدون ، أن الدين والسلطة هما من العوامل الاجتماعية المؤثرة في لغات الامصار لعهد • فهو ينطلق من أن اللغة هي الاداة الرئيسة التي تقوم بعملية توحيد الافراد في مجتمع واحد يتكلمها ، ولهذا كانت لغة الدولة عندهم ، لغة ذات اهمية باللغة في حياتهم فهي ((المفتاح للدخول الى النظام القائم ولتحسين اوضاعهم واللعب دورهم^(٢) الطبيعي في المجتمع))^(٣) ، فلهذا اهل الامصار في عهد ابن خلدون هي لغة العرب أو لغة الامة أو الجبل الغالبين أو المسيطرين ، وهذا يعني أنه قد اكد ارتباط مصير اللغة بمصير الامم الغالبة أو مصير الانظمة السياسية معتمدا في ذلك على الوقائع التاريخية السابقة ، فلما كانت الامصار تابعة للامم العربية الاسلامية الحاكمة ، كانت لغات هذه الامصار عربية ، وذلك لان اهل الامصار وجدوا انفسهم ، بطبيعة الحال في وضع يقتضي اتخاذ لغة الدولة الحاكمة لغة لهم ، لان عملية تواصلهم مع افراد مجتمعهم الجديد تقتضي التخلي عن لغاتهم الاصيلة والاخذ بلغة الدولة الغالبة أو الحاكمة^(٤) • وكما نعلم أن اللغة العربية لغة الدين والاسلام و ((عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بني وطنه بلسان عربي عيين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة))^(٥) ، وهذا ما جعلها تكون اللغة الغالبة ، فيجب

(١) المقدمة : ٨٨٨/٣ •

(٢) الفصح (ولتأدية دورهم) •

(٣) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٢ •

(٤) ينظر : هاشم الدكتور علي عبد الواحد وافي في المقدمة : ٨٨٩/٣ وحديثه عن

شروط اللغة الغالبة •

(٥) العربية : ١٣ •

على الداخلين في الحكم الاسلامي واجادة اللغة العربية الاسلامية واتقانها ومن هنا ،
يبرز ابن خلدون دور الدين والسلطة عاملا اجتماعيا مؤثرا في اللغة اذ ((لـ))
تأثير اجتماعي هائل بين الناس ، انه الروح الذي يبرى ببلهم ويقودهم في نواحي
العقيدة والخلق والتعامل ، وللشعوب على مدى التاريخ اديان تعتقها ، ولكن
الاديان السماوية - بصفة خاصة - اشد ما تأثرا واكثرها اتهاما ، واعظم الهزات
الاجتماعية في حياة الشعوب شرقا وغربا والما كانت بسبب الدين ((١) .

اذن قد اكد ابن خلدون اتقان اللغة العربية أو اللسان العربي ، لانهما
لغة الدين والاسلام ، ولما كان الاسلام ولغته هما المسيطرين والغالبين ، فصار
استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب ، لذلك فقد هجر
اهل الامصار والدول المفلوب عليها لغاتها واستعملت اللغة العربية ، لانها لغة
الدولة أولا ، والدين ثانيا ، وهذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله ((فلما هجر
الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربيا ، هجرت
كلها في جميع ممالكها ، لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه ، فصار استعمال
اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب)) (٢) .

وكما نعلم ان وحدة الدولة والمجتمع لا تتم الا بوحدة اللغة ، وان تعدد
اللغات عامل مساعد على تفرق وحدة الدولة ، فلذلك كانت الدولة العربية تلزم
افراد مجتمعاتها بتعلم العربية واتقانها ، ومن هذا المطلق وضع ابن خلدون
دعوة الخليفة عمر رضي الله عنه ، الى ترك اللغات غير العربية ، فقال : ((لما
ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي ، فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من اللسان
في جميع ممالكها . واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه ، عن بطانة الاعاجم وقال
خب اي مكر وخديعة)) (٣) .

اذن فقد جعل ابن خلدون السلطة والدين بين اهم العوامل الاجتماعية
المؤثرة في اللغة ، والتي تساعد على انتشارها وبقائها في المجتمع .

(١) الطلعة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٨٣ .

(٢) المقدمة : ٨٨٨/٣ - ٨٨٩ ، وينظر : الطلعة اللسانية في مقدمة ابن خلدون :

٨٣ .

(٣) المقدمة : ٨٨٨/٣ .

ويرى الدكتور حشال زكريا أن ابن خلدون في كلامه على انتشار اللغة العربية في البلاد التي امتد إليها الفتح العربي الإسلامي ، يشير إلى عامل آخر يفسر سيادة اللغة العربية على اللغات الأخرى ، وهذا العامل هو عامل لغوي ذاتي وهو الإيجاز في اللغة العربية (١) .

ومن العوامل الاجتماعية المؤثرة في اللغة عند ابن خلدون ، عاملان الزمان والمكان ، وهما عاملان : تاريخي واجتماعي ، فلاحظ أن اللغة أو ملكة اللغة - لأن اللغة في نهره ملكة لسانية كما اشرنا سابقا في تعريفه للغة - عرضة للفساد أي التغير ، وقد اشار إلى هذا الفساد في أكثر من موضع في مقدمته (٢) . فهو ((لا ينظر إلى اللغة نظرة صفوية معيارية)) (٣) ، وبما أن اللغة ظاهرة من خواص العمران البشري فهي متأثرة بعالمي الزمان والمكان (٤) . وكما نعلم أن القدماء قد نبهوا على هذه العوامل الاجتماعية وأهمها في اللغة وقد اشرنا إلى ذلك آنفا ، وعليه وقف ابن خلدون على أساس متين عندما نظر إلى اللغة والعوامل المؤثرة فيها .

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي أن ابن خلدون كان يهتدي بنسارات ذهنية أضاعت له فكره الاجتماعي ، متسلطة في جملة من نصوص القدماء أمثال الجاحظ وابن مسكويه والتوحيد وغيرهم وأشار إلى ذلك بقوله ((يقف الباحث على جملة من النصوص للجاحظ وابن مسكويه والتوحيد وأخوان الصفا . لاشك أنها قد وجهت ابن خلدون وجهة مخصصة ، إذ تسمح بالاستدلال على أن ابن خلدون كان يهتدي بنسارات ذهنية أضاعت فكره الاجتماعي وفتقت قريحته في وضع علم العمران ، بل أن هذه النصوص قد كانت مثل الضوابط المؤثرة في لغة ابن خلدون ذاتها ، حتى أنك لو اصغيت إليها عفوا أو استدرجت إليها من يصغي - بالرواية - أو بدونها - (٥) ولم تنسبها لحملها السامع على أنها نصوص خلدونية)) (٦) ، فابن

(١) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٤ وما بعدها .

(٢) ينظر مثلا : المقدمة : ١٢٥٨/٤ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٥ .

(٣) نرى ابن خلدون في اللغة : ١٠٩ (بحث منشور) .

(٤) ينظر نفسه .

(٥) الفصح (بن دونه) .

(٦) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٥ (بحث منشور) .

خلدون قد وصل بنفاذ حسه الاختباري - كما يرى الدكتور عبد السلام المسدي الى حقيقة مهمة وهي قابلية اللغة أيا كانت الى العقلنة والى اخراج اللغة العربية من صف اللغات التاليفية الى صف اللغات التحليلية (١) .

وقد لاحظ ابن خلدون ان لغة العرب لعهد تخطف - اى اصابتها الفساد والتغير - عن لغة مضر ، مشيوا الى الواقع اللغوي في عهده موالى تأثير عامل الزمان في لغة عصره بسبب بعدها في الزمان عن لغة مضر ، ومؤكد تأثير اختلاط العرب بالعجم في اللغة ، مما يؤدي الى فسادها ، وأشار الى ذلك بقوله : ((اعلم أن ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ، ولغة اهل الجبل كلهم مغايرة للغة مضر التي نزل بها القرآن ، والما هي لغة اخرى من امتزاج العجمة بها كما قد عناه)) (٢) .

ويرى الدكتور عبد السلام المسدي ، أن تحليل ابن خلدون للظاهرة اللغوية بموجب سلطان الزمن على الانسان هو من دلائل المنهج الاختباري ((فاللغة هي احدى مفاعلات الوجود الانساني اذ هي طرف المعادلة النوعية لشبوت خصوصية الانسان . ولما كان الانسان حصيلة تعادلية بين طرفي وجود المادة زمانا ومكانا فان معادلة التفاعل تصبح فيها عناصر اللغة والمكان والزمان فينتج حتما التغير والاستحالة)) (٣) .

لقد أقر ابن خلدون سلطان الزمن على الظاهرة اللغوية مما ادى الى التغير اللغوي ، واستطاع ان يستكشف هذا التطور أو التغير اللغوي في بدء النهضة العربية الاسلامية ، وقد اشار الباحث المذكور الى ذلك جيبا فضل ابن خلدون له ، قائلا : ((اما ابن خلدون فانه بفضل ما حظي به من بعد زعي تمكن من أن يرى الظاهرة بوجه الزمن المحرك ، ولم تختلط عليه السبل في شيء عندما صور حقيقة التطور اللغوي الطارىء على المؤسسة اللغوية بحكم انشوائها تحت ناموس الزمن وانطلاقا من استقراراته اللسانية الحاضرة في زمانه ، استطاع ان يرتقب مراحل الزمن صعودا الى الماضي ، فأستكشف قوانين التغير منذ مطلع النهضة العربية الاسلامية

(١) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٩٨ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٥/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٦-٨٧ .

(٣) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٦ (بحث مطهر) .

وبذلك استطاع ان يسقط النواحيين المحركة للظاهرة اللغوية من حاضره المعايين الى الساضي الغيبي فتسلى له ان يقيم جدلية تطويرية اساسها مبدأ التراكم والتغاير^(١) وبعد ما يؤكد ابن خلدون تأثير عامل الزمان في اللغة ، يشير الى عامل اجتماعي آخر هو الاختلاط ، فالاختلاط من العوامل الاجتماعية المؤثرة في مسار اللغة وتطورها ، في حين أن العزلة تحافظ على اللغة وسارها ولذلك ((كانت لغة قريش اقصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتلفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبلي كنانة وغطفان وبلي اسد وبني تميم))^(٢) . اما الاختلاط بالعجم فيؤدي الى تغير اللغة وفسادها وأشار ابن خلدون الى ذلك بقوله : ((واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغان وأياد وقضاة وعرب اليمن المجاريين لأم الفرس والروم والحشة ، فلم تكن لغتهم تامة الطكة بمخالطة الاعاجم . وعلى نسبة بعدهم من فريزر كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند اهل الصناعة العربية))^(٣) .

ثم يؤكد ابن خلدون عامل الاختلاط وتأثيره في خصائص اللغة العربية وقوانينها ، مشيرا الى ان كثرة الاختلاط تؤدي الى تغير اللغة حتى تصبح كأنها جديدة فقال : ((واليوم الواحد من العجم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار ، فأول ما يجد تلك الطكة المقصودة من اللسان العربي متحيرة الاثار ، ويجد ملكتهم الخاصة بهم ، طكة اخرى مخالفة لملكة اللسان العربي))^(٤) . ويرى الدكتور عبد السلام المسدي ، أن ابن خلدون قد نظر الى ظاهرة التغير اللغوي من مبدأين اساسيين هما المخالطة والغلبة ((فأما المخالطة التي هي احتكاك بالمجاورة فتمثل الثقل الاجتماعي العمراني في القضية اللغوية وهي بذلك نموذج الضغط (السوسيولوجي)^(٥) بالمعنى الخلدوني الصائر بعده ، اما الغلبة فهي المحرك الحضاري والسياسي في تطور اللغة اذ تمثل قانون التداخل اللساني طبقا لميزان القوى في الصراع السياسي بين المجموعات اللغوية المتغايرة))^(٦) .

- (١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٩٧ ، وينظر : علوم اللسان عند ابن خلدون ٢٦ (بحث منشور) .
- (٢) المقدمة : ١٢٦٩/٤ . (٣) المقدمة : ١٢٦٩-١٢٧٠ .
- (٤) المقدمة : ١٢٨٢/٤ ، وينظر : الطكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٧ .
- (٥) السوسيولوجي : يقصد به علم الاجتماع .
- (٦) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٩٧ ، وينظر : نظرة ابن خلدون في اللغة : ١٠٩ (بحث منشور) .

أما تأثير عامل المكان في اللغة فيمثل في اللهجات العامية المنشعبة عن اللغات ، يشير ابن خلدون إلى اختلاف عرف التخاطب في الامصار (اللهجات العامية) من لغة العرب في عهده ، وهي مختلفة فيما بينها باختلاف الامصار فقال : ((اعلم ان عرف التخاطب في الامصار بين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجبل ، بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذيل الجبل العربي الذي لعيننا ، وهي عن لغة مضر ابعد)) (١) . ثم يقول في السياق نفسه : ((وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتها ، فلهذا اهل المشرق يمانية بعض الشيء ، للغة اهل المغرب وكذا الاندلس معهما)) (٢) . وهكذا لاحظ ابن خلدون اختلاف اللهجات فيما بينها ، وأن لغة التخاطب اليومي مختلفة ومغايرة للغة مضر ولغة اهل جبله ، حتى تصح كأنها لغة اخرى ، وقد اشار إلى ذلك بقوله : ((وصار اهل الامصار كلهم من هذه الاقاليم ، اهل لغة اخرى مخصوصة بينهم تخالف لغة مضر ويخالف ايضا بعضها بعضا كما نذكره ، وكأنها لغة اخرى لاستحكام ملكتها في اجيالهم)) (٣) . ويقول الدكتور ميشال زكريا في هذا الصدد : ((من الطبيعي القول ان لغة التخاطب أو اللهجة قد استحكمت ملكتها في متكلميها ، وذلك لان الطفل يكتب ، في الواقع ، ملكة لسانية في اللغة التي يتكلمها المجتمع الذي يترعرع فيه ، أي في الحقيقة ، يكتب ملكة لسانية في لغة التخاطب أو اللهجة . ومن ثم ينتقل بواسطة عملية تعلم من الملكة اللسانية في اللهجة إلى ملكة لسانية في اللغة الفصحى . ويتم هذا الانتقال بسهولة لان اللهجة واللغة الفصحى هما شكلان للغة الواحدة ، فاللهجة هي اللغة العربية في شكلها المحكي العادي ، في حين ان اللغة الفصحى هي اللغة العربية في شكلها المكتوب المشترك)) (٤) .

ثم يعود ابن خلدون ويكرر اختلاف لغة التخاطب أو اللهجة باختلاف الامصار ، والشاهد على اختلافهما وكوניהما لغة قائمة بنفسها ، سقوط حركات الاعراب منهجا ، حتى يعد هذا الاختلاف عند صناعة اهل النحولنا ، فأشار إلى ذلك بقوله :

(١) المقدمة : ١٢٧٤/٤ .

(٢) نفسه .

(٣) المقدمة : ١٢٧٥/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٩ .

(٤) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٩ - ٩٠ .

((فأما لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر ، يشهد له فيها من التباين الذي يمسد عند صناعة النحولنا ، وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم ، ولغة اهل المشرق هابطة بعض الشيء ، للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس معهما ، وكل منهم متصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه . وهذا معنى اللسان واللغة . وفقدان الاعراب ليس بضائر لهم كما قلنا في لغة العرب لهذا العهد)) (١)

وهكذا يكون لعاملي الزمان والمكان تأثير في اللغة من كونها ظاهرة من ظواهر العمران البشري ، وهكذا جاءت (المقدمة) باحثا في احوال العمران البشري ومختلف ظواهره . واللغة احدي تلك الظواهر فلا بد ، في سياق تفكير ابن خلدون ، من ضبط قوانين نشأتها وأطوارها وطرائق اكتسابها ووصف كل ما يتعلق باحوالها . وهذا يعني ان ابن خلدون قد نظر الى اللغة نظرة عالم الاجتماع الباحث عن الاسباب والمسببات وعن العوامل المؤثرة داخل اطار العمران البشري ، ((على اساس أن اللغة من اهم مقومات المجتمع ، فإن اهتمام علماء الاجتماع والمختصين في علم اللغة الاجتماعي ، اهتمام كبير للغاية ، يشاركونهم فيه ويزودهم بكثير من الملحوظات ونتائج دراسات المجتمعات البشرية المتنوعة ، علماء الاجناس البشرية (الانثروبولوجيا) وموضوعات اهتمام هؤلاء جميعا كثيرة ومتشعبة ولكنها في خلاصتها تتركز في علاقة اللغة بالمجتمع)) (٢) .

وعلمهم من يرى ان ابن خلدون ، قد نظر الى اللغة نظرة حاول فيها استخلاص نوع من الصلة الجدلية بين المجتمع واللغة ، وذلك من خلال حديثه في الطلقة اللغوية خصوصا ، والملكات عموما (٣) ، فهي تستند الى ملاحظة مدأ نفسي عام هو أن كل فعل سواء أماديا كان أو معنويا ، فكريا كان أم بدنيا . لابد من أن يترك أثرا في النفس ، فعندما يتكرر الفعل ، يتكرر اثره في النفس ، فيتولد لذلك صفة توسخ فتكون طلقة ، وتسمى هذه الطلقة شيئا فشيئا فكأنها تتغذى من هذا التكرار (٤) .

(١) المقدمة : ١٢٧٤/٤ .

(٢) اضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٩٢ .

(٣) علم اللغة الاجتماعي (هادي نهر) : ٧٣ وما بعدها .

(٤) ينصر : دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٦١ وما بعدها ، علم اللغة الاجتماعي

(هادي نهر) : ٧٦-٧٥ .

ان مقدمة ابن خلدون ((ثمرة معاهدة لسير المجتمع وملاحظة للخطوط
البارزة فيه)) (١) . وقد اشار الدكتور محمّد لهماي حجازي الى اهمية اللغوية
ودراستها في العلوم الانسانية جميعا ، ولا سيما عند علماء الاجتماع — ومنهم ابن
خلدون — فقال : ((تشترك العلوم الانسانية في اهتمامها باللغة بوصفها اهم
مظاهر السلوك الانساني ووسيلة الاتصال الحرة للجماعة الانسانية . وهناك التماس
كثيرة من اللغة نجدها عند المفكرين اليونان والعرب والهنود ، وكذلك علماء
الاجتماع من ابن خلدون وديركايم الى المدارس الاجتماعية المعاصرة وكذلك علماء
علماء النفس . ولكن النزوع نحو التخصص الدقيق ، في عصر حدث فيه انجسار
للمعرفة فاصبح الاستيعاب الشامل مستحيلا جعل من الضروري ان تنشأ تخصصات
تهتم بمبحث اللغة في مقدمتها علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة النفسي . يهتم
علم اللغة الاجتماعي بقضايا التفاعل بين اللغة والمجتمع وما اكثر القضايا التي
تدخل في هذا الاطار : الازدواج اللغوي . . .)) (٢) .

وهكذا قد تحقق لابن خلدون ما ساعده على بلورة آرائه في المجال
اللغوي . الا ان ذلك جاء مطلقا ، فكان له الفضل في التأليف بين طائفة ليخرجه
في صورة متكاملة شاملة لظواهر الحياة البشرية عامة .

وهذا يعني ان ابن خلدون ((لم يكن اذن مجرد ناقل للتراث العربي في
السيدان اللغوي ، وانما كان فكريا مؤلفا تميز ببخيرة شولية لظواهر الحياة الانسانية
وعالما اجتماعيا درس ظواهر المجتمع البشري واستبطن هذه القوانين التي تتحكم في
ظواهره المختلفة ، ومن بينها ظاهرة اللغة واللسان)) (٣) ، فالتأمل فيما قاله
ابن خلدون ، تتضح له خفايا الصعاب اللغوية التي يتناولها الدرس اللساني الحديث
في اللغة ، بنائها وطورها ووظيفتها ، وتأثير فاعلي الزمان والمكان فيها لتكوينها
ظاهرة اجتماعية كلية الظاهر . وانطلاقا من ذلك نجد أن ابن خلدون اكثر تأملا
عندما يتناول دراسة اللغة وطبيعتها ، يسعى الى تحليلها وفلسفتها في جوهرها
وبنىتها وهاراتها .

(١) ابن خلدون وطوم اللسان : ٢٣ (بحث منشور) .

(٢) دخل الى علم اللغة : ٢٩ — ٣٠ .

(٣) نظرة ابن خلدون في اللغة : ١١٢ (بحث منشور) .

المبحث الرابع كتابة اللغة

ان احتياج الانسان الى وسيلة الاتصال بينه وبين اخيه الانسان ، ظهرت منذ وجود البشرية ، وتعددت هذه الوسائل الى يومنا هذا ، فقد اهتمدى الانسان في أول الامر الى الاشارات للتعبير عما يريد ، ثم اهتمدى الى الاصوات المسموعة والصور المحصورة للتعبير عن افكاره الذهنية ، ثم تطورت وسيلة التعبير بالاصوات اللغوية ((ونتيجة التوسع في التعامل وازدياد مشاغل الانسان - التي تسميه القول غير المكتوب - ونتيجة لتوسع افقه وتطور حياته أخذ يفكر بمثل هذه الوسائل ، فلم يجد امثـل وأوضح وأقرب الى ذهنه من الصورة لتعبير نيابة عن معنى الكلمة المقصودة ذات السمـيات المحددة)) (١) .

ان أولى مراحل التعبير عن الفكر هي الكتابة الصورية ((ثم انتقل الانسان الى مرحلة متقدمة أخرى في حقل التعبير عن اللغة الفكرية الاولى التي كانت محصورة في ذهنه ، وذلك بمحاولة الرمز الى الاصوات اللغوية بالصـور أو الخطوط ، وبدأت الكتابة الصورية ثم الكتابة الصوتية ، فعبـرت عن الاصوات)) (٢) .

ولكن تبقى الوسيلة الأكثر استعمالاً عند الانسان لحفظ دينه وقوانينه وعلمونه وفنونه هي الحفـ في الازمان ف ((لا يزالون يتداولون الحفـ الى ان يكثر عليهم ما يلتصقون حفـ ويعسر ، فيحوجهم ذلك الى الفكر فيما يسهلونه به على انفسهم فتستبط الكتابة وتكون في أول امرها مختلطة الى ان تصلح قليلاً قليلاً على طول الزمان ويحاكي بها بالالفاظ وتشبه بها وتقرب منها اكثر ما يمكن على ما فعلوا قديماً بالالفاظ بأن قربوها في الشبه من المعاني ما أمكنهم التقريب فيدوسمون بها في الكتب ما عر حظه عليهم وما لا يؤمن بأن يمس على طول الزمان وما يلتصقون ابقائها على من بعدهم ، وما يلتصقون تعليمها وتفهمها من هويا عليهم في بلد أو سكن آخر)) (٣) .

-
- (١) الكتابات والخطوط القديمة : ٦١ .
(٢) اصوات العربية بين التحول والثبات : ٧٩ .
(٣) الحروف : ١٤٤ .

فالكتابة تشبه الالفاف من حيث نشورها وتحولها من هيئة الى اخرى ، وتطورها وتقدمها مع تقدم الزمن . فلم تكن الكتابة في اول اختراعها على النحو الذى نراها عليه اليوم ، انما مرت بمراحل متعددة تسير من خلالها نحو الافضل والاصح ، حتى انتظمت على وفق نسام معين وقوانين محددة وضعت لها مثلما وضعت لغيرها من العلوم .

ومن الواضح ان اللغة اسبق في الظهور من الكتابة وذلك لان ((الحاجة الى تقييد الاشارات في المجتمع اللغوى قد تأخرت عن ولادة هذه الاشارات ، وان شعور الانسان بضرورة تقييد هذه الاشارات للحاجة المتجددة قد ادى به الى التفكير في وضع الخطوط الدالة على الاصوات اللغوية ، وهكذا ولدت الكتابة في المجتمعات الانسانية وتطورت بتطور الحاجة اليها)) (١) .

لقد وردت الكتابة والخط بمعنى واحد في المعاجم ف ((الخط الطريقة المستطيلة في الشئ ، والجمع خطوط وقد جمعه العجاج على اخطاط ، وخط القلم اى كتب وخط الشئ بخطه خطا كتبه بقلم أو غيره . . . الخط الكتابة ونحوها)) (٢) وكذلك ((الكتاب معرف والجمع كتب وكتب ، كتب الشئ يكتبه كتبا وكتبا وكتابة وكتبه خطه)) (٣) .

ان الكتابة والبحث عن اصلها ظلا محور الدراسات القديمة والحديثة ، فالافكار في الدراسات الحديثة عن اهل الكتابة وجذورها التاريخية لم تتضح وتتلبر ، وربما يرجع سبب ذلك الى ان الاهتمام بها جاء متأخرا عند المحدثين ، اما عند القدماء فنجد لها رسدا مبكرا في المصادر العربية منذ القرن الثاني الهجرى ، ولكن يبدو ان اهل الكتابة العربية لم يتضح ولم تدرس مسيرة تطورها دراسة علمية دقيقة وشاملة ، وذلك لغياب الاصل التاريخي الذى نعتمد عليه في تحديد شكل الحرف العربي وموطنه الاصيل ، لان المعلومات التى وصلت اليها من المصادر العربية القديمة ، تعتمد على الروايات الشفهية المتناقلة ((والروايات في هذا الباب تكثر وتختلف)) (٣) على حد قول ابن فارس (٣٩٥ هـ) وهذه

(١) الاسلام والكتابة العربية : ٢٤ (بحث منشور) .

(٢) لسان العرب : مادة (خ ط ط) .

(٣) لسان العرب : مادة (ك ت ب) .

(٤) الصاحبى : ٣٤ .

الروايات تستند الى اسم دينية وغيبية مرة ، والى اسم شبه اسطورية لتسبب اختراع الكتابة الى جماعات معينة أو افراد معينين مرة اخرى (١) .

تذكر المصادر العربية في اصل الكتابة العربية نظريتين : الاولى تذهب الى ان الكتابة توقيفية من الله عز وجل ، انزلها على آدم عليه السلام أو غيره من الانبياء عليهم السلام (٢) ، ويستدل اصحاب هذه النظرية بقوله تعالى ((اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ يريك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم)) (٣) .

الثانية تذهب الى ان الكتابة اصطلاحية أي اختراع من جماعات أو افراد معينين (٤) . ومن الروايات التي علقها لنا المصادر القديمة ، رواية تقول ان أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر الكتب ، آدم عليه السلام قبل موته بطثمائة سنة كتبه في الشين ثم طبعه ، فلما انقض ما كان اصاب الارض من الغرق ، وجد كل قوم كتابهم ، فكتبوا به (٥) . ورواية اخرى تسبب وضع الكتابة العربية التي نبي الله اسماعيل عليه السلام (٦) ورواية اخرى تقول ان ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم (٧) . وهناك رواية تقول : ((ان اول من وضع الخط نفيس ونصر وتيسر بنو اسماعيل بن ابراهيم ، ووضعوه بمصل الحروف بعضها ببعض ، حتى لرقية

-
- (١) ينظر : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : ١٩ وما بعدها ، رسم المصحف : ٢٨ ، ٣٧ ، وقديم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة : ٨ وما بعدها (بحث مشور) ، والخط العربي جذوره وتطوره : ١١ ، والخط العربي نشأته ، تطوره ، مشكلاته ، دعوات اصلاحه : ١٧ - ١٩ .
- (٢) ينظر : العقد الفريد : ١٥٦/٤ - ١٥٧ ، والفهرست : ٧ ، والصاحبي : ٣٤ - ٣٥ ، والمحكم في نقط المصاحف : ٢٦ ، وصبح الاعشى : ٦/٣ - ٧ .
- (٣) العلق : ١ - ٥ .
- (٤) ينظر : العقد الفريد : ١٥٧/٤ ، والفهرست : ٧ ، والمحكم في نقط المصاحف : ٢٦ ، وصبح الاعشى : ٦/٣ .
- (٥) ينظر : العقد الفريد : ١٥٦/٤ ، والفهرست : ٧ ، والصاحبي : ٣٤ ، وصبح الاعشى : ٦/٣ .
- (٦) ينظر : العقد الفريد : ١٥٧/٤ ، والصاحبي : ٣٤ ، والمحكم في نقط المصاحف : ٢٥ ، والاتقان في علوم القرآن : ١٦٦/١ .
- (٧) ينظر : العقد الفريد : ١٥٧/٤ ، وصبح الاعشى : ٦/٣ .

ثبت وهميـع وقيدرا^(١)، وقيل ان أول من كتب الكتاب العربي رجل من بني النضر بن كنانة فكتبته العرب حينئذ^(٢)، وقيل ايضاً ان أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ علمه في السام^(٣)، ومن الروايات التي يغلب عليها طابع الخرافة، الرواية التي تزعم ان أول من وضع الخط العربي جماعة هم : أبجد وهوز وحطبي وكلس وسعفس وقرشت، وهم قوم من الأوائل بعد ان نزلوا عند عدنان بن أد د وقد وضعوا الكتب على اسمائهم، فلما وجدوا حروفاً في الالفاظ ليست في اسمائهم ألحقوها بها وسوها الروادف وهي : الثاء والخاء والذال والنضاد والخاء والغين^(٤) وهذه الرواية، كما ذكرنا، يغلب عليها طابع الخرافة والامشورة وفيها تناقض واضح، وقد رفضها المحدثون لرفض الوقائع التاريخية ولمتج التحقيق العلمي لها، ورجحوا انها تمثل الترتيب الابددي للحروف، الذي جمع على شكل كلمات^(٥)، وهناك رواية تقول ان أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان نزلوا الانبار وعلموا اهلها وهم ماسر بن مرة، واسلم بن مدره، وعامر بن جدرة، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة^(٦)، وهذه الروايات قد رفضها الدرس الحديث لانها وكما ذكرنا، اشبه بالخرافات^(٧) .

ويتضح مما سبق ان موضوع الخط والكتابة كان مدار الدارسات القديمة والحديثة، فقد أولى القدماء عنايتهم بهذا الموضوع ونظم ابن خلدون، لقد اهتم ابن خلدون اهتماماً بالغاً بالخط والكتابة، وعقد لهما فصلاً في مقدمته سماه ((الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية))^(٨)، وبدأ فيه بحد الخط

-
- (١) العقد الفريد : ١٥٧/٤، وينظر صبح الاعشى : ٩/٣، ولكن القلقشندی يضيف اسماً آخر حودومة .
- (٢) ينظر : صبح الاعشى : ٩/٣ .
- (٣) نفسه .
- (٤) ينظر : العقد الفريد : ١٥٧/٤، والفهرست : ٧، وصبح الاعشى : ٩/٣ .
- (٥) ينظر : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : ٢٢، ورسم المصحف : ٣٠ .
- (٦) ينظر : الفهرست : ٧، وصبح الاعشى : ٨/٣، وتاريخ اللغات السامية : ١٩٦-١٩٧، وقصة الكتابة العربية : ٨ .
- (٧) ينظر : دراسة في تطور الكتابات الكونية : ١٧، وتاريخ اللغات السامية : ١٩٧، واصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : ٢١، ورسم المصحف : ٢٨، وقد يم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة : ١ (بحث منشور) .
- (٨) المقدمة : ٩٤٩/٣ .

والكتابة فقال : ((وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس ، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية)) (١) .

ان تحديد ابن خلدون هذا ، تحديد دقيق وشامل لكل انواع الخطوط ، فقد حاول فيه ان يعبر عن معان عديدة بكلمات قليلة ، وإذا اعطا النمر في حده هذا ووقفنا عند قوله (فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية) ، تبادر سؤال في ذهن ، اذا كان الخط والكتابة ثاني رتب الدلالة اللغوية ، فما الرتبة الاولى منها ؟ .

يبدو ان الرتبة الاولى من الدلالة اللغوية ، كان يقصد بها ابن خلدون الكلمات المنطوقة المسموعة ، فقد ذكر في فصل آخر ((ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ، ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ، وذلك دائما)) (٢) ، وهذا يعني ان الانتقال من الكلمات الى المعاني ، اي (الكلمات المنطوقة المسموعة) ، وهي الرتبة الاولى من الدلالة اللغوية ، اما الانتقال من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية فيمعني ان الكتابة هي الرتبة الثانية من تلك الدلالة . وقد وضع ابن خلدون فكرته عن مراتب الدلالة اللغوية توضيحا كاملا ، عندما اشار الى ان مراتب البيان عما في الضمائر (الدلالة اللغوية) ، هي الالفاظ النطقية ، والكتابة فيقول في فصل (المقاصد التي ينبغي اعتادها بالتأليف الغناء ما سواها) (٣) : ((وذلك البيان انما يكون بالعبارة ، وهي الكلام المركب من الالفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان عركة من الحروف ، وهي كلفيات الاصوات المقطعة بعضلة اللسان واللسان ليتبين بها ضمائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطبتهم . وهذه رتبة أولى في البيان عما في الضمائر ، وان كان معتمدا واشرفها العلوم ، فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير من خير أو شر على العموم . وبعد هذه الرتبة الاولى من البيان رتبة ثانية يؤدي بها ما في الضمير لمن توارى أو غاب شخصه ويعبد أو لمن يأتي بعد ولم يحاصره ولا لقيه وهذا البيان منحصر في الكتابة . وهي رسوم

(١) نفسه .

(٢) المقدمة : ٩٧٢/٣ .

(٣) المقدمة : ١٢٢٥/٤ .

باليد تدل اشكالها وصورها بالتواضع على الالفاظ النطقية حروفا بحروف وكلمات
بكلمات • فصار البيان فيها على ما في الضمير بواسطة الكلام المنطقي • فلهذا
كانت في الرتبة الثانية ((١) •

يتضح من كلام ابن خلدون هذا ، انه اعطى اهمية كبيرة للكتابة بعد
اللغة ، وذلك لان ((القلم أبهى أثرا ، واللسان أكثر هذرا)) (٢) ، وكما قال فندريس :
((اهمية النص المكتوب شي طبيعي • اذ أن المكتوب يبقى ، على حين تتبدد
الالفاظ والكلمة اذا سجلت عندما تخرج من بين حواجز الاسنان ، استقرت الى
الابد كأنها وثيقة اثبات)) (٣) ، فالكتابة هي الرتبة الثانية للدلالة اللغوية
أو التعبير عما في الضمائر ، فأبن خلدون يقربان الكتابة هي الوسيلة التواصلية
الثانية بعد اللغة ، لانه يمكن من خلالها تأدية المقصود والتعبير بها عما
في الضمائر ، ولقد سبق في حد ابن خلدون للغة ، أنها وسيلة تواصل بين افراد
المجتمع ، ويتحقق بها الفهم والافهام ، فهي الوسيلة الاولى ، اما الوسيلة الثانية
فهي الكتابة ، فالبرغم من ان اللغة المكتوبة تختلف عن اللغة المتكلمة وهما
لا يختلطان أبدا ، لان النص المكتوب لا يمثل الكلام تمثيلا دقيقا (٤) ، نجد ان الكتابة
رمز للغة كما ان اللغة رمز للفكر ، ولذلك فان ((الكتابة تمثيل للغة طبيعية
(محكمة) بعلامات خطية منقوشة)) (٥) •

وبين ابن خلدون ان الكتابة ضرورية لحفظ اللغة من النسيان ، لانها تحفظ
اللغة وتصونها وتحقق لها الدوام والانتشار ، وهذا ما اشار اليه بقوله : ((ثم
استمر ذلك الفساد بملازمة العجم ومخالطتهم ، حتى تأدى الفساد الى موضوعات
الالفاظ ... فاحتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية
الدروس)) (٦) •

-
- (١) نفسه •
(٢) البيان والتبيين : ٧٩/١ •
(٣) اللغة : ٤٠٤ •
(٤) ينظر : اللغة : ٤٠٤ •
(٥) مدخل الى الالمنية : ٣١ •
(٦) المقدمة : ١٢٥٨/٤ ، وينظر : فلسفة اللغة لابن خلدون : ٤٥ (بحث مشير) •

فقد وضع ابن خلدون ارتباط الكتابة باللغة ، فهما وسيلتان من وسائل
الإنسان اللغوي ، فكما أن اللغة هي الوسيلة الأولى التي يتم بها التواصل اللغوي
فالكتابة أيضا ((تأتي من ماضي الضائقة وتتأدى بها بلاغراض إلى البلاد البعيد ، فتقضى
الحاجات ، وقد دفعت مؤونة المباشرة ، ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحيف
الأولين ، رعا كتبه بن علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع)) (١) .

وقد أشار ابن خلدون في أكثر من موضع إلى طبيعة الكتابة التواصلية ، لأنها
تعبير عن اللغة ، كما أن اللغة تعبر عما في الضمير ، فلا بد أن يكون كل منهما
واضح الدلالة (٢) . إذن فاللغة والكتابة وسيلتا التواصل اللغوي ، وهذا ما أكدته
الدرس الحديث وذهب إليه المحدثين ، فقد قال دي موسور : ((اللغة والكتابة
نشانان متميزان عن الإشارات ، والهدف الوحيد الذي يرمو وجود الكتابة هو التعبير
عن اللغة ... أن الشكل المنطوق يرتبط ارتباطا وثيقا بالصورة المكتوبة حتى أن
الصورة الأخيرة تغطي على الصورة الأولى (الكلمة المنطوقة) فيهتم الناس بالصورة
المكتوبة للإشارة الصوتية أكثر من اهتمامهم بالإشارة نفسها)) (٣) .

أما الدكتور يوسف غازي فقد وصف اللغة بأنها رزمة تواصل من المرتبة الأولى ،
أما الكتابة فهي رزمة تواصل من المرتبة الثانية (٤) . وذهب الدكتور رافيل يعقوب إلى
أن الكتابة ظاهرة إنسانية اجتماعية ، استخدمها الإنسان منذ القدم لتسجيل خواطره
لتذكرها ، أو توصيلها إلى الآخرين ، فالكتابة رمز للغة كما أن اللغة رمز للفكر (٥) .
بهذا يكون ابن خلدون قد سبق المحدثين إلى بيان طبيعة الكتابة التواصلية .

بعد أن عرف ابن خلدون الكتابة ببيان طبيعتها تلك ، بدأ بتوضيح أهميتها
في الحياة من الناحية الفكرية والاجتماعية فهي ((صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص
الإنسان التي يميز بها عن الحيوان وأيضا فهي تطلع على ما في الضائقة وتتأدى بها
الأغراض إلى البلد البعيد ، فتقضى الحاجات ، وقد دفعت مؤونة المباشرة لهذا ،

(١) المقدمة : ٩٤٩/٣ .

(٢) ينظر : المقدمة : ٩٦٠/٣ و ٩٧٢ ، و ١٢٥١/٤ .

(٣) علم اللغة العام : ٤٢ .

(٤) ينظر : يدخل إلى الالمنية : ٢١ .

(٥) ينظر : في اللغة العربية وخصائصها : ٢٣١ .

...the

()

[illegible][illegible][illegible]

(١) القُدس : ٦٤٦/٣ .

(١) القُدْسَة : ١٤١٧ هـ
(٢) د. ر. : دراسات عن قعدة ابن سُلَيد : ٥١١ ، الملكة اللطيفة في سرايها

• 118 : 65-21-1

(٣) يرد: القيد: ١٤٩/٣.

(3) المرفق ٤ : ١٩٩/٢

الى طريقة المصريين في عهده ، وهي الطريقة التي تبدأ بالحروف ، ويبدو ان هذه الطريقة هي المفضلة عند ابن خلدون ، وذلك لان التعلم بها ((تعتضد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتأتي ملكته على اتم الوجوه))^(١) ، اما تعليمه في الاندلس والمغرب ، فلا يكون بتعليم الحروف كما هي الحال عند المصريين ، بل برسم الكلمات والجمل^(٢) .

ومن الامور التي بحثها ابن خلدون في كلامه على الخط والكتابة ، تاريخ الخط العربي واصله فيقول في هذا الصدد : ((وقد كان الخط العربي بالغاً بالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبايعه لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميري وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل الطيغر نسبة التبايعه في العصبية والمجددين لملك العرب بأرض العراق . ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبايعه لقصر ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . ومن الحيرة لقه اهل الطائف وقريش فيما ذكر . ويقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية ويقال حرب بن امية ، وأخذها من اسلم بن مدرة ، وهو قول ممكن ، واقرب من ذهب الى انهم تعلموها من اياد اهل العراق . . . وهو قول بعيد لان اياد اهل العراق لم يزلوا يحسنون الخط فلم يزلوا على شأنهم من الهداية ، والخط من الصنائع الحضرية))^(٣) .

ان التأمل لكلام ابن خلدون هذا ، يجد ان هناك رأيين في اصل الخط العربي وتاريخه ، طرحهما ابن خلدون ، فالاول يرى ان الخط العربي انتقل الى الحجاز من التبايعه في جنوب الجزيرة العربية ، اي من اليمن ، حيث كان بالغاً بالغه من الاتقان والكمال والجودة في دولة التبايعه — وهو المسمى بالخط الحميري — الى المناذرة في الحيرة نسبة التبايعه ، ولم يكن الخط عندهم من الاتقان والجودة

(١) نفسه .

(٢) ينظر: المقدمة: ٩٤٩/٣ - ٩٥٠ ، وقد تتبعه الدكتور علي عبد الواحد وافي الذي يرى ان طريقة تعليم الخط في الاندلس والمغرب، اي الطريقة التي تبدأ برسم الكلمات والجمل ، هي الطريقة الحديثة المتبعة الان في تعليم الهجاء ، ويرى انها امثل طريقة عن الوجهة القروية لمسايرتها للواقع من جهة ولطبيعة العقل الانساني من جهة اخرى، ينظر في ذلك هاشم المقدمة: ٩٥٠/٣ .

(٣) المقدمة: ٩٥٠/٣ - ٩٥١ .

كما كان عند التتابعة لقصور ما بين الدلتين ، ومن الحيرة الى الطائف وقويس ، ويقال الذي تعلمه بن قريش عن (سفيان بن امية) ويقال (حرب بن امية) وقد اخذها من (اسلم بن مدرة) .

أما الرأي الثاني ، فيرى ان الخط العربي نشأ في العراق ، ولكن ابن خلدون بعد ان يطرح هذين الرأيين ، يوضح موقفه عنهما ، فيرى ان الرأي الاول هو الأرجح عنده استنادا الى ندرته الاجتماعية ، وذلك لان اليمن بلغت من الحضارة والعمران والترف علوا عظيما ، وبما ان الخط من الصنائع الحضارية التي تنشأ وتتمو في المجتمعات المتحضرة ، ولذلك فقد بلغ الخط في اليمن الجودة .

أما العرب في العراق فكانوا أقل حضارة وأكثر بداءة من عرب اليمن ، ولهذا فالقول ان الخط انتقل من اليمن الى العراق ، معقول وممكن ، لان الخط والكتابة شأنها شأن الصنائع لا تبلغ من الاحكام والاتقان والجودة الا حيث تتوفر الحضارة والعمران والترف ، ولهذا ((فالقول بان اهل الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التتابعة وحمير ، هو الاليق من الاقوال)) (١) .

فابن خلدون لا يقبل القول القائل بان ايدا وضعت الخط العربي لانهم بدو (٢) . اذن فابن خلدون يرى ان الخط العربي نشأ من المسند في اليمن وانتقل الى الحجاز عن طريق الحيرة ، وهذا يعني انه قد تأثر بمن سبقه وما تنقله الرواة العرب في هذا الشأن ، فقد ذكر ابن النديم (٣٨٥ هـ) ، ان اهل اليمن يقولون ان حمير كانت تكتب بالسند على خلاف اشكال ألف وياء وتاء (٣) ، ولكنه ومن خلال كلامه على نشأة الخط العربي ، يرفض ما نقله الرواة العرب عن ان الخط العربي توقيف من الله سبحانه وتعالى ، ويرى ان الخط والكتابة من اصطلاحات البشر ، تختلف في رسومها واشكالها باختلاف تلك الاصطلاحات فمنها الخط الحميري ويسمى السند ، وهو كتابة حمير واهل اليمن ، والخط السرياني وهو كتابة النبط والكلدانيين ، والخط العبراني وهو

(١) المقدمة : ٩٥١/٣ ، وينظر : دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٥١١ - ٥١٢ ،

والملحة اللسانية في نصر ابن خلدون : ١٦٥ - ١٦٦ ، برسم المصحف : ٣١ .

(٢) ينظر : المقدمة : ٩٥١/٣ ، واصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر

الاموي : ٢٤ .

(٣) الفهرست : ٨ .

كتابة بني عابر بن صالح بن بني اسرائيل ، والخط اللطيفي خط اللطيفيين من الروم كما يرى ابن خلدون ان لكل أمة من الأمم اصطلاحا في الكتاب ينسب اليها مثل النوك والفرج والورد وغيرهم (١) . كلامه هذا على انواع الخطوط والكتابات المختلفة ، يدل على اقراره لتبعية الكتابة الاصطلاحية ، فهي لكل أمة بحسب اصطلاحها .

ونلاحظ من خلال كلام ابن خلدون على اصل الخط العربي المسمى الخط المسند ، الذي كانت تكتب به حبر ، ومنها تعلقت بضر الكتابة العربية (٢) ، انه تنبه على المرحلة الأولى من المراحل التي اجتازها الرسم العربي (٣) .

اما المحدثون فقد توصلوا ومن خلال بحوثهم ودراساتهم عن اصل الخط العربي وتاريخ تطوره في مراحله الأولى ، الى ان الراجح في اصل الخط العربي انه منحدر من الخط النبطي المتأخر المشتق من الخط الآرامي (٤) ، ومنهم من يرى ان الكتابة العربية نشأت في شمال الجزيرة العربية بتأثير من كتابات عديدة منها الحضورية والنبطية والسند وغيرها (٥) . ومنهم من يرى ان هناك رأيا اكثر واقعية من تلك الروايات ، يرجع الخطوط في الدنيا لأربعة فروع ، هي الامات للاصناف المختلفة من الحروف في العالم ، وهي الخط السامري ، والخط الحيثي والخط الصيني ، والخط المصري (٦) ، ولكنه يرى ان رسم الحرف العربي سهر في شمال الجزيرة العربية ، وهو الاصل الذي تطور من الخط النبطي (٧) . وتذكر بعض المراجع الحديثة ان المستشرقين قد تمكنوا من

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٢٦/٤ - ١٢٢٧ .

(٢) ينظر : المقدمة : ٩٥٢/٣ .

(٣) ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه (فقه اللغة) المراحل التي مر بها الرسم العربي ، وأولى هذه المراحل ، هي اقدم رسم وصلت اليها اللغة العربية بدونة به وشئتق من خط السند ، وتدل على ذلك آثار العربية البائدة ، ينظر : فقه اللغة : ٢٤٦ وما بعدها ، ويبدو ان ابن خلدون قد اشار الى هذه المرحلة من خلال كلامه على اصل الخط العربي .

(٤) ينظر : اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : ٥١ وما بعدها ، رسم النصف : ٤٥ ، والاسلام والكتابة العربية : ٢٦ (بحث منشور) ، قصة الكتابة العربية : ١٢ .

(٥) ينظر : قديم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصره المختلفة : ١١ ، (بحث منشور) .

(٦) ينظر : الخط العربي ، جذوره وتطوره : ١٣ - ١٤ .

(٧) ينظر : الخط العربي ، جذوره وتطوره : ٣٢ - ٣٥ .

معرفة الأصل الذي انحدرت منه الكتابة العربية ، وذلك من خلال دراستهم لبعض الكتابات العربية النقوشية على الصخور والتي تعود الى ما قبل الاسلام ، فتوصلوا الى ان الخط العربي القديم اشتق من الخط النبطي المتأخر الذي اشتق هو من الخط الآرامي (١) .

اذن يمكننا القول ومن خلال ما تقدم ، ان اصل الخط العربي القديم ، هو الخط النبطي الذي اشتق من الخط الآرامي ، والانباط هم قبائل عربية استخدمت الآرامية لغة كتابية لئلا بعد ان تحضرت وترقت ، وجعلت اللغة العربية لغتهم حياتهم اليومية (٢) . واقدام النقوش التي وصلت الينا وهي مكتوبة بالخط النبطي العربي ، نقش النجارة (٣) ، ولذلك ف ((الذي يدقق النحرفي النقوش المكتشفة في شمال الحجاز واقليم حوران وشبه جزيرة سيناء وكلها تنحصر بين عام ٢٥٠ للميلاد وخواتيم القرن السادس الميلادي ، يرى وجه الشبه بين النقوش العربية والنقوش النبطية الاصلية ، ويلحظ التطور الذي أدرك الكتابة وهي تجاوز اصلها النبطي الى صورتها العربية التي جذقها العرب قبل الاسلام ودنوا بها في الجاهلية الاخيرة مذكراتهم اليومية ، ومن يدري لعلهم تراسلوا بها وكتبوا بها الملاحظات)) (٤) .

ويبدو ان اقدم النقوش النبطية يرجع الى سنة (٣٣) قبل الميلاد ، واحداثها شهر في سنة (١٠٦) بعد الميلاد ، اي بعد زوال الدولة النبطية (٥) .

ويرى الدكتور ابراهيم جمعة ، ان ظاهرة الكتابة قد وصلت الى العرب بمسلك واحد طريقين : الاول الطريق الدائر من حوران في النبط ، الى وادي الفرات الاوسط حيث الحيرة والابار ثم الى دومة الجندل فالمدينة ومنها الى مكة والطائف .

(١) ينشر : تاريخ اللغات السامية : ١٣٤ ، ورسم المصحف : ٤٥ ، وفقه اللغة (وافي) : ٦١ .

(٢) ينشر في اصل الانباط : قصة الكتابة العربية : ١٠ وما بعدها ، وتاريخ اللغات السامية : ١٣٤ وما بعدها ، وفقه اللغة (وافي) : ٦٠-٦١ ، وعلم اللغة العربية : ١٨١ ، واصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : ٣٥ وما بعدها ، رسم المصحف : ٤٥ وما بعدها .

(٣) ينشر : تاريخ اللغات السامية : ١٨٩ وما بعدها ، وقصة الكتابة العربية : ١١ ، والاسلام والكتابة العربية : ٢٦ ، وبعداً ظهور الحرف العربية وتطورها لغاية القرن الاول الهجري : ٩٤ (بحث منشور) . وفي اللهجات العربية ٢٤ - ٣٥ .

(٤) قصة الكتابة العربية : ١٣-١٤ . (٥) ينشر : تاريخ اللغات السامية : ١٣٧ .

جودة الخط وارتباطه بالحضارة والعمران فيقول : ((وطما بحر العمران والحضارة في
الدول الإسلامية في كل قطر ، وعظم الملك ، ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب
وأجيد كتبها وتجلدها ، وملئت بها القصور والخزائن الملوكية بما لا كفاً له ، وتنافس
أهل الاقطار في ذلك وتنافسوا فيه)) (١) .

ويعد أن بين ابن خلدون أن صناعة الخط تجود وتتقدم بوفرة العمران وقوة
الدول ، بين أيضاً أن تناقض العمران والاحلال الدول يؤدي الى تدهور الخط
وانحطاطه ، ولهذا السبب انتقل الخط من بغداد الى مصر ، فيقول في هذا الصدد
شيئاً الى طريقة مصر في تعليم الخط : ((ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت
تنافس ذلك أجمع ودرست معالم بغداد بدرس الخلافة ، فانتقل شأنها من الخط
والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة ، فلم تزل أسواقها بها نافقة لهذا العهد ، ولم
بها معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها وأشكالها بتعارفة بينهم ،
فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع وقد لفظها حكامها ،
وحذق فيها دربة وكتابها ، وأخذها قوانين علمية ، فتجني أحسن ما يكون)) (٢) .

وينطلق ابن خلدون من مبدأ اجتماعي آخر هو ((أن الصنائع إذا رست بالحضارة
فيعسر معها)) (٣) ، فيرى أن الخط عند أهل الاندلس قد جاد وارتقى عندما غلب
الاندلسيون العرب على أمرهم وتغلبت عليهم الأم النصرية ، فانتشروا في الاقطار
حتى وصلوا أفريقيا وتغلب الخط الاندلسي على الخط الافريقي الذي كان ينتشر هناك ،
ولكن حال هذا الخط - الخط الاندلسي - قد تسد مؤخراً من جراء تراجع أمر
الحضارة والترف بتراجع وتناقص العمران (٤) ، وكذلك الحال في الرقعة والمغربين
((فصارت الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الرداة بعيدة عن الجودة ، وصارت
الكتب اذا انتسخت فلافائدة تحصل لمصنفها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع
فيها من الفساد والتصحيف وتخير الأشكال الخطية عن الجودة ، حتى لا تكاد تقرأ

(١) نفسه .

(٢) المقدمة : ٩٥٦/٣ .

(٣) المقدمة : ٩٥٧/٣ .

(٤) ينظر : المقدمة : ٩٥٦/٣ - ٩٥٧ .

الابعد عسر ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول ((١)).
ولأنفس إشارة ابن خلدون الى نوع من الخطوط اصطلاحه بعض الكتاب
قائم على وصل الكلمات بعضها ببعض وحذف حروف منه ، وهذا الخط لا يعرفه
الا هؤلاء الكتاب ، ولماذا تكون مستعجمة على غيرهم ، هؤلاء الكتاب هم كتاب
دواوين السلطان وسجلات القضاة ، ولكنه يرفض هذه الانواع من الخطوط ، ولا يعذر
في استعمالها الا كتاب الاعمال السلطانية في الاموال والجيش لانهم مطلوبون
بكتبان ذلك من الناس ، لانه من الاسرار السلطانية التي يجب اخفاؤها (٢) .

ويستمر ابن خلدون في كلامه على الخط العربي ، فيقف عند الخط العربي الاول
الاسلام ، فيجده غير بالغ الى الغاية من الجودة والاتقان ، ولا هو متوسط الجودة ،
وذلك لان العرب كانوا اعرق في الهداية من اهل اليمن والعراق والشام وعصر ، ولذلك
يرى ان رسم الصحابة للمصحف بخطوطهم ، كان غير محكم الاجادة . فخالف الكثير
عن رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط ، ولكن التابعين من السلف اقتفوا رسم
الصحابة بعدهم تبركا بما رسمه اصحاب رسول الله (ص) (٣) . ولذلك نقد من يرى
ان الصحابة كانوا يحكمين لصناعة الخط قائلا : ((وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم
ان في ذلك تعزيزا للصحابة عن توهم النقص في قلة اجادة الخط ، وحسبوا أن
الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا اليهم الكمال باجادته ، وطلبوا تعليل
بخالف الاجادة عن رسمه . وذلك ليس بصحيح . واعلم ان الخط ليس بكمال في
حقهم ، اذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية ، كما رأيت فيما مر ، والكمال
في الصنائع اذالي وليس بكمال مطلق ، اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في
الخلال ، وانما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعائن عليه لاجل
دلالته على ما في النفوس ((٤) .

ان ابن خلدون ، وعلى حسب نظريته الاجتماعية ، يرى ان الخط من الصنائع
الانسانية الحضارية ، والخط عند الصحابة غير مستحكم في الاجادة والاتقان ، ولذلك

(١) المقدمة : ٩٥٢/٣ - ٩٥٨ .

(٢) ينظر : المقدمة : ٩٦٠/٣ - ٩٦١ .

(٣) ينظر : المقدمة : ٩٥٢/٣ - ٩٥٤ .

(٤) المقدمة : ٩٥٤/٣ - ٩٥٥ ، وينظر : الملحة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٦٦ .

لأنهم رسموا المصحف بخطوط العرب المضربة الذين كانوا امروا في الهداوة من العراق والشام واليمن ومصر ، فكانت خطوطهم قاصرة ومخالفة لما اقتضته صناعة الخط ، واستمرت خطوطهم يرسمونهم هذه بعد هم تقليدا متبعها للشرك ، ويضرب ابن خلدون مثالا على مخالفة رسم الصحابة لصناعة الخط وعدم استحكامه ، رسمهم المصحف وقولهم في زيادة الالف في ((لا أذبحه)) (١) ، تنبيه على ان الذبح لم يقع ، وزيادة الهاء في ((لا يبد)) (٢) ، تنبيه على كمال القدرة الربانية ، ويرى ان ذلك لا اصل له من الواقع الا التحكم المحض (٣) .

ويبدو ان ابن خلدون كان مصيبا فيما ذهب من تعليله للمخالفات التي وقعت في رسوم بعض الكلمات — وخاصة العنية على أساس اختلاف المعاني — بأنها لا اصل لها الا التحكم المحض ، ولكنه غير مصيب — اطلاقا — في تصويره لحالة الكتابة العربية لأول الاسلام ، وان ما ذهب اليه العلماء من تنزيههم للصحابة من ان ينسب اليهم الخطأ في الرسم ، كانوا محققين فيه ، لان الصحابة قد كتبوا ورسوموا كلمات المصاحف بالخط الذي كان موجودا في عصرهم ، لان الكتابة موجودة قبل الاسلام ، والصحابة كتبوا بالخط الموجود عندهم ، وكان الخط ابن عصره ، فمن اين يأتي الخطأ في رسم الصحابة للمصحف الشريف ؟ اي ان ابن خلدون — كما ذكرنا — لم يكن مدركا لحالة الكتابة وحال الصحابة لأول الاسلام .

لقد توصلت الدراسات الحديثة ، ان الخط العربي منحدر من الخط النبطي المتأخر الذي اشتق من الخط الآرامي ، وقد توصلت هذه الدراسات الى هذه النتيجة استنادا الى النقوش النبطية القديمة التي وصلت اليها مكتوبة بالخط العربي القديم ، ويبدو من خلال هذه النقوش ، ان ظاهرة الزيادة والاختصار في الحروف من خواص الخط النبطي فمثلا نجد في نقر الحارة كلمة (الحج) اي التاج ، و (نزل) اي نزل ، و (مذحجر) اي مزحج ، و (معدو) اي معد وغيرها من الكلمات التي تتجلى فيها ظاهرة الزيادة والاختصار (٤) ، وكذلك الحال بالنسبة لنقر حران ، فنجد كلمة (غلغو)

- (١) جاءت في قوله تعالى ((لا عذبه عذابا شديدا ، أو لا ذبحه أوليا يتهي بسنطان حين)) (العمل / ٢١) وترسم في المصحف (لا أذبحه) .
- (٢) جاءت في قوله تعالى ((والسماء بين يديها بأيدينا)) (الذاريات / ٤٧) وترسم في المصحف (بأيدي) .
- (٣) ينظر : المقدمة : ٩٥٤ / ٣ .
- (٤) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ١٩٠ ، ونقه اللغة (والي) : ٩٩ — ١٠٠ .

أي ظالم (١) . ولقد توصلت الدراسات الحديثة واستنادا إلى النقوش القديمة ، أن ظاهرة الزيادة والاختصار هي من مميزات الخط النبطي ، هذا عدا الزيادات الأخرى ومنها : أعجام الحروف ((لان هذه الكتابة التي أصبحت كتابة العرب الحجازيين كانت أول أمرها غير منقوطة ولا مشكولة ، لحقها النقط والشكل في زمن متأخر قليلا خشية التصحيف واللين)) (٢) ، وكذلك زيادة الواو في أسماء الأعلام مثل (ظلمو) ، و (وائلو) و (شمسو) ، وكذلك سقوط حرف الالف من بعض الأسماء . وغيرها من المميزات الأخرى (٣) . ومن الطبيعي أن تتقل هذه المميزات التي تميز بها الخط النبطي إلى الخط العربي الذي رسم به المصحف ((والصورة الأولى للخط العربي لا تبعد كثيرا عن صورة الخط النبطي ، ولم يتحرر الخط العربي من هيئته النبطية بحيث أصبح خطا قائما بذاته ، إلا بعد أن استعاره العرب الحجازيون لأنفسهم بقرنين من الزمان . وما تزال في الكتابة العربية حتى يومنا هذا في بعض الأقطار ، وفي كتابة المصاحف بوجه خاص ، آثار نبطية لم يستطع أن يتخلص منها الخط العربي على طول الزمان)) (٤) .

ان الاختلاف في رسم المصحف العثماني ، كان محل نقاش ومطرح تساؤل عند العلماء قديما وحديثا ، وقد اختلفت وجهات النظر في هذا وقامت الدراسة الحديثة بعرض بعض الاتجاهات في مواقف القدماء من غوامر الرسم الخارجة على القواعد التي وضعها علماء العربية ، وفي تحليلهم لتلك الظواهر ، ومن هذه الاتجاهات ما ذكره الدكتور غانم قدوري في كتابه (رسم المصحف) (٥) :

- ١ . تحليل بعض غوامر الرسم بعزل لغوية أو نحوية ، ويرى الباحث المذكور ، أن هذا الاتجاه هو أكثر الاتجاهات قربا إلى الحقيقة والواقع في تناول قضايا الرسم (٦) .

-
- (١) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ١٩٢ ، ولغة اللغة (وافي) : ١٠٢ .
 - (٢) قصة الكتابة العربية : ١٤ .
 - (٣) ينظر : ابن خلدون رسم المصحف العثماني : ١٣٩ - ١٤٠ (بحث منشور) ، وأصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي : ٢٩ وما بعدها .
 - (٤) قصة الكتابة العربية : ١٢ .
 - (٥) ينظر : رسم المصحف : ٢٠٥ - ٢٣٢ ، وقد ذكر الدكتور محمد حسين أبو الفتوح بعض هذه الاتجاهات في بحثه (ابن خلدون رسم المصحف العثماني) ينظر في هذا البحث : ١٤١ - ١٤٩ .
 - (٦) ينظر : رسم المصحف : ٢٠٥ .

- ٢٠ حمل تلك الشواهر على انها خطأ الكاتب، وهذا ما ذهب اليه ابن خلدون لسي
رسم الصحابة للمصحف العثماني ومخالفة خطوطهم لاصول الرسم .
- ٢١ اختلاف الرسم لا اختلاف المعنى ، ويرى ابن خلدون ان هذا التعليل ليس له
اساس الا التحكم المحض (١) .
- ٢٢ اختلاف الرسم لا اختلاف القراءات .
- ٢٣ اختلاف الرسم لحكمة ذهبت مع كتبه .

ويرى الدكتور فاسم قد يرى بعد عرضه لاتجاهات القدماء في تعليل غواهر رسم
المصحف الخارجة على القواعد ، ان التباين في وجهات النظر المختلفة قد جعل
المشكلة اكثر تعقيدا ، دون ان يسهم في التقريب الى فهم الصحيح للمشكلة ، ولذلك
فقد قام الباحث المذكور بتوضيح بعض الوسائل التي تدفع الى محاولة دراسة المشكلة من
جديد على أمل الوصول الى فهم اكثر توفيقا وصدقا لغواهر الرسم المختلفة (٢) .

ويرى الدكتور محمد عبيد ، ان ما ذهب اليه ابن خلدون من اختلاف في رسم
المصحف عند الصحابة ، كان بناء على نظره الاجتماعية ، خالفت ذلك المؤلف الشائع
الجنبي على احساس ديهي اتجاه الصحابة ليس فيهم حاجة اليه ، كما يرى الباحث المذكور
ان رأى ابن خلدون هذا ، لا يقلد فيه غيره ، بل يناقش فيه فهم المقلدين له بان
جادة الصواب ، وانه - رأى ابن خلدون - غير مألوف ، ولا يقوله غيره (٣) .

وبحسب قول ان نظرة ابن خلدون الاجتماعية للخط والكتابة ، نظرة صحيحة ، لكونها
من الصنائع الحضارية التي لا تتجود إلا بجودة العمران ولا تتحقق الا بالتعليم ، اذن فهو
لا يوجد الا في الامم المتحضرة والمتعدية ولكن نظره هذه لا تغفر له ما ذهب اليه
من رسم المصحف بخطوط الصحابة غير المستحكمة في الاجادة والاتقان ، وذلك لان الكتابة
كانت منتشرة في مكة قبل الاسلام ، لانها كانت مركزا تجاريا كبيرا وكانت لها حضارة
واسعة ، اذن فلا بد ان تنتشر الكتابة وتتطور في المراكز التجارية والفكرية الكبيرة مثل
مكة ومكة (٤) . والمصادر القديمة تذكر ان اول الخطوط العربية هو الخط الطي ويعده

- (١) ينظر : المقدمة : ٩٥٤/٣ .
- (٢) ينظر : رسم المصحف : ٢٣٢ ، وقد درس هذه الوسائل في الفصل الرابع من كتابه
المذكور .
- (٣) ينظر : الطلعة اللسانية في نشر ابن خلدون : ١٦٧ - ١٦٨ .
- (٤) ينظر : تاريخ اللغات السامية : ٢٠١ ، والاسلام والكتابة العربية : ٢٦ - ٢٧ (بحث
مبشر) .

المدني (خط المدينة) ، ثم البصري والكوفي (١) .

وبعد مجيئ الاسلام وانتشار الدين الجديد ، وكثرة متطلبات الحياة ، زادت العناية بالخط والكتابة ، فكما نعلم ان الرسول (ص) اتخذ له كتاب أولهم الخلفاء الراشدين . وكذلك في عهده ان الرسول (ص) وبعد معركة بدر الكبرى ، أمر باطلاق اسرى الكفار ، لقاء تعليمهم الكتابة والقراءة لعشرة صبيان من المسلمين ، وهذا عامل آخر من عوامل نشر الكتابة في الاسلام . وقد اشار ابن فارس الى معرفة الصحابة - رضوان الله عليهم - برسمهم المصحف بقوله : ((ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف الذي يحمله التحويون في ذوات بالواو ولم يصوروا الهجزة اذا كانت ما قبلها ساكنا في مثل : الخب (٢) والدفة (٣) ، والميل (٤) فصار ذلك كله حجة وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره)) (٥) .

ان رسم الخط الذي رسم به المصحف لم يكن من صنع الكتاب الذين دانوا دين الاسلام ولا كان قد نزل من السماء بنزول آيات القرآن ، اما كان من صنع اجيال سبقت ظهور الاسلام بزمن بعيد ، فلما جاء الاسلام ووجد للخط العربي رسما يرسم به الكتاب ما يريدون ان يكتبوه ، كتب به المصحف .

ان الخط العربي الذي رسم به المصحف ، لم يتعرض لتطور املائي يخرج على دائرة ما عرفة الكتبة العرب في ذلك الوقت ، من اصول وقواعد . فالخط الذي رسم به المصحف ، وهو الخط العربي مدى الاف السنين ، ولا بد من الزمن الطويل لكي تكتمل قواعد اى خط من الخطوط ، على وجه تام ودقيق .

اذن يمكننا القول ان ابن خلدون قد اغفل حال الصحابة - رضوان الله عليهم - وشأنهم في تعلم الكتابة ، برسمهم المصحف الكريم ، ومن ثم اغفاله لازدهار الحضارة العربية ولا سيما بعد مجيئ الدين الاسلامي الجديد ، ونزول القرآن الجديد على خاتم الانبياء والرسل محمد (ص) ، وتعهده العزيز القدير بحفظ هذا القرآن الكريم

(١) ينظر : الفهرست : ٩ .

(٢) المل / ٢٥ .

(٣) المل / ٥ .

(٤) ال عمران / ٩١ .

(٥) الصحابي : ٤٠ .

حيث قال في كتابه العزيز : ((انا نحن الذكر وانا له لحافظون))^(١) ، ومن ذلك كله يتضح أثر الدين الجديد في نشر الكتابة والتعليم .

وقد ذكر الدكتور علي عبد الواحد والي ، المراحل الخمس التي اجتازها الرسم العربي ، واخر مرحلتين من هذه المراحل الخمس هما :

١ . تأثر الرسم العربي بالرسم العربي ، ومن ثم ظهور اصلاحات كثيرة ومنها دخول نظام الاعجام .

٢ . دخول نظام الرمز الى اصوات المد الطويلة في الرسم العربي^(٢) .

ولكنه يرى ان هذه الاصلاحات التي ظهرت في هاتين المرحلتين ، لم تكتمل في العهد الذي رسم فيه المصحف العثماني ، ولم يكتب لها كل الانتشار ، ولذلك لم يكن الصحابة على علم تام بها ، ولهذا فقد تخرجوا من ادخالها في رسم المصحف^(٣) ، ثم يظهر الباحث المذكور موقف ابن خلدون في شأن ما وقع من اختلاف في رسم الصحابة - رضوان الله عليهم - للمصحف ، بقوله ((والى هذا يحيل ابن خلدون))^(٤) ،

اما الدكتور غانم قدوري فيقول : ((ولا ينبغي ان نتخذ بما في كلام العلامة ابن خلدون - رحمه الله - من الجدية والصراحة والتحليل ، مع انه مصيب في قوله ان اكثر الواجه التي سبقت في تعليل مخالفة الرسم في بعض الكلمات - الجنية على اساس اختلاف المعاني خاصة - لا اصل له الا التحكم المحض ، ومع صدق الواقع فيما كان من بعض العلماء من مذاهب ، تنزيها للصحابة من أن ينسب اليهم الخطأ في الرسم ، فانه غير مصيب - اطلاقا - في تصويره لحالة الكتابة العربية لاول الاسلام))^(٥) .

ويبدو من خلال كلام الدكتور غانم قدوري ، انه يرى ان رأى ابن خلدون في شأن اختلاف رسم المصحف العثماني الذي كتبه الصحابة - رضوان الله عليهم - كان مصيبا في بعضه وغير مصيب في الاخر . ليرى ان رفض ابن خلدون التعليلات التي قدمها القدماء في تفسيرهم للاختلاف الذي وقع في رسم المصحف ولا سيما التعليل

(١) الحجر / ٩ .

(٢) ينظر : فقه اللغة : ٢٤٦ - ٢٤٩ ، وهاش صفحة ٩٥٢ من الجزء الثالث من المقدمة .

(٣) ينظر : فقه اللغة : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) فقه اللغة : ٢٥٠ (الهاش) .

(٥) رسم المصحف : ٢١٠ .

الذي يرجع سبب اختلاف الرسم الاختلاف المعنى ، تعليلات لا أصل لها الا التحكم
الحض ، وفي هذا الاتجاه يظهر صواب ابن خلدون فيما ذهب اليه ، أما
تصوره لحالة الكتابة العربية لاول الاسلام ، فيرى الباحث المذکور ان ابن خلدون
غير مصيب فيه اطلاقا . وهذا يعني ان الدكتور غانم قد يرى قد أدرك ايضا اغفال
ابن خلدون حال الكتابة العربية والذين كتبوا المصحف من الصحابة ، فيقول في
هذا الصدد ، مؤكدا رهاقة الحسن اللغوى الذي يمتلكه الصحابة - رضوان الله
عليهم - الذين تولوا كتابة المصحف : ((فانه (ابن خلدون) غير مصيب - اطلاقا -
في نظره لحالة الكتابة العربية لاول الاسلام ، فلا يعني ضعف القدرة على اجادة
كتابة الحروف والتفنن في رسمها في سواض الحجاز - ان صح ما ذهب اليه في ذلك -
ان الكتابة عندهم كانت عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات اللغة ، أو مضطرة في تمثيل
أصواتها ، فقد كانت الكتابة العربية قد عاشت تجربة طويلة من الاستعمال الواسع
في اطراف الجزيرة قبل أن تدلف الى الحجاز ، قبل الاسلام بقرن أو قرنين - من
الزمن ، واذا كانت قد عانت من وحشة الهداوة في الحجاز فان ذلك لم يتجاوز صورة
الحرف وأداة الكتابة . ومنجد ان الوجوه المخالفة التي ألفت العلماء على مدى
القرن يمكن ان تكون دليلا قويا على رهاقة الحسن اللغوى عند الصحابة الذين تولوا
كتابة القرآن العظيم ، عندما حاولوا تدوين الظواهر الصوتية التي كانوا يحسونها عند
التلاوة مع المحافظة على صورة الكلمات القديمة ، فجاء الرسم محافظا على صورة
الكلمات المعهودة ومثلا للعناصر الصوتية الجديدة)) (١) .

ويرى الدكتور غانم قد يرى ، ان ابن خلدون كان ينظر الى الرسم المصحفي - من
خلال القواعد التي وضعها علماء العربية بعد نسخ المصاحف ، وذلك لانه كان
يتصور وجود نسام للكتابة في أول الاسلام ، خاصة بأهل صناعة الكتابة والخط ، وهو
مختلف عما جاء في المصحف . وقد قصرت هم الصحابة عن الاجادة في استخدام
هذا النظام ، ولهذا وقع الاختلاف في رسمهم للمصحف الذي عد مخالفا لقواعد أهل
صناعة الخط والكتابة في الفترات اللاحقة . (٢)

(١) رسم المصحف : ٢١٠ .

(٢) ينظر: رسم المصحف : ٢١٠ - ٢١١ .

ان ما ذهب اليه الدكتور غام قد يرى ، يدل على انه قد تنبه على الخطر الذي مر به الخط العربي ، وكما نعلم ان الخط الحديث هو خط دعت اليه حاجات كتابية كثيرة ولا سيما لدى أم غير عربية ، تعلمته من العرب ووجدت أنها في حاجة الى توضيحات كثيرة ، صار الخط العربي يتميز بزيات تاهرة ، سادت على تخفيف مشقة كتابه وخطاطيه ، وهذا التطور الذي مر به الخط العربي لا يجوز لاحد ان ينسب الى الخط القديم انه خط خارج عن القاعدة ، فليست القاعدة التي تجرى عليها في الخط اليوم ، يصح منطقيها وتاريخها ان نحتكم اليها في شأن الخط القديم ، فندعي الخطأ على أمر سابق بحقتضى القياس على أمر لاحق .

اما الدكتور محمد حسين ابو الفتوح ، فيرى انه قد اخطأ بعضهم في فهم كلام ابن خلدون عن الخط العربي لاول الاسلام ، يرسم الصحابة للمصحف ، وذلك لانه استعمل كلمة (العرب) بمعنى البدو والاعراب ، وهو على ما نفهمه الان (١) .

ثم يسوغ موقف ابن خلدون بقوله ((فالحقيقة وان كان ابن خلدون قد اخطأ في التعبير عن كلمة العرب فيما ذكره ، فليس الخطأ خطأه لان كلمة العرب انتشر استعمالها وهي تحمل معنى عرب البدو وعرب الحضر ولا تتميز بينهما في ذلك الوقت)) (٢) .

ولكن الباحث المذكور يقر بخطأ ابن خلدون في شأن رسم الصحابة للمصحف ، لانه يراه ايضا قد اغفل حال الصحابة - رضوان الله تعالى عنهم - وعلمهم ودراباتهم بالكتابة ، لانهم كانوا على قدر كبير من العلم والحضارة ، لان العرب في الجاهلية قبل الاسلام تعلموا الكتابة ، ثم انتقلت الكتابة وتوارثتها الاجيال حتى القرن الثالث الهجري ، اي انها انتشرت في مكة قبل الاسلام لمركزها التجاري الكبير ، ثم انتشر الاسلام لمركزها التجاري والديني والحضاري والسياسي ، ولذلك كان فيها رجال ونساء يكتبون الخط ، والخط الذي كتب به العرب هو الخط الكوفي (٣) .

كما يشير الباحث المذكور الى دور الاسلام والرسول محمد (ص) ، في انتشار الكتابة وتطورها في فجر الاسلام ، لاهتمام الاسلام والرسول محمد (ص) ، في تعليم وبشر الكتابة بين عامة الناس (٤) .

- (١) ينظر : ابن خلدون ورسم المصحف العثماني : ١٤٩ (بحث عشرون) .
- (٢) ابن خلدون ورسم المصحف العثماني : ١٤٩ - ١٥٠ .
- (٣) ينظر : ابن خلدون ورسم المصحف العثماني : ١٥٠ (بحث عشرون) .
- (٤) ينظر : ابن خلدون ورسم المصحف العثماني : ١٥١ .

يظهر لنا ومن خلال ما تقدم ان الباحثين المحدثين ، قد اتفقوا في خطأ ما ذهب اليه ابن خلدون في شأن الاختلاف الذي وقع في رسم الصحابة للمصحف بخطوطهم ووصفه بأنها غير مستحكمة الاجادة لانهم كانوا بداءة غير متحضرين •

قال الدكتور محمد حسين ابو الفتوح : ((ان ابن خلدون ، قد أغفل حال الصحابة من معرفتهم للكتابة ، وأغفل القراءات التي جمعتها لغة قريش ، كما أغفل نشأة الكتابة العربية وتطورها وأحال كل ما نراه في رسم المصحف العثماني في مخالفته لقواعد اللغة العربية ، ومن الاملاء أو النحر ، الى عدم دقة الخط في المصحف فوصف العرب بما وصفهم • فالحق يقال : ان الصحابة - رضوان الله عليهم - بذلوا جهدا كبيرا في رسم المصحف فحافظوا على البع الثري للهجات العرب في الرسم القرآني ، ألا وهي القراءات فهي ثروة لغوية ومصدر خصب للغتنا العربية والواجب علينا ان نتابع دراستنا للقرآن لغويا وثقافيا)) (١) •

ولم يكف ابن خلدون بهذا القدر من الكلام على مخالفة رسوم الصحابة للمصحف الكريم ، فقد تنرق له ايضا في كلامه على علوم القرآن من التفسير والقراءات ، مشيرا الى حاجة الناس الى حصر هذه المخالفة لاوضاع الخط في كتب الناس ، واهم هذه الكتب ، كتاب المقنع في معرفة رسوم مصاحف اهل الامصار لابي عمرو الداني (٤٤٤ هـ) (٢) •

من خلال كل ما تقدم من كلام ابن خلدون على الكتابة والخط ، استطعنا ان نصل الى بعض النتائج منها :

- ١ • ان ابن خلدون عد الكتابة الوسيلة الثانية من وسائل الاتصال اللغوي ، فهو يقر بطبيعة الكتابة التواصلية وهذا يتفق مع الدرس الحديث ، وبهذا يكون ابن خلدون قد سبق الدراسات الحديثة في هذا الشأن •
- ٢ • يتفق ابن خلدون مع الدراسات الحديثة واستنادا الى نظريته الاجتماعية ، في ان الخط والكتابة من الصنائع الحضارية التي لا توجد الا بوجود وجودة العمران والحضارة والترف •

(١) ابن خلدون يرسم المصحف العثماني : ١٥١ - ١٥٢ (بحث منشور) •

(٢) ينظر : المقدمة : ٩٩٥/٣ - ٩٩٦ •

- ٣ لا يتفق ابن خلدون مع الدراسات الحديثة في أصل الخط العربي
- ٤ اغفال ابن خلدون لحال الكتابة وكتبه المصحف الشريف في أول الإسلام

الفصل الثاني

الملكة السانية

المبحث الأول مفهوم الملكة اللسانية

اهتم ابن خلدون بالملكات عامة ولا سيما الملكة اللسانية • وتجد هذا واضحا في مقدمته • والملكة • في نظر ابن خلدون • صفة راسخة في النفس تمكن الانسان من القيام بالاعمال العائدة اليها •

وعند وقفنا على معنى الملكة (لغة) في الكتب العربية ، نجد ما قد وردت في المعاجم بمعنى احتواء الشيء • والقدرة على الاستعداد به ((الملك هو الله تعالى يتقدس ملك الطوك ، له الملك وهو مالك يوم الدين ، وهو ملك الخلق اي ربهم ومالكهم ، وفي التنزيل ((مالك يوم الدين)) (١) • • • • • وملك يوم الدين ، يملك اقامة يوم الدين وملك قوله تعالى ((مالك الملك)) (٢) • • • • • وملك الله تعالى وملكوتهم سلطانه وعظمته • • • • • وقوله تعالى ((ملكوت كل شيء)) (٣) ، اي القدرة على كل شيء (٤) •

وفي الكليات ((الملكة تخلق على مقابلة العدم وعلى مقابلة الحال ، فعلى الاول بمعنى الوجوه ، وعلى الثاني بمعنى الكيفية الراسخة)) (٥) •

وفي التعريفات : ((هي صفة راسخة في النفس • وتحقيقه انه تحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الانفعال ويقال لتلك الهيئة : كيفة نفسانية ، وتسمى : حالة ما دامت سريعة الزوال ، فاذا تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير ملكة وبالقياس الى ذلك الفعل عادة وخلقاً)) (٦) •

وقد اهتم العرب القدماء بموضوع الملكة ، وتناولوها شرحا وتوضيحا ، فلجد

-
- | | |
|-----|---|
| (١) | الفاحة / ٤ • |
| (٢) | ال عمران / ٢٦ • |
| (٣) | يونس / ٨٣ • |
| (٤) | لسان العرب : مادة (م ل ك) ، وتنتشر المادة نفسها في تهذيب اللغة ، والمحكم زاسر البلاغة • |
| (٥) | الكليات : ٢٧٥ • |
| (٦) | التعريفات : ١٢٦ • |

ابا نصر اللارابي يرى ، ان الاكتساب يكون عن طريق الحفظ فيرتسم في ذهن المتعلم ما سمع ابن خلدون (المطال) ، وان عمل الملكة عند حصولها هو عمل الرقيب على فصاحة اللسان . فالاكتساب يكون بالسمع أولا ثم بحفظ ذلك المجموع وتكراره حتى يرسخ في النفس (١) .

اما الغزالي (٥٠٥ هـ) فيرى ان الملكة استعداد راسخ في النفس ثم تصدر الافعال بيسر ودين حاجة الى الفكر والروية (٢) .

ثم جاء ابن خلدون متأثرا بمن سبقه في تحديد الملكة ، ووقف عليها وقفة طويلة ، وابدى اهتمامه الكامل بها .

يرى ابن خلدون ، ان الانسان مهيا لاكتساب الملكات ، وقد اشار الى ذلك بقوله : ((ان الملكات صفات للنفس والوان فلا تردحم دفعة . ومن كان على الفطرة كان اسهل لقبول الملكات واحسن استعدادا لحصولها)) (٣) ، ثم يؤكد ان الملكة هي التي تتيح للانسان القيام بشيء ما واتقانه ، وهي المعرفة بجادى هذا الشيء وقواعده والالمام به ، وان لم تحصل هذه الملكة لم يحصل الاتقان ، وأشار الى ذلك بقوله : ((ان الحذق في العلم والفن فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بجادى وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك المتأويل حاصل)) (٤) ، ثم يقرر ابن خلدون بعد ذلك ، ان هذه الملكة غير الفهم والروي ((لانا نجد لهم المسألة الواحدة من الفن الواحد وروعها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مقتدى فيه ، وبين العاوي الذي لم يحصل علما وبين العالمين التحرير . والملكة انما هي للعالم أو الشاوي في الفنون دین سواهما . قدل على ان هذه الملكة غير الفهم والروي)) (٥) .

(١) ينشر: الحريف : ١٤٤ .

(٢) ينظر : معارج القدس : ١٣١ .

(٣) المقدمة : ٩٣٠/٣ .

(٤) المقدمة : ٩٨٥/٣ .

(٥) نفسه .

يرى ابن خلدون ، ان الطلقات كلها جسمانية ، والجسمانيات محسوسة فهي محتاجة الى التعليم ، وأشار الى ذلك بقوله : ((والطلقات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب • والجسمانيات كلها محسوسة ، فنفتقر الى التعليم)) (١) .

لقد اهتم ابن خلدون في التعليم ، وحاول أن يضع الحادي الأساسية التي تستند اليها قواعد هذا التعليم ، فيرى ان المتعلم اذا حصل على ملقة ما فهي علم من العلوم استعداد لقبول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض ، حتى يستولي على غايات العلم ، ويقترب ايضا في شأن التعليم ، ان الطلقات المتسا تحصل بتتابع الفعل وتكرره ، واذا توسي الفعل توسيت الملقة الناشئة عنه (٢) .

فالملقة صفة راسخة في النفس ، تحصل من خلال تكرار الفعل حتى ترسخ صورته ، وتكون الملقة على نسبة الاصل ، وقد اشار ابن خلدون الى ذلك بقوله : ((والملقة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى ، حتى ترسخ صورته ، وعلى نسبة الاصل تكون الملقة)) (٣) .

ولكي تتكمن الملقة من ان تتيج للانسان القيام بالانفعال العائدة اليها واتقانها ، يجب ان تكون — عند ابن خلدون — صفة راسخة ، وثابتة ، ومستحكمة ، ومستقرة ، وجيدة • فالملقة الراسخة قد اشار اليها بقوله : ((واذا كانت ملقة فهي تلك الدلالات راسخة بحيث تتبادر المعاني من تلك الالفاظ عند استعمالها شأن اليديتي والجبلي زال ذلك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم ، أو خف وليس يبق الا معاناة ما في المعاني من العجائب فقط)) (٤) . وقد اكد سابقا ، الاحتياج الى الملقة الراسخة في تشيير المسائل ، وأشار الى هذه الصفة في كلامه على علم الفقه وما يتبعه من فرائض ، فقال : ((ولما صار مذهب كل امام علما مخصوصا عند اصيبل مذهبهم ، ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس واحتاجوا الى تشيير المسائل في الالحاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول المقررة من مذهب

(١) المقدمة : ٩٨٥/٣ .

(٢) ينظر في تعليم العلوم وطرق انادته : المقدمة : ١٢٣٣/٤ — ١٢٣٨ ، ودراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٤٤٩ — ٤٥٠ .

(٣) المقدمة : ٩٢٣/٣ .

(٤) المقدمة : ١٢٥٠/٤ — ١٢٥١ .

امامهم • وصار ذلك كله يحتاج الى ملكة راسخة يقتدربها على ذلك النوع من التشجير او التفرقة وانتاع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا • وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد ((١) •

ثم يـُـكد ابن خلدون ان الملكة يجب ان تكون تامة ، وذلك في كلامه على ملكة العبارة والخط ، فيقول : ((صاحب الملكة في العبارة والخط مستغن عن ذلك لتمام ملكته رانه صار له فهم الاقوال من الخط والمعاني من الاقوال كالجيلة الراسخة ، وارتفعت الحجب بينه وبين المعاني • وربما يكون السدأب على التعليم والمران على اللغة وممارسة الحفظ يفيضان بصاحبهما الى تمكن الملكة كما نجده في الكثير من علماء الاعاجم الا انه في النادرة ((٢)، وقد اكد ايضا ان بلوغ غاية المتكلم في افادة مقصودة للسامع لا يتم الا عن طريق حصول الملكة التامة (٣) •

ثم يشير ابن خلدون الى ان ملكة الانسان المتعلم في الدلالة اللفظية والخطية يجب ان تكون مستحكمة وأشار الى ذلك بقوله : ((وأما ان احتاج المتعلم الى الدراسة والتقيد بالكتاب ومشاهدة الرسوم الخطية من الدواوين بمسائل العلوم ، كان هناك حجاب آخر بين الخط ورسومه في الكتاب وبين الالفاظ المقولة فـ في الخيال • • • ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب آخر بينه وبين مطلوبه من تحصيل ملكات العلوم اعوص عن الحجاب الاول • واذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه وبين المعاني وصار انما يعاني فهم مباحثها فقط)) (٤) • وقد كرر ابن خلدون اشارته الى الملكة من حيث كونها مستحكمة وذلك في كلامه على ملكة الشعر قائلا :

((ان فن الشعر بين الكلام كان شريفا عند العرب ، ولذلك جعلوه ديانا علومهم واخبارهم ، وشاهد صوابهم وخطئهم ، واصلا يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم • وكانت ملكته مستحكمة فيهم شأن الملكات كلها)) (٥) •

(١) المقدمة : ١٠٢١/٣ - ١٠٢٢ •

(٢) المقدمة : ١٢٥٢/٤ •

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٦٨/٤ - ١٢٦٩ •

(٤) المقدمة : ١٢٥١/٤ •

(٥) المقدمة : ١٢٩٠/٤ •

اما كون الملكة ملكة مستقرة ، فقد اشار اليها في كلامه على صناعة الكلام ((اعلم ان صناعة الكلام نظما ونثرا اما هي في الالفاظ لافي المعاني ، والمعاني تتبع لها ، وهي اصل ، فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر اما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها عن كلام العرب ، ليكثر استعماله وجريسه على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسانه)) (١) ، وقد اشار سابقا الى استقرار الملكة في كلامه على التوحيد والعقيدة الايمانية مؤكدا ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس مخالفتها شأن الملكات اذا استقرت ، فتكون بمثابة الجبلية والقلية (٢) .

ثم كرر الاشارة الى صلة الملكة بالاستقرارية ، وذلك عندما اقر بان الملكات متى استقرت ورسخت عثرت كالبها طبيعة وجيلة (٣) .

اما كون الملكة جيدة ، فقد اشار اليها ابن خلدون ، فيرى ان جودة الملكة تكون بجودة المحفوظ والمسموع وطبقته في جنسه ، فقال : ((قد قدما أنه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي . وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الناحلة عنه للحافظ وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده . ثم أجادة الملكة من بعدهما . فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة الناحلة ، لان الطبع اما ينسج على منوالها ، وتتم توى الملكة بتغذيتها)) (٤) . وقد اشار من قبل الى اثر علم الفرائض في تحصيل الملكة على اكل الوجوه (٥) .

لقد وضع ابن خلدون الملكة عامة ، فبها صفة راسخة في النفس تمكن الانسان من القيام بالاعمال العائدة اليها ، وقد اكد انها صفة راسخة في النفس عندما وصفها - كما اشرنا انفا - بانها راسخة وثابتة ومستحكمة ومستقرة وجيدة ، فهذه الصفات هي التي تؤكد رسوخ الملكة واستقرارها في النفس (٦) .

(١) المقدمة : ١٣٠٢/٤ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٠٤٠/٣ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٧٩/٤ .

(٤) المقدمة : ١٣٠٣/٤ .

(٥) ينظر : المقدمة : ١٠٢٧/٣ .

(٦) قد اشار الدكتور ميشال زكريا الى هذه الصفات في كتابه (الملكة اللسانية في مقدمة

ابن خلدون) ينظر : ٢٧ - ٢٨ .

وبعد أن توضح لدينا معنى الملكة عامة ، كما يراها ابن خلدون ، تأتي لتبين معنى الملكة اللسانية في نشره .

لقد ذكرنا أن ابن خلدون ، يرى أن اللغة قبل كل شيء ملكة كلامية أو ملكة في اللسان ، وقد كرر الإشارة إلى ذلك في أكثر من موضع في مقدمته (١) .

ولقد عالج مسألة اكتساب اللغة وتأثير مسار هذا الاكتساب في الملكة اللسانية ، وانطلق في معالجته هذه ، من منطلق ثابت ، مفاده أن اللغة ملكة لسانية يكتسبها الإنسان اكتساباً طبيعياً ، مما يضفي على عملية الاكتساب هذه ، مضهراً طبيعياً . يقول ابن خلدون : ((أن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المخلفين من لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم أعراباً وبلاغة ، أمر طبيعي ، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع ، وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع)) (٢) .

يتضح من كلام ابن خلدون ، أن الإنسان يتكلم لغته كلما طبيعياً ، وذلك يحصل من خلال عملية اكتساب تتم عند كل إنسان ، والملكة اللسانية نتيجة هذه العملية وحصيلتها ، وذلك ((لأن الأفعال الاختيارية كلها ليس شيء منها بالطبع ، وإنما هو مستمر بالقدم والerman حتى يصير ملكة راسخة فيضنها المشاهد طبيعية ، كما هو رأي كثير من البلاداء في اللغة العربية فيقولون : العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع ، وهذا وهم)) (٣) .

المتأمل لكلام ابن خلدون هذا ، يجد أنه يطرح فكرة عامة تنطبق على جميع اللغات ، فيرى أن عملية النطق أي (التكلم باللغة) — أن صح التعبير — لا تتكون بالفطرة ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام . فهو ينظر إلى الملكة اللسانية من خلال التراكيب لا الألفاظ ، وهذا هو هدف الدراسة اللغوية — كما نعلم — فهي تنظر في دراستها

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٥٢/٤ ، ١٢٦٨ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٨٨ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٩/٤ .

(٣) المقدمة : ١٢٢٦/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٤ .

الى الجملة التي يتحقق بها الفهم والافهام (١). فابن خلدون يرى ان هذه الملكة بعد تمكنها واستقرارها في النفس صيرت كأنها جبلة وطبع ، وهي ليست قطرة ولا طبعا بل هي ملكة لسانية تمكنت في النفس ورسخت فظهرت كأنها طبع وجبلة ((فاذا به ينقد بالتجريح والتعديل قضية الطبع والجبلة باعتبارهما من مقومات مفهوم الملكة فينتهي به البحث والاستقراء الى الفصل الصريح بين الطبع والاكتساب مما يعزل البعد اللغوية عن معطيات الجبلة من حيث هي الطبيعة الاولى للانسان (٢) ، وهذا يعني ان ابن خلدون قد فطن الى ان هناك فرقا بين لغة الانسان التي هي بالمليقة ، وما يتعلمه صناعا بالقوانين المتداولة من الكلام ، وقد اشار ابن خلدون الى ان الطفل يكتسب لغة البيئة التي يسمع كلامها خلال نموه الطبيعي بقوله : ((فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم ، يسمع كلام أهل جيله واساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فليقنها كذلك ثم لا يزال ساعدهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم . هكذا تصير اللسان واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال . وهذا معنى ما تقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم)) (٣) ، ومن ثم فرق بين الطبع والجبلة ، وبين ما يتعلمه صناعا بالقوانين ، فيقول : ((وذهبت اماليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعا بالقوانين المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسمه الله تعالى لذلك)) (٤) .

وقد ذكر الدكتور تمام حسان تعريفين للصناعة ، عرفها اللحية ، ووجد أن التعريفين يشتركان بعنصر واحد هو التعم (٥) ، ويوحى هنا العنصر ((باكتساب الياسة معينة معينة تؤدي الى استقلال النتائج عن الخضوع للإرادة الفردية بحيث يرتبط

(١) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٢٦ .

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢١٦ - ٢١٧ ، وينظر : علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٨ (بحث منشور) .

(٣) المقدمة : ١٢٦٩/٤ .

(٤) المقدمة : ٨٩٢/٣ ، وينظر : الدراسات اللغوية في الاندلس : ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٥) ينداء : الاصول : ١٣ .

الوصول اليها بطبيعة المقدمات ((١)، ويرى الباحث المذكور ان الصنعة تقابلها المعرفة في الفكر العربي ، الا ان المعرفة عالم يحصل بمجرد التحصيل دون اشتراط وجود التمن ، ثم يوضح الفرق بين الصنعة والمعرفة ، بالطريق بين تقطيع ابليات القصيدة ومعرفة معاني هذه الابيات ، فيرى ان التقطيع صنعة لانه يبنى على قواعد لا بد من التمن على تطبيقها ، اما معرفة المعاني ، فبالاطمان ان يصل اليها دون ان يخضع الى قواعد معينة (٢) .

اما ابن خلدون فيرى ، ان اللغات ملكات شبيهة بالصنعة ، وهذه الملكات لا تستقر وتتضمن في النفس وتصبح صفة راسخة الا بتكرار الافعال ومن ثم زيادة هذا التكرار ، وقد وضع اكتساب هذه الملكة وتكونها بقوله : ((اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصنعة ، اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني ، وجودتها وقصرها بحسب تمام الحلقة أو نقصانها . وليس كذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكم ، فاذا حصلت الملكة التامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال ، بلغ العتكم حيثذ الغاية من افادة مقصودة للسامع ، وهذا معنى البلاغة . والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال ، لان الفعل يقع اولا وتعود منه للذات صفة ، ثم تكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة)) (٣) .

فحصول الملكة اللسانية عند ابن خلدون ، يتم على مراحل : هي الفعل ومنه الصفة للذات . وتتحول الصفة بواسطة تكرار الفعل الى حال ، الى ان تستقيم ملكة راسخة ، وهذا تصور لارتقاء الملكة ، فيرتكز على يده ((مبدأ الارتقاء بالمعاودة فيكون اكتساب الحدث اللساني محصول معادلة الممارسة والتكرار اي هو منتج الفعل مضروباً في الزمن . وهذا هو حد الملكة كما اسلفنا ويدهي ان يلح ابن خلدون — ومطلقاته على ما تبين من الصراحة الاختبارية — على تميز ملكة الحدث اللساني عن مجرد الفهم أو الادراك لان القدرة على فهم قوالب المواضعة اللغوية لا تتضمن

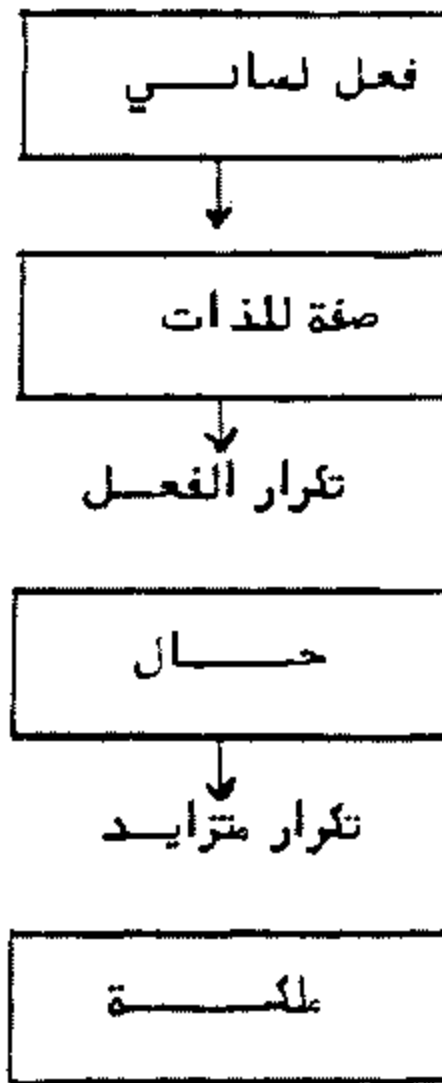
(١) الاصول : ١٢ .

(٢) نفسه .

(٣) المقدمة : ١٢٦٨/٤ — ١٢٦٩ .

وجوبها القدرة على صياغة تلك القالب أو مثالاتها ، فلحظة عقد الاكتساب تتحدد
 اذن بحصول القدرة على التصرف في التعبير بحسب ما وعاه الانسان من تراتيب
 الالفاء واساليب النظم (١) .

ويمكننا تمثيل كلام ابن خلدون بمخطط يوضحه : (٢)



وقد ربط ابن خلدون اكتساب اللغة بالملكة اللسانية ، بل اكد انها مكتسبة ،
 وميز بين نوعين من عمليات الاكتساب : الاكتساب من خلال التوهم في البيئة وسماع
 لغتها ، والاكتساب (التعلم) بواسطة الحفظ والمران (٣) .

وعطية الاكتساب هذه التي أشار اليها ابن خلدون ، تشمل الصغار والكبار
 الذين يعيشون في مجتمع لا يتكلم لغتهم . ويتعلم الكبار لغة المجتمع الذي
 يعيشون فيه تعلمًا طبيعيًا ، وذلك من خلال سماعهم لكلام هذا المجتمع ، وهم
 ليست بهم حاجة الى من يلقنهم اللغة . اما الاطفال فعلاقتهم بكلام البيئة التي

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وينظر : علوم اللسان عند
 ابن خلدون : ٢٩ (بحث منشور) .

(٢) افدت في هذا المخطط ، من المخطط الذي جمده الدكتور ميشال زكريا في كتابه
 الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٧١ .

(٣) قد اشرنا مسبقا الى ذلك في كلامنا على اكتساب اللغة ضمن الفصل الاول .

يعيشون فيها لا يمكن ان نعدّها عملية تعليم ، لانهم يكتسبون المعرفة من خلال تعرضهم للتواصل لسماع كلام بيئتهم فيحاولون اتقان اللغة واكتساب الملكة اللسانية . وتتطور عملية الاكتساب من خلال قدرات الانسان الذاتية ، ومن خلال سماعه للكلام مجتمعه (١) .

ويركز ابن خلدون على الممارسة والتكرار خلال عملية الاكتساب ، فيقول : ((والملكة لا تحصل الا بتكرار الافعال ، لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ، ثم تكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة اي صفة راسخة)) (٢) . ويقول ايضا : ((فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيله وأما اليهم فهي مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر ، الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم)) (٣) ، ويقول ايضا في فصل تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل غالبا للمستعربين من العجم :

((وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استتبطها اهل صناعة اللسان ، فان هذه القوانين انما تفيد علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها)) (٤) .

ويقول ايضا في الفصل نفسه :

((وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب)) (٥) .

فابن خلدون يقدم لنا تصورات عن هذه الملكة من ناحيتين : ناحية اللفاظ (المفردة والمركبة) ، وناحية تمكن اللغة لدى المتعلم من خلال تكرار الافعال ، ويرى

(١) ينظر الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٥ .

(٢) المقدمة : ١٢٦٩/٤ .

(٣) المقدمة : ١٢٦٩/٤ .

(٤) المقدمة : ١٢٧٩/٤ - ١٢٨٠ .

(٥) المقدمة : ١٢٨١/٤ .

أن الملكة اللسانية لا تتم إلا بالنظر إلى التراكيب اللغوية لا بالنظر إلى المفردات، لأنها (التراكيب اللغوية) تعبر عن المعاني التي يقصدها المتكلم، فيتحقق بها الفهم والافهام، ثم يراعى مطابقتها لمقتضى الحال عند التأليف وهذا معنى البلاغة (١).

يمكننا القول أن ابن خلدون رفض أن تكون معرفة اللغة معرفة غريزية، بل مكتسبة ((ولست مما يرثه الكائن الحي كبعض سمات الخلق وصفات المزاج)) (٢). وقد تفرد ابن خلدون بحس لساني دقيق نفذ به ((إلى مفاعلات الاكتساب اللغوي متحمسا قوام الناحية الكلامية انطلاقا من فكرة الملكة وعلامتها التجريبية وأول ما يتقرر لديه في هذا المضمار، أن الملكة في الحدث اللساني تستند إلى حصول كلاً لا يتجزأ. أي أن ممارسة الإنسان للغة بالملكة تنفي عنه أن يكون واعيا بانفصال مفرداتها عن تراكيبها وهو ما ينم عن بصيرة عميقة عند صاحب المقدمة في أمر الناحية اللغوية بما يلحق الاكتساب عن طريق المشا الطبيعي بقوانين الإدراك الشمولي حيث يعي الإنسان الكل دون أن يكون حتما قد وعى أجزائه)) (٣).

ويرى ابن خلدون، أن الملكة اللسانية يمكن أن تتكون في أي لغة وذلك عند من ينشأ في بيئة تتكلم هذه اللغة، وقد وصف ذلك انطلاقا من نظريته الاجتماعية للغة عامة ولا سيما اللغة العربية فيقول في هذا الصدد: ((فالتكلم عن العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم، واستعماله يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، يكون كأحدهم. هكذا تصير اللسان واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها

(١) ينظر: المقدمة: ١٢٧٩/٤، والملكة اللسانية في نظر ابن خلدون: ٢٥، وفي اللغة ودراستها: ٣.

(٢) اللغة والمجتمع (المحرران): ٢٤.

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية: ٢١٦، وينشر: علوم اللسان عند ابن خلدون: ٢٨.

عن غورهم ((١)).

امانة طرائق الاكتساب اللغوية عند ابن خلدون ، فتكتسي بعدا مزدوجا
عن التنوير والاختبار - على حد قول الدكتور عبد السلام المسدي - (٢) لانه أى
ابن خلدون ، يزاوج بين نفعى ملازمات التحصيل واستكشاف قوانين الكلام ، انطلاقا
من بعدا (السمع ابو الملكات) ، لان النفس تنجح لما يلقى اليها ، اذ لسان
المتكلم صورة للسان من ينشأ بينهم ، لانه يسمع كلامهم واساليب مخاطبتهم
وكيفيات تعبيرهم عن مقاصدهم ابتداء بمعاني المفردات ، وانتهاء بانتظام التراكيب
بعضها ببعض . ولا يزال سماعه يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر
الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة (٣) .

من الواضح ان ابن خلدون ، عد اللغات ملكات في اللسان ، ولاحظ ان الملكات
لا تكون الا بالسارة والتكرار ، ولذلك وعلى هذا الاساس يبنى ابن خلدون
نظريته في طريقة تعليم اللسان الضرى ، فوجه التعليم لمن يتغنى ملكة اللسان
الضرى ويروم تحصيلها ((ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجارى على
أساليبهم من القرآن والحديث ، وكلام السلف ، ومخاطبات العرب في أسجاعهم
وأشعارهم ، وكلمات الولدين ايضا في سائر فنونهم ، حتى يتنزل لكثرة حفظه
لكلامهم من المنحوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم .
ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب مهارتهم ، وتأليف
كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ، فتحصل له هذه
الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ، ويزداد بكثرتها رسوخا وقوة)) (٤) . ومع هذا
يرى ابن خلدون ، ان هذا الحفظ والاستعمال يجب ان يترافق مع سلامة الطبع
والتفهم الحسن فيقول : ((ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع

(١) المقدمة : ١٢٦٩/٤ ، ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٢٨ ، والملكة

اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٨ .

(٢) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٦ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ ، والتفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٦ .

(٤) المقدمة : ١٢٧٥/٤ - ١٢٧٦ .

العرب وأساليبيهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بيدها وبين مقتضيات الأحوال •
والذوق يشهد بذلك ((١)، ثم يرى أن جودة المصنوع نثما ونثرا ، تكون على
قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال ، ولهذا يكون من يحصل على هذه الملكة
قد حصل على لغة مضر ، وهو الناقد البصير بالבלافة فيها (٢) •

أن ابن خلدون يعرض رأيه في حاجة الملكة إلى التعلم تعددا وصناعة ،
بعد أن كانت تتعلم فيه طبعا وسليقة ، فحفظ كلام العرب والتعبير على حسب
عباراتهم وتأليف كلماتهم هما ما يؤدي إلى تحصيل الملكة بهذا الحفظ
والاستعمال ، أي أنه يصور الأجواء والظروف الكلامية التي تتيح للمتعلم
— من يرغب تعلم اللغة العربية — اكتساب ملكة اللسان واجادتها ، فيجب
على المتعلم في عصر ابن خلدون ، تكييف نفسه واحاطتها بالنتاج الثقافي
العربي الفصيح ، ثم التعامل معه بالحفظ والممارسة ، أي توفير المناخ اللغوي
واتخاذ الوسائل التي توصل إلى اجادة هذه الملكة اللسانية قدر الامكان (٣) •

واللغة — وهي ملكة صناعة مكتسبة — تشترك مع بقية العلوم من حيث
كونها صناعة ، يحتاج حصولها إلى العناء والتجربة لكي تصبح ملكة ، لأن الفطرة
وحدها غير كافية ((ولا يؤمن غلطها وإن اصاب ما اشبهها برمية من غير رام •
ولو قلنا بها وحدها ، لألغينا العلم ، والصناعات كلها • على أنها لو كانت
كافية ما تعددت المذاهب وما اختلف الناس فيما بينهم بل وما ناقض الانسان
نفسه ((٤) •

ويكرر ابن خلدون توضيحه لكيفية نشوء هذه الملكة وتولدها ، فيرى أن حصول
ملكة اللسان العربي ، إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ((حتى يترسم في
خياله السؤال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسخ هو عليه ، ويتنزل بذلك
منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم ، حتى حصلت له الملكة المستقرة
في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم ((٥) •

- (١) المقدمة : ١٢٧٦/٤ •
(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧٦/٤ •
(٣) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٢٨ — ٢٩ •
(٤) الشفاء (مقدمة المدخل) : ٥٨ • (٥) المقدمة : ١٢٧٨/٤ — ١٢٧٩ •

فحصول ملكة اللسان مرتبط بالمنوال الذي نسجت عليه التراكيب اللغوية في ذهن المتكلم ، فإذا أراد التكلم والخطاب فينمى من حيث يشعر أولاً يشعر على هذا المنوال ، والسبب هو ما تلقاه وحفظه عند الاستعمال والاختيار ، وإن ذهب شكله الظاهر من الذهن ، إلا أن النفس قد تكيفت له حتى يرتسم الأسلوب فيها — وينتقش كأنه منوال يؤخذ بالنسخ عليه • فاكتماب الكلام يتولد عن هذه المنوالات — كما يسميها ابن خلدون — المولدة له لان ((مؤلف الكلام هو كالبنا أو النساك ، والصورة الذهنية المطبقة كالقالب الذي يبنى فيه أو المنوال الذي ينسخ عليه • فان خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسدا)) (١) •

ويؤكد ابن خلدون كلامه هذا ، والذي يسميه الدكتور محمد السلام المسدي (قضية المنوال التوليدي) ، عندما يتعرض الى سلوك الأسلوب في الصياغة الفنية عند أهل الصناعة ، فعندهم هي المنوال الذي ينسخ فيه التراكيب ، أو القالب الذي يفرغ فيه ، ويرجع ذلك الى صورة ذهنية للتراكيب المنظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص رتلك الصير ينزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ، ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ، ثم يلتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان فيرميها فيه رصا كما يفعله البنا في القالب أو النساك في المنوال حتى يتم القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه (٢) •

ويقرر ابن خلدون وجوب الفهم قبل الحفظ من ناحية ، ووجوب التفظن لخواص التراكيب من ناحية أخرى ، فيقول في فصل (علم الادب :)) مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها • وكذلك ذكر المهتم من الانساب الشهيرة والاخبار العامة)) (٣) • ثم يصرح بان ((المقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شيء من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم إذا تصفحه ، لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه ، فيحتاج إلى

(١) المقدمة : ١٢٩٣/٤ ، وينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٧ •

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٩٠/٤ — ١٢٩١ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، والتفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٧ ، وعلوم اللسان عند ابن خلدون : ٣٠ (بحث منشور) •

(٣) المقدمة : ١٢٦٢/٤ •

تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ((١) .

وينتهي ابن خلدون في مفهوم الملكة اللسانية الى تقرير مبدأ العلم والقدرة وتطابقهما مع الملكة عندما يقول ((وانما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن ، بمثابة المقعد الذي يروم النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه)) (٢) .

وذهب الى هذا الدكتور عبد السلام المسدي ، عندما اشار الى ان مفهوم الملكة اللغوية يتطابق مع مبدأين اساسيين هما : العلم أو المعرفة ، والقدرة أو الاستطاعة (٣) ، كما يرى الباحث المذكور ان التفاعل العضوي بينهما مثل الذي بين الادراك والتعبير ، او بين التلقي والبحث ، أو بين التفكير والتركيب (٤) .

ثم ينظر ابن خلدون الى الملكة اللسانية للغة معينة ، فيرى انها تتحصل عند الذي ينشأ في اى بيئة تتكلم هذه اللغة . فالملكة اللسانية تتحصل اساسا في لغة البيئة التي ينشأ ويتربع فيها الانسان ، وهي اللغة الام فيقول في هذا الصدد : ((فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله وأساليبه في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ، فيلقنها أولا ، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر ، الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ، ويكون كأحدهم . هكذا تصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال . وهذا معنى ما نقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع اى بالملكة الاولى التي أخذت عنهم ، ولم يأخذوها عن غيرهم)) (٥) .

فالملكة اللسانية هي في لغة البيئة أو المجتمع الذي ينشأ فيه الانسان ، وهي كما ذكرنا اللغة الام ، ويؤكد ابن خلدون ان الانسان يصعب عليه اكتساب

(١) نفسه .

(٢) المقدمة : ١٣٠٣/٤ .

(٣) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢١٦ .

(٤) نفسه .

(٥) المقدمة : ١٢٦٩/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٩ .

ملكة لسانية تامة وراسخة مضافة الى ملكته اللسانية التي اكتسبها من لخته الام ، والى هذا أشار بقوله : ((فاذا تقدمت في اللسان ملكة العجمة صار مقصرا في اللغة العربية ، لما قدمناه من أن الملكة اذا تقدمت في صناعة بمحل فقل أن يجيد صاحبها ملكة في صناعة اخرى)) (١) .

ثم يؤكد ابن خلدون ان الملكة اللسانية تكون عند الطفل في لغة المجتمع الذي يتروعرع فيه ، وهي غير مرتبطة بالجنس أو بالعرق ، وقد لاحظ ذلك في اطفال العجم الصغار ، فبمقدورهم اكتساب اللغة العربية عندما ينشؤون في مجتمع عربي ، قبل ان يكتسبوا لغتهم الاصلية (الام) ، فأشار الى ذلك بقوله : ((الا أن تكون ملكة العجمة السابقة لم تستحكم حين انتقل منها الى العربية كأصغر أبناء العجم الذين يربون مع العرب قبل ان تستحكم عجمتهم ، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم ، ولا يكون عندهم تقصير في فهم المعاني من العربية)) (٢) ، وكما نعلم ان السليقة اللغوية كانت عند القدماء مرتبطة بالجنس والوراثة ، فهم لا يتصورون ان يسيطر على اللغة العربية ويتقنها غير العربي ، فالسليقة عندهم مرتبطة بالجنس ، اما عند المحدثين فهي ((لا تعدوان تكون مرحلة من مراحل اتقان اللغة ، عندها لا يكاد يشعر المتكلم بخصائص كلامه ، من حيث الاصوات وابنية اللفاظ ، وتركيب الجمل ، فهو يؤدي الكلام بصورة آلية ، دون ان يكون له اختيار في هذه النواحي ، بل تصدر عنه دون تكلف أو تعمد ، وانما على حسب ما سمع في صغره ، من حوله من الكبار وعلى نفس النهج الذي يسلكونه ، فالمرء يبدأ حياته مقلدا للغة ابيه ، وتصادفه عقبات وعثرات في هذا التقليد ويمر بمراحل كثيرة ، قبل ان يصل الى تلك التي تسمى بمرحلة السليقة . أي ان اكتساب اللغة يبدأ بالتقليد وكثرة الممان ، ولا يقال للطفل انشاء تعلمه لغة اهله ، وقيل ان يسيطر عليها ، انه يتكلمها . بالسليقة ، فلا وراثة في السليقة اللغوية ، وانما الامر كله رهن الاكتساب والتقليد والممان ، وعلى حسب ما تشكل الهيئة ، فاللغة ملك من يتعلمها لا أثر للوراثة أو الجنس فيها وليس في السليقة اللغوية لدى المحدثين

(١) المقدمة : ١٢٥٢/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٥٢/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٩ .

شيء غامض أو أمر سحري كما كان علماء العربية القدماء يظنون حين ربطوا بينها وبين الهداية حيناً أو الجذب العربي حيناً آخر^(١)، وهذا ما لاحظته ابن خلدون حين قال : ((اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ، اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الطلقة أو نقصانها ... والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال ، لان الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ، ثم تكرر فتكون حالا ، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ، ثم يزيد التكرار فتكون ملكات اي صفة راسخة))^(٢)، من هنا يتضح ان ابن خلدون قد سبق الدراسات الحديثة في فهمه للملكة اللسانية وحصولها وعراحل ارتقائها . ويبدو ان ابن جلي قد اشار ايضاً الى كون اللغة مكتسبة وليست غريزية ، من خلال تعريفه للغة ، فكون اللغة أصواتاً يعبر بها كل قوم ، معناه ان اللغة لا تتكون الا في داخل المجتمع وحصرها في هذا المجال يؤدي الى كونها مكتسبة وليست غريزية^(٣) .

ويبدو ان التقليد اللغوي الذي ينشأ في الطفولة ، يعتمد على ميل فطري ، يكون الطفل مزوداً به ، ويدافع من هذا الميل الفطري يتجه الطفل بقصد وإرادة الى المحاكاة^(٤) .

ولما كانت اللغة وسيلة الادب وأداته التعبيرية ، فقد عد ابن خلدون اجادتها عاملاً مهماً في صياغة الادب ، وكما نعلم أن اللغة ملكة في اللسان ، فاكساب الملكة اللغوية ، يعين الاديب على تذوق الادب وصياغته صياغة جيدة ، من خلال اساليب العرب ومناحيهم في التعبير . وهذه الملكة اللغوية اساس الخلق الادبي ، فهي تنشيء الذوق البياني للاديب وتساعد على صياغة الادب^(٥) .

(١) مستقبل اللغة العربية المشتركة : ١٣-١٤ ، وينظر فصول في فقه العربية : ٧٨ وما بعدها .

(٢) المقدمة : ١٢٦٨/٤ - ١٢٦٩ .

(٣) ينظر : الخصائص : ٣٣/١ ، وفقه اللغة في الكتب العربية : ٧٢ .

(٤) ينظر : علم اللغة (وافي) : ١٦٠ .

(٥) ينظر : المقدمة : ١٢٦٧/٤ ، وابن خلدون ناقد التاريخ والادب : ٣١-٣٢ .

أما المحدثون فقد تناولوا موضوع الطقة اللسانية شرحا وتوضيحا ، من حيث كونها ظاهرة لغوية مهمة ، فنجد مثلا العالم اللغوي دي سوسور في كلامه على اللغة يميز بين ثلاثة مصطلحات أساسية وهي : (Langue) ويعني بها اللغة الواحدة ، كالعربية أو الانكليزية أو غيرها ، و (Parole) ويعني بها الكلام وهو الاستخدام الفردي للغة الواحدة الذي يتحقق من خلاله النظام الاجتماعي (اللغة) ، و (Langage) ويعني به القدرة اللغوية أو الملكية اللغوية عند الإنسان (١) . ولهذا التمييز ((أهمية كبيرة في البحث اللغوي المعاصر ، فالبحث اللغوي يتجاوز الاستخدام الفردي للغة الى ظاهرة اللغة في أبعادها العامة المشتركة عند أفراد الجماعة اللغوية ، فالإنسان الواحد مهما أوتي من المهارة اللغوية والقدرة اللسانية والتنوع في أسلوب الكتابة لا يستخدم كل المعجم الذي تعرفه لغته ولا يفيد من كل إمكانات البنية اللغوية المتاحة عندما يتحدث أو يكتب اللغة ، ولذا فبحث الاستخدام اللغوي عند الفرد الواحد هو مجرد مرحلة تليها مراحل كثيرة حتى يصل اللغوي الى التعرف على اللغة في موضع البحث)) (٢) . وهذا يعني ان دي سوسور قد أشار، فسي تقسيم اللغة ، الى القدرة اللغوية عند الإنسان وهي التي تقابل الطقة اللسانية عند ابن خلدون . وكما نعلم ، ان الكلام اصوات تخرج من فرد معين ويتلقاها فرد آخر ويفهمها ، فهو اذن صورة من صور اللغة والكلام من الناحية النفسية ((ينتج من التفكير والادراك والنشاط الحركي ، والاستعداد للكلام فطري ، أما اللغة التي يصب فيها الكلام فهي مكتسبة)) (٣) .

فالفرق بين اللغة والكلام ، هو ان الكلام عمل ، واللغة حدود لهذا العمل ، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك ، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط ، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة ، والكلام يحس بالسمع بطلا .

(١) ينظر : علم اللغة العام : ٢٨-٣٥ ، ومدخل الى علم اللغة : ١٢-١٣ ، واضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ١٠٨ وما بعدها ، والالمانية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية : ٥٦ وما بعدها ، والتطور اللغوي : ٥١ ، والالمانية (علم اللغة الحديث) العادي والاعلام : ٤١ وما بعدها . وعلم اللغة (الضامن) : ٢٩ وما بعدها .

(٢) مدخل الى علم اللغة : ١٢-١٣ .

(٣) علم اللغة النفسي : ٢٦ .

وما هو ثابت ، واللغة مفهوم بالتأمل في الكلام . فالذي يتولاه ويكتبه كلاما
الغنى فهو ما يحسه وهي الموسومة في كتب القواعد وله اللغة والمعجم
ومعها ، والكلام يحس ان يكون عملا فرديا ، اما اللغة فلا تكون الا اجتماعية (١) .
ويعتبر بعضهم عرفا بين اللغة والكلام ، الى ان اللغة نظام من الرموز الصوتية
المنفردة في الهيئة الشعرية الواحدة ، اما الكلام فهو الكيفية الفردية
بمستخدام الشعر (٢) .

وهو اندسور ميثان زكريا ان الطلقة اللغوية لا تتكون من الاصوات ، بل
تواجاها احد عما يردى والاخر اجتماعي ، ولا يمكن ادراك احدهما دون الاخر ،
والسنة الشعرية مسورة على تنظيم وتطور قائمين ، وهي مؤسسة حالة وتتجلى
طاع (٣) .

وعندما نقف عند النظرية الالمنية التوليدية والتحويلية ، نجد ان هناك
اسماء ثورا اساسيا بين مفهوم (الطلقة اللسانية) الذي يطرحه ابن خلدون ،
ومفهوم (القدرة الشعرية) الذي يطرحه تشومسكي . ان مفهوم (القدرة اللغوية
Linguistic Competence) الذي يقدمه تشومسكي هو واحد من المفاهيم
النظرية في سريه تشومسكي ، وقد شغل جانبا كبيرا من كتاباته ، وسين طويلا
حارون فيها هذا العالم الالمني الامريكي ان يعرف بهذا المفهوم ويشرحه ،
ويقتل بذلك مجال البحث الالمني من (اللغة) الى (القدرة اللغوية) ، اما
ما يقدمه تشومسكي بهذا المصطلح فهو الاستعداد العقلي الفطري عند الانسان
الذي يتيح له اكتساب نظام قواعد معين وممارسته . يقول تشومسكي : ((ان
للإنسان قدرة خاصة به ، فريدة في تنظيمها الفكري لا يمكن ان تعزى الى
الاعضاء الثانوية أو تنسب الى الذكاء العام . وتظهر هذه القدرة في ما يمكن
السمي (الاستعداد اللغة) ويتم هذا الوجه الخلق بانه غير
محدد في مظهره .

ويقول تشومسكي ((ان معرفة اللغة - تلك المعرفة التي يطلق عليها احيانا (الكفاية) (١) Competence - اما تتطور في اطار سلسلة من المراحل ، تصل في مرحلة ما قبل البلوغ الى حالة رسوخ مستقر يصير تغيير النظام بعدها أمرا صامشيا . ويمكن من ثم ان نفترض ان الكائن الحي ينتقل من حالة أولية الى حالة نهائية من خلال قدر من التفاعل مع البيئة ، واحراز المرحلة النهائية هو الذى يميز بين متكلم اليابانية ومتكلم الانجليزية ، في حين تميز المرحلة الأولية بين الانسان والحجر أو الطائر أو الشبانزى ، فهؤلاء لا يبلغون حالة الرسوخ المستقر تحت ظروف خبرة مشابهة ، كما يمكن الافتراض ان الحالة الأولية هي خاصية جامعة للجنس البشرى (كخطوة (٢) أولى نحو تقريب دقيق للمشكلة) ، وهي خاصية تحدد وراثيا على انها واقف على البشر من الناحية البيولوجية)) (٣) .

ويقول ايضا ((ان نظام قواعد لغة ما يعكس الذخيرة المحدودة الاعتبارية للقولات الملحوظة الى مجموعة يفترض فيها ان تكون غير محدودة من القولات القواعدية فنظام القواعد بهذا المفهوم يعكس سلوك المتكلم الذى يستطيع - استنادا الى خبرة محدودة اعتبارية عن اللغة - ان ينتج او يفهم عددا غير محدود من الجمل الجديدة)) (٤) .

واذا عدنا الى نصوص ابن خلدون ، نجده يقصد بـ (الطلقة اللسانية) ما سماه تشومسكي بـ (ظروف الخبرة) وليس الاستعداد العقلي الفطرى ، فهو يقول : ((والطلقة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى ، حتى ترسخ صورته ، وعلى نسبة الاصل تكون الطلقة)) (٥) .

لقد ربط جل الباحثين في مجال علم اللغة ثنائية دي سوسور (اللغة / الكلام) ، بالثنائية التي يقدمها تشومسكي ، ثنائية (الكفاية / الاداء) ، وتشومسكي طور

(١) الفصح : الكفاية .

(٢) الفصح خطوة .

(٣) اللغة البشرية وانظمة سيميوطيقية اخرى ضمن كتاب مدخل الى السيميوطيقيا :

• ٣٤

(٤) البنى النحوية : ١٩ .
(٥) المقدمة : ٩٢٣ / ٣ .

رأى دى سوسر في اللغة والكلام ، فوصف اللغة بتعبير قدرة أو قابلية (Competence) ووصف الكلام بتعبير أداء (Performance) ، والقدرة تتكون عند كل فرد من أفراد المجتمع وهي التي تمكنه من التعبير كما يريد بجمل جديدة ، ويسمونها المعرفة اللغوية (Verbal Knowledge) (١) . ويرى ان الفرد يتمتع عند ولادته بآلية فطرية نحسها عند كل فرد ناطق باللغة التي يتحدث بها . محيطه اللغوي كما يرى ان كل الناس لديهم مقدرة لغوية ، وان كل طفل سوى سواء كان غبيا أم حاد الذكاء ، يستطيع خلال سنوات معدودة من حياته ان يتقن اللغة التي يتكلمها محيطه دون عناء ، وهذا الامر يعود الى طئمة فطرية عند هذا الطفل يدعوها تشومسكي (الطئمة اللغوية) أو (الكفاية اللغوية) أو (المعرفة اللغوية) ، ويعتقد ان أهم مقومات هذه الطئمة أو القدرة ، معرفة الفرد بالقواعد الصرفية النحوية التي تربط المفردات بعضها ببعض في الجمل ، فهي مجموعة من القواعد اللغوية العامة المتشكلة في ذهن الانسان والتي تمكنه من اكتساب أى لغة بشرية ، كما يرى ان الجمل التي يسمعها الطفل ليست دائما جملا جيدة التركيب بل هي غالبا ما تكون جملا غير مقبولة نحويا ، ومع ذلك فالطفل يمتلك قدرة لغوية خارقة ، وهي خاصة بالانسان دون غيره من الكائنات الأخرى ، وذلك لان أنظمة الاتصال الحيواني تختلف جذريا عن اللغات الانسانية ، فهذه اللغات جميعا طاقة توليديّة لا متنامية ويسمى هذه الصفة ((الابداعية لاستعمال اللغة)) (٢) .

لقد توضح امامنا الان مفهوم الكفاية اللغوية التي اشار اليها تشومسكي وهذا المفهوم لا يطابق مفهوم الطئمة اللسانية التي اشار اليها ابن خلدون كما

(١) ينظر : جوانب من نظرية النحو : ٢٨ ، وعلم اللغة النفسي : ١٣٩ وما بعدها ، وابن جني عالم العربية : ١٦٣ وما بعدها .

(٢) ينظر : جوانب من نظرية النحو : ٢٨ ، ٥٧-٥٨ ، ٦٨ وما بعدها ، والابداع في استخدام اللغة : ٣٨ (بحث مترجم طشور) والبنى النحوية : ١٢-٢٢ ، وابن جني عالم العربية : ١٦٤ وما بعدها ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ١١٥ ، والابداع في اللغة (حول الجديد عند تشومسكي) : ١٦٢-١٦٣ (بحث طشور) وتشومسكي والثورة اللغوية : ١٣٦ (بحث طشور) .

نصب بعضهم (١) .

لقد حدد تشومسكي ((الهدف من النظريات اللغوية بشكل عام ، فيقول : انها مجموعة مترابطة من الفرضيات التي تتناول السمات الرئيسة للغات الانسانية بتهدف تفسير خواص لغوية محددة • والظاهرة اللغوية البارزة التي يــــرى (تشومسكي) ان على اى نظرية ان تعتمد الى تفسيرها هي التالية : يتمتع الانسان بمقدرة على صياغة جمل وتراكيب لغوية جديدة يتخاطب بها مع غيره من الناس ••• وهذه القدرة ارمـا يمكن تسميتها بالابداعية اللغوية ، كانت مجال ملاحظة مفكرين وفلاسفة سبقوا تشومسكي بعصره ، امثال (هـ • بول) الذى رفض المبدأ الذى ساد القرن التاسع عشر ، وموداه ان الانسان حيث يتكلم بلغة ما ، فانما يتذكر جملا سابقة كان قد نطقها أو سمعها ، وقليلـا ما يصل به الامر الى صياغة اخرى جديدة ومستحدثة ، وقد لفت الامر ذاته مفكرا آخر هو (ولهم فون ممولت) ، فأشار الى هذه الابداعية وكان له أثـوه في فكر تشومسكي ونجسـد لدى ديكرت كذلك تأكيدـا على ابداعية اللغة الانسانية ، وهو امر عالجه احد اتباع مدرسته (كورديموى) بالتفصيل ((٢) .

وبعد ان وضع تشومسكي الابداعية اللغوية ، ميز بين مظهرين لغويين هما الكفاية اللغوية وهي القدرة على استخدام اللغة ، والاداء اللغوى اى التطبيق الفعلي لهذه الكفاءة في الكلام والاستماع (٣) • ويدوران التمييز بين الاداء اللغوى والكفاية اللغوية في نظرية اللغة عند تشومسكي ، تطوير لرأى دى سوسور فـي

(١) يرى الدكتور ميشال زكريا ان هناك تشابها بين الملكة اللسانية التي اشار اليها ابن خلدون ، والكفاية اللغوية التي حددها تشومسكي في نظريته ، وهذا غير متحقق ، فكما ذكرنا آنفا ان التشابه بين الملكة اللسانية والنظرية التوليدية التحويلية ، يتجسد بما سماه تشومسكي (ظروف الخبرة) •

(٢) اللغة العربية في اطارها الاجتماعي : ٢٧ - ٢٨ •

(٣) ينظر : جواب من نظرية النحو : ٢٨ ، ودخل الى علم اللغة : ١٣ ، واللغة العربية في اطارها الاجتماعي : ٢٨ - ٢٩ ، والالمنية (علم اللغة الحديث) (الهادى والاعلام : ٤٥ وما بعدها ، والالمنية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية : ٧٤ وما بعدها ، وسيكولوجية اللغة والمرض العقلي : ٤٨ - ٤٩ •

اللغة والكلام (١).

للكفاية اللغوية هي القدرة على إنتاج الجمل بغير جهد ، وهذه القدرة قد طبع عليها الانسان هذا غفلة في واحد اكتساب هذه ، وهي سمة القدرة التي تجسد العملية التي يقوم بها يتكلم اللغة ويتبدى بها عيشة الجمل وذلك طبقا لتنظيم القواعد الضمنية التي يحتملها (١) . أما اللغة المكتسبة التي حددها ابن خلدون ففي صفة واسعة في أنظر تحصيل صدره . فالانسان للتكلم فطريا ، يتكرر الفعل مرة بعد أخرى حتى يخرج صوته في الهواء ، وهي سمة اصل الفعل تكون الطقة . فيصح بذلك أن نقول هو الفطرية ، أو الكفاية اللغوية التي حددها تشومسكي ، بين لغة فطرية التي حددها مفهومها ابن خلدون .

ولستنتج من ذلك كله ، ان هناك عرقا بين الاستعداد لتكلم والتكلم نفسه ، فالاول ضروري للانسان ، فطبعي ان يتكلم الانسان ، كما هو طبيعي له ان يمشي ويتنفس ، وهذا الاستعداد الفطري يظهر على صورة كلمة فطرية يعتمد على التعليم والتدريب والتعود المستمر لاكتساب لغة المجتمع الذي يعيش فيه الانسان ، حتى تصبح اللغة بالنسبة اليه أمرا عاديا لا يترك شعيرة هو يستطيعه ، وهذا ما اكده ابن خلدون في كلامه على الطقة اللسانية ، ثم أكد هذا الكلام من بعده علم اللغة الحديث ولا سيما تشومسكي ، صاحب النظرية التوليدية التحويلية . وهذا يدل على ان ابن خلدون قد سبق فهم اللغويين المحدثين للطقة اللسانية ، ولكنه لا يتفق مع القداماء في ان نطق العرب لغة فطرة وخليقة ، كما انه لا يتفق مع المحدثين في كون اللغة مكتسبة عن غريزة الاكتساب والعرف ، وانما — وكما ذكرنا — قد فرق بين الطبع والصنعة .

ويرى ان اللغة تحصل عن طريق مراحل الطقة اللسانية الثلاث (الصفة ، ثم الحال ، ثم الطقة) ما دامت الظروف مهيأة لاكتساب الطقة وحدوث عواطفها الثلاث ، فالنتيجة حصول الطقة اللسانية والتعبير بها عن المعاني (٢) .

(١) ينظر : يدخل الى علم اللغة : ١٣ .

(٢) ينظر : اللسانية (علم اللغة الحديث) الهادي والاعلام : ٤٥ ، وسوسولوجيا اللغة والعرض العقلي : ٤٩ .

(٣) ينظر : الطقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٠١ وما بعدها .

بعد ان قرر ابن خلدون ان الطلقة اللسانية صفة اساسية راسخة وكنسبة
 بعد ان وضع كيفية تكوين الجواهر ارتفائها متطرق في كلامه عليها الى فسادها
 واعتراجهما الذي يؤدي الى تدهورها . فيرى انها تفسد عند الاحتلاط ، وذلك لان
 الناس في مجتمع معين عند الاحتلاط ، يسمع كيفيات اخرى غير الكيفيات التي
 كانت لمجتمعهم ، فيعبر بهذه الكيفيات عن مقصوده لكثرة المخالطين لـ
 ولمجتمعهم ، وهذا يؤدي الى استحداث طلة ناقصة عن الطلة الاولى ، وهذا
 ما يقرره ابن خلدون بانه معنى فساد اللسان العربي ، وهذا يدل على انه
 قد جعل فساد اللسان العربي بسبب فساد الطلة ، وذلك لتعرض متكلميها الى
 كيفيات واساليب مختلفة يشار الى ذلك بقوله : ((ثم فسدت هذه الطلة لمضمر
 بمخالطتهم الاعاجم ، وسبب فسادها ان الناس من الجبل ، صار يسمع في
 العبارة عن المقاسد كيفيات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب ، فيعبر بها
 عن مقصوده لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم ، وسمع كيفيات العرب ايضا
 فاختلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث طلة وكانت ناقصة عن
 الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي)) (١) .

ثم يصور ابن خلدون صورة اخرى من صور فساد الطلة ، وهي مجيء الاسلام
 الى العرب وخروجهم به الى الامم الاخرى وطلب الطك ، أدى الى مخالطة
 العرب بخيرهم من الامم الاخرى غير العربية ، اى تعرض المتكلم العربي للغات
 اخرى غير عربية ، فقد دخل المجتمع الاسلامي المتعربون مما أدى الى تغيير
 الطلة وفسادها ، وذلك بما ألقى اليها السمع من المخالفات ، لان ابن خلدون
 يعد السمع أبا الطلقات اللسانية ، وهذا ما اشار اليه بقوله : ((فلما جاء
 الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الطك الذى كان في ايدى الامم والدول وخالطوا
 العجم تغيرت تلك الطلة بما ألقى اليها السمع من المخالفات التي للمتعربين
 من العجم ، والسمع ابو الطلقات اللسانية ففسدت بما ألقى اليها مما يخبرها
 لجلوحيها اليه باعتياد السمع)) (٢) . وهذا يعني ان ابن خلدون قد ((احتفظ
 شكليا بالموقف المعيارى من ظاهرة التغير فظل ينعتها بما لا يخلو من شحن

(١) المقدمة : ١٢٦٩/٤ ، وينظر : فلسفة اللغة لابن خلدون : ٤٠ - ٤١ (بحث
 منشور) .

(٢) المقدمة : ١٢٥٥/٤ .

تهجينى وأبت عليه سنن الفكر الصفوى في تاريخ الحضارة العربية - وبموجب تلك السنن سمي التغير فسادا - فانه قد نفذ الى حقائق الظاهرة ولا سيما في نشوئها وتسويتها الى الفرد ثم الى المجموعة حتى يتوطد عليها اللسان باعتبارها المؤسسة الجعاعية المثلثي (١) .

لقد بين ابن خلدون أثر الاختلاط بالاعاجم وتأثيره في الطقة اللسانية مما يؤدي الى فسادها وتغيرها ، اما العزلة وعدم الاختلاط بالاعاجم ، فهي التي تحفظ الطقة اللسانية ، ولذلك كانت لغة قريش - كما يقول ابن خلدون - أفصح اللغات لبعدها عن بلاد العجم ، فلذلك كانت ملكتهم اللسانية تامة وغير ناقصة (٢) . اما القبائل المجاورة لبلاد العجم ، فلم تكن ملكتهم تامة (٣) .

وقد فطن ابن خلدون ايضا الى ان الاختلاط له نوع آخر من التأثير في الطقة وهو الامتزاج ، فكلما بعدت الطقة اللسانية عن الطقة الاولى بسبب الاختلاط والامتزاج بملكات اخرى ، نتج عن ذلك تكون ملكة جديدة حاصلة من امتزاج ملكتين أو اكثر (٤) ، ثم يؤكد هذا الامتزاج مرة اخرى بقوله : ((واما انما ابعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل ، فالان البعد عن اللسان انما هو بمخالطة العجمة ، فمن خالط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلي أبعد لان الطقة انما تحصل بالتعليم كما قلناه ، وهذه ملكة مترجمة من الطقة الاولى التي كانت للعرب ومن الطقة الثانية التي للعجم ، فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويرون عليه يبعدون عن الطقة الاولى)) (٥) .

وهذا يعني ان ابن خلدون يزيد ((مشكلة التحول عن طريق التمسك بالاحتكاك والتداخل كسفا واستتظاكا مقيما قانونه الجدلي الذي بموجبه يتمازج العنصران فيصدر عن انصهارهما عنصر ثالث مغاير لكليهما)) (٦) .

-
- (١) قراءات مع الشابي والمقنبي والجاحظ وابن خلدون : ١٨٨ .
 (٢) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ .
 (٣) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ - ١٢٧٠ .
 (٤) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ .
 (٥) المقدمة : ١٢٧٤/٤ - ١٢٧٥ ، وينظر : الطقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٣١ ، علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٦ (بحث منشور) .
 (٦) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٦ (بحث منشور) .

تهجيني وأبت عليه سنن الفكر الصفوى في تاريخ الحضارة العربية - وبموجب تلك السنن سمي التخريف سادا - فانه قد نفذ الى حقائق الظاهرة ولا سيما في نشوئها وتسربها الى الفرد ثم الى المجموعة حتى يتوطد عليها اللسان باعتباره المؤسسة الجعاعية المثلى ((١) .

لقد بين ابن خلدون أثر الاختلاط بالاعاجم وتأثيره في الملكة اللسانية عما يودى الى فسادها وتغيورها ، اما العزلة وعدم الاختلاط بالاعاجم ، فهي التي تحفظ الملكة اللسانية ، ولذلك كانت لغة قريش - كما يقول ابن خلدون - أفصح اللغات لبعدها عن بلاد العجم ، فلذلك كانت ملكتهم اللسانية تامة وغير ناقصة (٢) . اما القبائل المجاورة لبلاد العجم ، فلم تكن ملكتهم تامة (٣) .

وقد فطن ابن خلدون ايضا الى ان الاختلاط له نوع اخر من التأثير في الملكة وهو الامتزاج ، فكلما بعدت الملكة اللسانية عن الملكة الاولى بسبب الاختلاط والامتزاج بطبقات اخرى ، نتج عن ذلك تكون ملكة جديدة حاصلة من امتزاج ملكتين أو اكثر (٤) ، ثم يؤكد هذا الامتزاج مرة اخرى بقوله : ((واما انها ابعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل ، فلان البعد عن اللسان اما هو بمخالطة العجمة ، فمن خالط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلي أبعد لان الملكة اما تحصل بالتعليم كما قلناه ، وهذه ملكة متزجة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم ، فعلى مقدار ما يسمعون من العجمة ويرون عليه يبعدون عن الملكة الاولى)) (٥) .

وهذا يعني ان ابن خلدون يزيد ((مشكلة التحول عن طريق التسرب بالاحتكاك والتداخل كشفا واستنطاقا مقيما قانونه الجدلي الذى بموجبه يتمازج العنصران فيصدر عن انصهارهما عنصر ثالث مغاير لكليهما)) (٦) .

-
- (١) قراءات مع الشابي والمقبي والجاحظ وابن خلدون : ١٨٨ .
 (٢) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ .
 (٣) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ - ١٢٧٠ .
 (٤) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ .
 (٥) المقدمة : ١٢٧٤/٤ - ١٢٧٥ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٣١ ، علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٦ (بحث منشور) .
 (٦) علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٦ (بحث منشور) .

وبعد ان عرض ابن خلدون قضية فساد الملكة وتغيرها بسبب الاختلاط بالعجم، وما ينتج عن هذا الاختلاط من امتزاج الملكات وتكون ملكة جديدة مخيرة، يلفت نظره مواطن تأثير هذا الفساد، وهو فقدان حركات الاعراب في اواخر الكلام، الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيبة معروفة (١).

وكذلك يرى ان ملكة اللسان المضري لعصره قد فسدت بسبب الاختلاط والامتزاج بالعجمة، فيقول في هذا الصدد: ((اعلم ان ملكة اللسان المضري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت، ولغة اهل الجيل كلهم مخيرة للغة مضر التي نزل بها القرآن، وانما هي لغة اخرى عن امتزاج العجمة بها كما قد منا)) (٢).

ويرى ايضا، انه بغية المحافظة على الملكة وتعلمها، يجب الاخذ بحفظ كلام العرب القديم الجارى على اساليب القرآن، وهذا هو الاساس الذي يدلى ابن خلدون نظريته عليه في تعليم اللسان المضري (٣).

وبعد ان وضع ابن خلدون فقدان حركات الاعراب نتيجة لتأثير فساد الملكة، يرى ان المحافظة عليها، هي باستتباط قوانين لتلك الملكة من اواخر الكلام، مشيرا الى علم النحو وأول من كتب فيه، فيقول في هذا الصدد: ((خشي اهل الحلوم منهم ان تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد فيخلق القرآن والحديث على التقويم، فاستتبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشباه منها بالاشباه، مثل ان الفاعل مرفوع، والمفعول منصوب، والمبتدأ مرفوع، ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته اعرابا، وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا، وامثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال باشارة علي رضي الله عنه، لانه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها،

(١) ينظر: المقدمة: ١٢٧١/٤.

(٢) المقدمة: ١٢٧٥/٤.

(٣) ينظر: المقدمة: ١٢٧٥/٤-١٢٧٦ مودراسات عن مقدمة ابن خلدون: ٤٦١.

نفزع الى ضبطها بالقوانين الحاصرة المستقرة)) (١).

لقد ربط ابن خلدون وضع قوانين اللغة باهتمام اهل العلوم بالمحافظة على الطلقة وقد دفعهم ذلك الى استنباط القواعد من كلام العرب الجارى على المستقيم ووضع العادى العامة والقوانين التي تقوم عليها الطلقة التي تتبجح للعرب التكلم باللغة العربية وتفهمها تفهما سليما صحيحا معادلا للطلقة اللسانية الاولى ايام الفتح العربي الاسلامي ، فالذى دفعهم الى ذلك كله ، خوفهم من فساد الطلقة اللسانية مع مرور الزمن بحيث لا يمكن للاجيال اللاحقة ان تفهم القرآن والحديث ، وقد لاحظ ابن خلدون ، ان هذه القوانين المستنبطة تستخدم للقياس عليها في تصنيف الكلام وذلك بوضع قواعد تشمل انواع الكلام ، وقد لاحظ اهل العلم من العرب تغير الدلالة بتغير حركات الكلمات ، مصطلحين على هذه الظاهرة بالاعراب ، ويستنبطون مواقع الرفع والنصب ، وقد دونوا القواعد المستنبطة فيما اطلقوا عليه (علم النحو) (٢) . وهذا يعني ان علم النحو يندد وصف الطلقة اللسانية وتفسير قضاياها ومن ثم صيانتها والمحافظة عليها ، وذلك من خلال الاطام بها وتعليمها للراغبين في تعلم اللغة العربية وهذا كله يتطلب وضع قواعد وتدريبها ، ولهذا كان اهتمام اهل العلم باستنباط قوانين هذه الطلقة .

ان ابن خلدون قد فطن الى ان المحافظة على الطلقة اللسانية الاصلية عند العرب ، تضبط من خلال قواعد ، واضعا الاهتمامات الدينية بسبب عنه ، سببا رئيسيا في المحافظة على الطلقة ، لذلك كان سعي الخلافة العباسية في استقراء قواعد هذه الطلقة ، وذلك ما اشار اليه بقوله : ((وأول من كتب فيها أبو الاسود الدؤلي عن بني كنانة ، يقال باشارة علي رضي الله عنه ، لانه رأى تغير الطلقة فأشار عليه بحفظها ، نفزع الى ضبطها بالقوانين الحاصرة المستقرة)) (٣) .

(١) المقدمة : ١٢٥٥/٤ - ١٢٥٦ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٥٥/٤ - ١٢٥٦ ، والطلقة اللسانية في مقدمة ابن

خلدون : ٤٥ - ٤٦ .

(٣) المقدمة : ١٢٥٦/٤ ، وينظر : الطلقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٤٦ .

وقد تنبه ابن خلدون على قضية مهمة في حصول الطلقة وحفظها ، وهي :
 ان هذه القوانين والقواعد تساعد على حفظ الطلقة اللسانية ، ولكنها ليست
 قوانين الطلقة حصرا ، فقد اشار الى ان حصول الطلقة لا يتم من خلال معرفة
 القوانين العلمية التي استنبطتها اهل صناعة اللسان ، وان هذه القوانين
 تفيد علما بذلك اللسان ، ولكنها لا تفيد حصول الطلقة بالفعل ، فأشار الى
 ذلك بقوله : ((وهذه الطلقة كما تقدم اما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره
 على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية
 في ذلك التي استنبطها اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين اما تفيد
 علما بذلك اللسان ولا تفيد حصول الطلقة بالفعل في محلها)) (١) .

ويرى الدكتور ميشال زكريا ، ان ابن خلدون ((يحدد العلمي ، يعني
 ضرورة البحث في قواعد الطلقة اللسانية التي تتيح لتكلم اللغة صياغة جميلة
 لغته على نحو اصولي . ومسألة استنباط القواعد القائمة ضمن ملكة التكلم
 اللسانية ، هي ، بالذات ، المسألة الاساسية في النظرية الاسمية التوليدية
 والتحويلية)) (٢) .

وقد فطن ابن خلدون الى ان الفساد قد استمر بسبب المخالطة والملازمة
 بالعجم ، مما ادى الى تخير في موضوعات الالفاظ ، فاستعمل كثير من كلام
 العرب في غير موضعه ولهذا احتج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين ،
 فيقول في هذا الصدد مشيرا الى بدء مرحلة تأليف المعاجم ، مبتدئا
 بـ (العين) للخليل ((وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات
 المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما قلناه ، ثم
 استمر ذلك الفساد بملازمة العجم ومخالطتهم ، حتى تأدى الفساد الى
 موضوعات الالفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم مبالا
 مع مجلة التعريب في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية ، فاحتج الى

(١) المقدمة : ١٢٧٩/٤ - ١٢٨٠ ، وينظر : الطلقة اللسانية في مقدمة ابن

خلدون : ٤٦ .

(٢) الطلقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٤٧ .

أحد حروفه العربية سحاب واخترى حبة الدرس وما ينشأ عنه من
حرفين « غزاق » و « حديد » نحو آخر من لغة اللسان لذلك وأطروا فيهم
منهم * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف

• بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف
سحاب حبة * بل سحاب حبة في لغة الحليل بن أحمد الفراهيدي ، ألف

يتضح مما سبق ، ان ابن خلدون يرى ان العزلة وعدم الاختلاط بالاعاجم يؤدي
الى تكون لغة العرب بالطبع اى باللغة الاولى التي أخذت عنهم ولم
يأخذوا من غيرهم ، والعكس صحيح ، اى عندما تفسد اللغة (لغة مضر) في
عصر ابن خلدون بسبب الاختلاط بالاعاجم يؤدي الى ان تكون لغة العرب
بالمنفعة اى باللغة التي تحدث بكثرة الحفظ وجودة الاستعمال شعرا ونثرا •
ومعنى ان ابن خلدون قد جعل العزلة والاختلاط اساس الفرق بين
الطبع والمنفعة أو التعلم •

لقد نظر ابن خلدون - لكونه عالم اجتماع - الى اسباب فساد اللغة ، نظرة
اجتماعية فهو يرى ان العزلة وعدم الاختلاط اساس الاجتماعي الذي يحافظ

(١) المقدمة : ٤/١٢٥٨ •

(٢) المقدمة : ٤/١٣٠٣ - ١٣٠٤ ، وينظر : اللغة اللسانية في مقدمة ابن خلدون •

على اللغة ، وهذا شأنه في مقدمته في معالجة مظاهر المجتمع عامة ولا سيما
المظاهر اللغوية . وقد تنبه الدكتور منال زكريا على الخواهر النفسية والاجتماعية
العائدة الى الطلقة اللسانية ، والتي قردها ابن خلدون في كلامه عليها (١) . ويبدو
ان الخواهر الاجتماعية التي تعود للطلقة اللسانية ، هي الخواهر النفسية التي
تعود للغة ، لان اللغات تعد ملكات في اللسان (٢) ، اما الخواهر النفسية
فتتركز على اكتساب اللغة وطرائق الاكتساب ونظرياته (٣) .

وقد تنبه ابن خلدون في شأن الظاهرة اللغوية على موضوع الحدس اللغوي
الذي يمتلكه متكلم اللغة العربية ، فيرى ان متكلم اللغة عن طريق الطلقة
اللسانية التي يمتلكها يستطيع ان يحكم على الجمل العربية بالسليقة ، دون أن
يشعر ، وقد اشار الى ذلك بقوله : ((فالتكلم بلسان العرب والمليح فيهم
يتحرى الهيئة المفيدة لذلك على أماليب العرب واتحاش مخاطباتهم ، وينظم
الكلام على ذلك الوجه جهده . فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب
حصلت له الطلقة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه امر التركيب
حتى لا يكاد ينحو فيه غير محض الهلافة التي للعرب . وان سمع تركيبا غمرا
جار على ذلك الضحى منه ونها عنه سمعه بأدنى فكر ، بل ويغير فكره ، الا بما استفاد من
حصول هذه الطلقة)) (٤) ، فعليه يستطيع متكلم اللغة العربية الحكم على الكلام ،
اذا كان من كلام العرب أولا ، هذا ما لاحظ ابن خلدون ، ويرى ان هذا الحكم
وجداني يعود للطلقة اللسانية ومعرفة قواعدها وقوانينها ، فقد تنبه على الحدس
اللغوي النابع من الطلقة اللسانية ومعرفة قواعدها التي تساعد على تمييز الجمل
العربية من غيرها ، ثم يؤكد ابن خلدون ان هذا الحدس اللغوي يختلف عن
الحكم الذي يعتمد القوانين الدخوية والبيانبة المتعلقة بالجمل العربية ، لان هذا
الحكم يعود الى معرفة قواعد اللغة في نظرحم ، وهذا يعني أن المقدرة على
الحكم في الجمل العربية ، هي مقدرة وجدانية تعود الى طلقة لسانية مكتسبة

- (١) ينظر : الطلقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٣ ، ٨١ .
(٢) قد ذكرنا هذه الخواهر ضمن بحث اجتماعية اللغة من الفصل الاول .
(٣) ينظر : الطلقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٣ وما بعدها .
(٤) المقدمة : ١٢٧٩/٤ .

اكتساب طبيعيا عن خلال النشأة في بيئة أو مجتمع عربي ، ومن خلال ممارسة كلام العرب . فقد ادرك ابن خلدون أهمية الحدس اللغوي ، وقد اشار الى ذلك في كلامه على ملكة البلاغة ، قائلا : ((واذا تقرر ذلك فملكة البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذه المسيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه ، لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده . واذا عرض عليه الكلام حائدا عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجبه وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك لما تصنع اهل القوانين النحوية والبيانبة فان ذلك استدلال بما حصل عن القوانين المفادة بالاستقراء ، وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد عنهم)) (١) .

والحدس اللغوي ، هو المقدرة على الحكم بأصولية الجمل سليقة ، لذا يحتاج اليه الالمني في دراسته قواعد الكتابة اللغوية ، فتكلم اللغة ، من خلال خدمه اللغوي يستطيع ان ينتج جمل لغته ويفهمها ، وباستطاعته ايضا الحكم على الجمل ، أصولية هي في لغته أم لا ؟ وهذا الحكم يساعد الالمني على اكتشاف قواعد اللغة ، فاذن ((لا بد للالمني كي يدرس اللغة من التوصل الى المعرفة الضمنية باللغة ، والخاصة بالتكلم . ويتم له هذا انطلاقا من الرغبة التالية : ان الانسان الذي يتكلم لغة معينة يستطيع ان يفهم جمل لغته هذه ، كما انه يستطيع ان يحكم على الجمل الجديدة من حيث الخطأ أو الصواب في التركيب ، ان هذه الاحكام اللغوية التي باستطاعة متكلم اللغة اقرارها فيما يختص بجمل لغته هي ، بالذات ، التي تقوم الباحث الالمني التوصل الى وضع قواعد اللغة . وتسمى مقدرة التكلم على ان يدلبي بمعلومات حول مجموعة من الكلمات المتعاقبة من حيث هي تُولف جملة صحيحة في اللغة أو جملة منحرفة عن قواعد اللغة ، بالحدس اللغوي الخاص بتكلم اللغة)) (٢)

(١) المقدمة : ١٢٨٠/٤ .

(٢) الالمنية (علم اللغة الحديث) الهادي* والاعلام : ١٥٦-١٥٧ ، وينظر : الالمنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ١٩٠ - ٢٠ .

يرى الدكتور عبد السلام العسدي أن المنهج التوليدي يرمي إلى الكشف عما يتحقق للمتكلم عن معارف لغوية وذلك عن طريق الحدس ((فاللغوي يسعى إلى تفسير اللغة وبالتالي لا يستطيع صياغتها بالتعبير عنها • فالالسنوية التحويلية تفسر هذا الحدس دين أن تعتمد هي نفسها منهج الحدس، معنى ذلك أنها تحرض على عقلنة الحدس في نشأته، وهكذا يمكن للنحو أن يفسر كيف أن الإنسان يستطيع أن يفهم أي جملة في لغته ويستطيع أن يولد جملاً تفهم عنه تلقائياً ولم يسبق لهذه أو لتلك أن قبلت أبداً من قبل، فالنحو التوليدي يعكف على الطاقة الكامنة أو (القدرة Competence) أكثر مما يهتم بالطاقة الحادثة أو (الانجاز Performance) • ويعرف تشومسكي اللغة بأنها فطرية تكتسب بالحدس، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يتكلم باللغة إلا إذا سمع صيغها الأولية في نشأته فإن سماع تلك الصيغ ليس هو الذي يخلق القدرة اللغوية في الإنسان وإنما هو يقدح شرارتها فحسب^(١) •

ويبدو أن القواعد التوليدية والتحويلية، تتيح إنتاج الجمل الاصولية العائدة للغة، والحكم على اصولية الجمل لا ينحصر بقول جملة معينة أو رفضها، وإنما تقدر وجود درجات متباينة من حيث النظرة إلى الجملة، لأن الجمل غير الاصولية تتباين بالنسبة إلى درجة انحرافها عن قواعد اللغة^(٢) •

يمكننا القول، أن ابن خلدون، حدد اتجاه الباحث نحو دراسة اللغة من خلال تحليل الجمل التي يقرأها الحدس اللغوي للمتكلم، أي الانعكاس للملكة اللسانية العائدة للمتكلم، فالملكة اللسانية تدرس من خلال دراسة الجمل التي تنتجها^(٣) •

والأمر الآخر الذي فطن إليه ابن خلدون في كلامه على الملكة اللسانية، أن المعنى والدلالة لاتعد في ضمن الملكة اللسانية، لأنها المقدرة على صياغة الألفاظ والمؤلفات الكلامية، وهكذا ميز اللفظ من المعنى، وقد أولى

(١) الفكر العربي والالسنوية : ٢٧ (بحث منشور) ، وينظر الاسس النظرية لتوظيف

اللسانيات في تعليم اللغات : ١٧ (بحث منشور) •

(٢) ينظر: جوانب من نظرية النحو : ٣٣-٣٥ ، والالسنوية التوليدية والتحويلية

وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) : ٨ - ٩ •

(٣) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٤٩ •

الالفاظ الاهمية الاساسية في دراسة اللغة ، لان صناعة الكلام بثرا وشعرا
انما هي في الالفاظ ، لانها الاصل ، اما المعاني فتبع لها ، كما يرى
ان الطكة اللسانية في الالفاظ ، اى في معرفة الاشكال اللغوية ، فيقول
في هذا الصدد : ((اعلم ان صناعة الكلام نظما وبثرا انما هي في الالفاظ
لا في المعاني وانما تتبع لها ، وهي اصل • فالصانع الذى يحاول طكة الكلام
في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ امثالها من كلام العرب ، ليكثر
استعماله وجريه على لسانه ، حتى تستقر له الطكة في لسان مضر)) (١) .

يرى ابن خلدون في هذا النص ان الالفاظ هي الاصل في صناعة الكلام
الادبي ، وان المعاني تتبع لها • وهذه القضية (قضية اللفظ والمعنى) من
القضايا النقدية المهمة التي تناولها القدماء ، وشغلت مساحة كبيرة في الجدل
والاحتجاج الادبيين عند العرب منذ القرن الثالث الهجرى ، فنجد الجاحظ
(٢٥٥ هـ) ، اشار اليها وناقشها بالتفصيل ، ويبدو انه كان ميالا الى تفضيل
اللفظ على المعنى ، فهو يرى ان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي
والعربي والبدوي والقرى والمدني ، وهذه المعاني حرة ، لا تخلق شعرا
وحدها ، الا اذا انتظمت مع غيرها من عناصر البناء الشعرى او الادبي ،
كالوزن السليم ، واللفظ المختار ، وسهولة المخرج وضحة الطبع والسبك الجيد (٢) .

ثم قسم ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) الشعر على أربعة أضرب استنادا الى
معادلة اللفظ والمعنى (٣) . ثم جاء عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) فأصطلح
اكتلاف اللفظ مع المعنى (بالنظم) ، فقد ذكر في كتابه (دلائل الاعجاز) ، أن
اعجاز القرآن ليس في اللفظ وحده ولا في المعنى وحده وانما هو فـي
(النظم) (٤) . ويبدو مما سبق ، ان ابن خلدون اكدان (صناعة الكلام الفني)
اى الشعر والنثر ، تعتمد على الالفاظ وحدها وليست على المعاني وذلك
امتداد لفكرة الجاحظ كما يظهر مما تقدم • فتأليف الكلام للعبارة ، اى اجتماع

(١) المقدمة : ١٣٠٢/٤ ، وينظر : الطكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٥٥ .

(٢) ينثر : الحيوان : ١٣١/٣ - ١٣٢ .

(٣) ينثر : الشعر والشعراء : ١٣ وما بعدها .

(٤) يدل : دلائل الاعجاز : ٣٩ ، ٣٩١ وما بعدها .

الالفاظ هو القوالب للمعاني ، ويدوران كلام ابن خلدون في هذه القضية (اللفظ والمعنى) ، تأكيد تام لفهمه للطاقة اللسانية ، لانه يقول ((ان الصانع الذى يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر اما يحاولها في الالفاظ)) (١) . وهذا دليل آخر على ان الطاقة اللسانية عنده صناعة ، شأن الملكات كلها ، وتحصل هذه الطاقة بحفظ كثير من امثال العرب شعرا ونثرا .

ويتضح مما سبق ، ان ابن خلدون يرى ان الطاقة اللسانية في الالفاظ ، اى في معرفة الاشكال اللغوية ، والالفاظ هي المادة اللغوية ، لذلك كان يؤكد ان الالفاظ هي في اللسان والنطق ، اما المعاني فهي في الضمائر وتحقيقها عند كل شخص وفي طلوع كل فكر ، لذلك لا تحتاج الى تكلف في صياغتها ، اما الالفاظ فتحتاج الى صناعة لكي تعبر عن المعاني ، فتكون بمنزلة القوالب للمعاني ، وهذا ما أكدته قوله : ((والذى في اللسان والنطق اما هو الالفاظ ، واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طلوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ، فلا تحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام للمعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه . وهو بمثابة القوالب للمعاني)) (٢) . ويستمر ابن خلدون مجسدا هذه الفكرة ، ومصرحها على كلامه هذا ، بضرب مثل لتجسيده الموضوع في صورة حسية ، فيشبه الالفاظ بالالوانى المختلفة والمتنوعة التي يخترق بها الماء وهو واحد ، فكما ان الجودة في الالوانى المطبوعة بالماء تختلف باختلاف نوعها ومادتها والماء واحد ، فكذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، والمعاني واحدة ، اى انه يجعل الالوانى وهي الالفاظ ، اساسا في الجودة الفنية وليس المعاني التي يرمز اليها بالماء ، فيقول في هذا السدد : ((فكما أن الالوانى التي يخترق بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الالوانى المطبوعة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها)) (٣) .

(١) المقدمة : ١٢٠٢/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٠٢/٤ ، وينظر : الطاقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٦٨ ،

قراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ولقده : ١٩٦ (بحث منشور) .

(٣) المقدمة : ١٢٠٢/٤ - ١٢٠٢ .

ويبدو ان نظرة ابن خلدون هذه عن اللفظ والمعنى ، تغاير القولية والبلاغية - النقدية المعروفة وهي (ان الالفاظ أوعية المعاني) ، بمعنى ان الراء يتغير شكلا في حدي المعنى الذي يحتوى عليه ، فالمعاني هي التي تغير أوعيتها اللفظية وليس العكس • وما أواني الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف الا اشكال ظاهرية أقرب الى طبيعة من يتناولها على حسب موقعه الاجتماعي ، أي هي زخرف أوزينة فنية قبل ان تكون هي القصد والغاية أي المعنى كالماء في نص ابن خلدون (١) •

ويبدو ان نظرة ابن خلدون عن اللفظ والمعنى ، قد تطرعت كثيرا في الاهتمام بالشكل (الالفاظ) ، لانه جعل الالفاظ أصلا ، وأهل الأصل أو المضمون (المعاني) عندما جعله شكلا ساذجا لا قيمة له ، ولكننا نقول ما قيمة هذه الاواني الذهبية والفضية اذا كان الماء الذي تحمله طحا اجاجا أو عكرا أو آسنا أو آجنا وقد يكون عذبا ، وقد يكون رائقا فاين قيمة الذهب والفضة ؟ (٢) فالتعصب للالفاظ واضح عند ابن خلدون حين جعل اختلاف اجناس الاواني او الالفاظ معيار الجودة وليس المعاني التي هي فكرة تلك الالفاظ وروحها المعنوية التي تجعل الالفاظ ذات دلالة ومغزى في التأليف الادبي • فالالفاظ التي لا يحسن السكوت عليها ، ليست كلاما لانها بلا معنى ، اما الالفاظ التي يحسن السكوت عليها ، فهي الكلام بعينه لانها ذات معنى ، فالمعنى هو المعيار الحاسم في هذه القضية •

وقد سوغ الدكتور محمد عبد اهتمام ابن خلدون بالالفاظ دون المعاني ، بانه لم يأخذ بأمرين كانا غاية في الاهمية وهما (الموهبة والوعي) ، ولو اخذ بهما ابن خلدون ، لاهتم بالمعاني والمشار • وقد ذكر الباحث المذكور ان الدليل على هذا هو قول ابن خلدون بوجود المعاني عند كل واحد وفيه طلوع كل فكر عنها ما يشاء ويرضى ، فلا يحتاج الى صناعة ، وتأليف الكلام هو المحتاج الى الصناعة للتعبير عن هذه المعاني (٣) •

(١) ينظر : ابن خلدون ناقد : ٢٨ (بحث مخطوط غير منشور) •

(٢) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٦٩ ، وابن خلدون ناقد : ٢٨ - ٢٩ (بحث مخطوط غير منشور) •

(٣) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٦٨ - ٦٩ •

وهذا يعني ان ابن خلدون قد نظر الى قضية اللفظ والمعنى من خلال
نظره في مشكلة اللسانية ولسانيتها ، فاهتم بالالفاظ ، لان عملية الصناعة تتم بها
اما المعاني فانه تحتاج الى صناعة ، ونسوته هذه صحيحة من حيث الصياغة
والصناعة ، ولكن لا يعني ذلك اعمال المعاني وعدم الاهتمام بها •

ويرى الدكتور ناصر بندي هلال ، ان رأى ابن خلدون في فهم الالفاظ
والمعاني في العبارة في الثراء النظم ، رأى مفيد ، لانه يصور الالفاظ بالقوالب
للمعاني ، كما يرى ان ابن خلدون عندما خص اللفظ بنزعة له باعتبار البلاغة
ملكة لسانية ، لذا قد جعل قيسر التعبير في الدراسة والحفظ للنص العربي
المختار شعرا ونثرا لانها جزء من علوم اللغة (١) .

اما الدكتور ميشال زكريا فيرى ان ابن خلدون قد اقترب في نظره اللسانية
من حيث المعرفة بالالفاظ والقوالب ، من النظرية اللسانية الحديثة ، لان اللسانية
البنائية الاعريكية ، تتولى الشكل اللغوي كل اهتمامها دين دراسة الدلالة والمعاني ،
وكذلك اللسانية التوليدية والتحويلية تسعى الى وضع القواعد التوليدية الشكلية
التي تقرن الدلالة بالصوت اللغوي (٢) • وهذا يعني ان ابن خلدون تيقن من
ان الملكة اللسانية هي المعرفة بالالفاظ والقوالب التي تحوى المعاني ، لذلك
هو يفصل بين الالفاظ والمعاني • ويرى ان الانسان يعبر عن المعاني
بالالفاظ التي تحوى هذه المعاني ، لذلك كان يقول : ((ثم يتصرف بعد ذلك
في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم ، وتأليف كلماتهم)) (٣) •

اما الدكتور عبد السلام المسدي ، فيرى ان ابن خلدون قد تفحص ((ملكة
تأليف الكلام على مقتضى اساليب العبارة وقوالب اللسان فينتهي الى ان امتداد
الانسان الى تركيب طبقات الكلام على المقاصد والاعراض هو الذى يحرره من
القيود الطبيعية التي تحوطه • ومعنى ذلك ان البعد اللغوي هو محور الانسان
من السكون الى الحركة طالما ان الكائن بدون كلام كالمقعد الذى يروم النهوض

(١) ينظر: جرس الالفاظ : ٨٥-٨٦ •

(٢) ينظر: الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٥٥ •

(٣) المقدمة : ١٢٧٦/٤ •

ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه ((١)،

ومن جهة أخرى ، يرى الباحث المذكور ان ابن خلدون في تعريفه اللغة ، قد حدد فكرة الملكة بالاعتماد على مستويين : الاول فصل ابدية الدوال عن ابدية الدولوات في الكلام ، اما الثاني فهو بيان مراتب التعبير ابلاغاً أو ابداعاً ، وحلل كيفية انحصار المواضع اللغوية باعتبارها جملة من القوانين المرتبطة لبنائها في نسج دوال اللغة ، لانه (ابن خلدون) يرى ان الذي في اللسان والنطق ، اما هو الالفاظ اما المعاني فهي في الضمائر ، ولذلك يكون تأليف الكلام للعبارة عن المعاني فيه حاجة الى القوالب التي تفرزها المواضع اللغوية (٢) .

عن خلال ما تقدم يمكننا القول ، ان ابن خلدون قد نظر الى قضية اللفظ والمعنى من خلال التزامه وفهمه الملكة اللسانية ، وهذا شأنه في تناول القضايا اللغوية التي ترتبط بالملكة اللسانية ، فيرى ان البلاغة ملكة لسانية ، ولكن الشعر في الكلام العالي الطبقة ولا يمكن دراسته في اطار الحدود والملكة والصنعة ، فكل كل شيء هو تعبير عن هموم صاحبه ومجتمعهم ، وطاقت موهبته وشعوره متفجرة في النفس الانسانية ، اذن لا يمكن ان نحددها بحدود الصنعة والملكة . اما الوجود المادي أو الحسي للمعنى فيمكن في ألفاظه ، والوجود المعنوي أو الفكري للفظ ، فيمكن في معانيه ، ومن ائتلاف هذين الوجوديين ، تتولد العبارة المفيدة السليمة تأليفا وتركيبا ، وعندما تنتقل هذه العبارة ، الى تأليف أدبي رفيع متقن النسج والبناء ، سواء أكان في الشعر أم في النثر ، تصاحبها فنون البديع والبيان لتتقلها عن طريق اللغة الرمزية أو الانفعالية الى عالم التأمل الفني والجمال الادبي .

لقد توضحت من خلال ما سبق صورة الملكة اللسانية المستقرة في النفس بعد عطية الاكتساب التي يقوم بها الانسان من خلال معاشته لكلام لخته وتكراره هذا الكلام ، ولكن مما يلفت النظر في موضوع استقرار الملكة في النفس ، تفتش ابن خلدون على استيعاب النفس لعدد الملكات التامة ، فهو يرى ان النفس

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٥٤ - ٥٥ .

(٢) ينظر : التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢١٦ .

لا تتسع لأكثر من ملكة لسانية تامة واحدة ، لذلك لا يحصل الذوق للاعاجم
الداخلين في اللسان العربي والمضطرين للنطق به لمخالطة أهلهم ،
لان ملكتهم فيه قاصرة بسبب تقدم ملكة اخرى الى لسانيهم ، وهي ملكة
لغاتهم الاصلية ، فيقول في هذا الصدد : ((واذا تبين لك ذلك علمت منه ان
الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطرين الى النطق به
لمخالطة أهلهم ، كالفرس والروم والترك بالشرق وكالبربر بالمغرب ، فانهم
لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه الملكة التي قرنا امرحيا •
لان قصاراهم بعد طائفة عن العمر وسبق ملكة اخرى الى اللسان وهي
لغاتهم ان يعتنوا بما يتداوله اهل مصر بينهم في المحاورة عن مفرد ومركب
لما يضطرون اليه عن ذلك وهذه الملكة قد ذهبت لاهل الاعصار ، ويعدوا عنها
كما تقدم • وانما ليم في ذلك ملكة اخرى ، وليست هي ملكة اللسان المطلوبة)) (١) •

ثم يفسر لنا ابن خلدون السبب في عدم استطاعة الاعاجم امتلاك ملكة
لسانية تامة في لغة غير لغتهم التي نشروا وترعرعوا في بيئتها ، ويرى انه
سبب نفسي ، وذلك لاحتلال موقع نفس الانسان بملكته اللسانية الاولى
العائدة الى لغة الام ، وهذا الموقع من ثم غير مستعد لاستقبال ملكة لسانية
اخرى مخيرة ، فيرى ان الذي يتقدم له شيء من العجمة يصبح قاصرا عن
اللسان العربي ، وقلما نجد من الاعاجم من يحكم ملكة اللسان العربي ، فيقول
في هذا الصدد : ((وانظر من تقدم له شيء من العجمة كيف يكون قاصرا في
اللسان العربي ابدا • فالاعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على
ملكة العربي ، ولا يزال قاصرا فيه ولو تعلمه وعلمه • وكذا البربر والروم
والافرنجى قل ان تجد احدا منهم يحكم لملكة اللسان العربي • وما ذلك الا
لما سبق المنتهين من ملكة اللسان الاخر)) (٢) •

ويبدو ان ابن خلدون قد فطن الى حقيقة قائمة ، وهي ان الانسان قد يمتلك
لغة ثانية مع لغته الاصلية (اللغة الام) ، ولكن لا تستحكم عنده ملكة اللغتين

(١) المقدمة : ١٢٨٠/٤ — ١٢٨١ •

(٢) المقدمة : ١٢٨٨/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٧٤ •

الثانية ، وان بلغ درجة الاتقان فيها ، وذلك لان الملكة اللسانية الحقيقية ، تستقر وترسخ في لفتها التي نشأ وترعرع في بيئتها ، وهذه الملكة تتأصل في النفس وتستقر ، بحيث تؤثر في كل ملكة تأتي من اى لغة اخرى يحاول الناس تعلمها واتقانها ، وان حصلت الملكة اللسانية الثانية ، فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة ، وذلك لان الملكة اللسانية الاولى قد استقرت في النفس ، لان ((الملكة اذا سبقتها ملكة اخرى في الحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة)) (١) ثم يكرر ابن خلدون عداه هذا ويلاحظ ان الاعجمي في النسب ، حتى وان سلم من مخالطة لفته وقاطعها مقاطعة تامة ، وذهب لتعلم ملكة اللغة العربية بالحفظ والمداولة ، لا يستطيع امتلاك هذه الملكة امتلاكاً ، وربما يحصل ذلك ولكنه نادر ولا يخفى على احد ، فيقول في ذلك : ((وان فرضنا عجمياً ففى النسب سلم من مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداولة وربما يحصل له ذلك . لكنه عن النادر بحيث لا يخفى عليك بحاتقرد)) (٢) .

ان الذى فطن اليه ابن خلدون من ان النفس لا تتسع لاثور من ملكة لسانية تامة ، وان حصلت ملكة لسانية ثانية ، فلا تحصل الا ناقصة ومخدوشة ، وقد اشارت اليه النظرية التوليدية التحويلية ، فهي لا تأخذ بالحدس اللغوى الا من المتكلم الذى اكتسب لفته الاصيلة اكتساباً طبيعياً من خلال ترعرعه في بيئته التي تتكلم بهذه اللغة ، وتشوعسكي يحددها بالجل الاكثر قبولاً والتي يكون انتاجها اكثر من غيرها التي يتجنبها المتكلمون (٣) . وقد تنبه على ذلك الدكتور ميشال زكريا فقد رأى ان ابن خلدون قد سبق النظرية التوليدية التحويلية ، وان النظرية قد اعترفت بكل ما جاء به ابن خلدون في هذه المسألة ، وأشار الى ذلك قائلاً : ((مما لا شك فيه ان بمقدور الانسان ان يتعلم لغة ثانية ، الا ان ملكته للغة الثانية تبقى ناقصة بعرض الشيء ، وان بلغ اتقانه للغة الثانية اقصى درجات الاتقان . وهذا امر طبيعي عائد الى ان الملكة اللسانية الحقيقية

(١) المقدمة : ١٢٨٢/٤ . (٢) نفسه .

(٣) ينشر : جوانب من نظرية النحو : ٣٣ - ٣٥ ، وينظر : صاحب في النظرية اللسانية وتعليم اللغة : ١١٠ - ١١١ ، والالسانية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) : ٨ - ٩ .

تتم عن خلال التروعر بصورة طبيعية في البيئة • وهذه الملكة تتأصل في ذات الإنسان على نحو يؤثر في كل علية تعلم لاحقة تختص بأية لغة أخرى، وهذه المسألة تعترف بـ: (١) اللسانية التوليدية والتحويلية • ففي ظل هذه النظرية لا يمكننا ، مثلا ، الاخذ بالحدس اللغوي العائد الى متكلم لغة معينة ما لم يكن المتكلم عذا قد اكتسب لغته بصورة طبيعية خلال تروعره في بيئة تتكلم هذه اللغة (١) •

ثم يؤكد الدكتور ميشال زكريا كلامه هذا ، يأخذ مثال على ذلك وهو المستشرق الذي يختص باللغة العربية ، فانه مهما بلغ اتقانه اللغة العربية ، فلا يمكن الاخذ بحدسه اللغوي ، وكذلك فيما يخص اللساني الذي يعيش في باريس ويتقن اللغة الفرنسية ، فليس بالامكان قبول حدسه اللغوي فيما يتعلق باللغة الفرنسية (٢) • ثم تطرق الباحث المذكور الى الاهداف التي تسعى اليها النظرية اللسانية في مجال تعليم اللغة الثانية ، وهي ايجاد المتعلم الى كفاية لغوية تقارب كفاية متكلم اللغة ، وذلك لعدم الاقرار بإمكان ايجاد متعلم اللغة الثانية الى كفاية لغوية تامة ، كما يرى ان التداخل بين اللغة الثانية واللغة الام ، اهم مسألة تعانيها النظرية في تعليم اللغة الثانية ، بل اهم العوائق في مجال اتمام هذا التعليم ، لان الملكة اللسانية الحقيقية لا تتم عند الانسان الا مرة واحدة وفي اللغة التي يتروعر فيها (٣) •

(١) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٧٥ - ٧٦ •

(٢) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٧٦ •

(٣) نفسه •

البحث الثاني الملكية الصناعية وقوانين العربية

تعرض ابن خلدون في مقدمته الى موضوع ذي أهمية بالغة ، وهو علاقة النحر وقوانين الاعراب بالملكية الصناعية ، وكان يسعى تلك القوانين بـ (صناعة العربية) .

ان الملكية الصناعية في نحره مفهوم مغاير لمفهوم صناعة العربية ، ونسب إليه ان مفهوم الملكية لا يستلزم توافر صناعة العربية ، وانما تنشأ وتتطور مستقلة ومخيرة لتلك الصناعة العربية . وقد اشار الى ذلك بقوله : ((في هذا تعلم أن تلك الملكية هي غير صناعة العربية ، وانما مستخوة عنها بالجملة))^(١) . فبعد ان اكد الاختلاف القائم بين الملكية الصناعية وصناعة العربية ، يأتى السبب في ذلك فيقول : ((والسبب في ذلك أن صناعة العربية ، انما هي معرفة قوانين هذه الملكية وعقاييمها خاصة ، فهو علم بكيفية لانفس كيفية ، فليس من نفس الملكية ، وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ، ولا يحكمها عملا))^(٢) . ومن الواضح من كلامه هذا انه يشير الى العلاقة القائمة بين الملكية الصناعية وصناعة العربية ، وهي ناتجة عن العلم والمعرفة بقوانين الملكية وليست الملكية الصناعية نفسها .

فان من يتعلم هذه القوانين من غير ان يسعى الى اكتساب هذه الملكية يكون ((بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا)) ، وكما نعلم ان انتاج الكلام بالعودة الى قوانين الملكية الصناعية ، فلماذا كانت صناعة العربية - انتاج الكلام - قائمة على الالتزام بقوانين هذه الملكية . وتوضيحا لرؤيته هذا يشير الى الفرق بين معرفة اصول الخياطة أو التجارة نوريا ، وبين اتمامها عمليا ، اذن هو يوضح رأيه هذا بالتفريق بين الملكية وقوانين الملكية ، ان يبين

(١) المقدمة : ١٢٧٧/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٦/٤ .

العلم النحوي والخبرة العملية بالتجربة (١) . ثم يقول ((وهكذا العلم بقوانين
الاعراب مع هذه الملكة نفسها — فان العلم بقوانين الاعراب ، انما هو علم
بكيفية العمل وليس هو نفس العمل — ولذلك نجد كثيرا من جهابذة النحاة
والشعرا في صناعة العربية السحيطين علما بتلك القوانين ، اذا سئل في كتابة
سؤلين الى اخيه أو ذري مودته أو شكرى ظلامه أو قصد من قصوده أخطأ
غويا عن الحواب واكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن
المتشدد على اساليب اللسان العربي)) (٢) .

المأمل في كلام ابن خلدون هذا ، يجد انه يميز ايضا الملكة اللسانية
عن قوانين الاعراب ، فالملكة اللسانية هي علم بالقوانين الاعرابية ، أي علم
بالنحو وقوانين اللغة ، ولكنها ليست القوانين الاعرابية نفسها ، وان اللغة
— في نظر ابن خلدون — ملكة لسانية عند متكلميها ، ومن ثم هي ليست القواعد
والقوانين المذكورة في الكتب اللغوية والتي تنص عليها هذه الكتب ، بل هي
المعرفة القائمة عند كل متكلم ، بالقوانين والقواعد التي تساعد على ان يتكلم
لخته ، وكذلك انها ليست صناعة العربية ، لان صناعة العربية قائمة على
المعرفة بقوانين الملكة ، أي المعرفة بقواعد اللغة ، لذا نجد ابن خلدون
يلتزم بدقة عدية باللغة تتضح من خلال تمييزه الملكة اللسانية من صناعة
العربية وقواعد اللغة (٣) .

تستطيع القول اذن ، الملكة اللسانية هي المقدرة على استعمال اللغة
استعمالا صحيحا ، وان الانسان اذا اكتسب ملكة لسانية تعينه على اتقان لخته
اتقانا كاملا ، ليس بالضرورة ان يكون عالما بقوانين الاعراب وصناعة العربية ،
لانا ((نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمثبور ،
وهو لا يحسن اعراب الفاعل عن المفعول ، ولا العرفوع من المجرور ، ولا شيئا من
قوانين صناعة العربية . فمن هذا نعلم ان تلك الملكة هي غير صناعة العربية ،

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٧٦/٤ — ١٢٧٧ ، والملكة اللسانية في نظر ابن خلدون :
٣٠ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٧/٤ .

(٣) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٣ — ٢٤ .

وأندوا مستغنية عنها بالجملة)) (١) .

أن ابن خلدون لا ينكر إمكان اجتماع معرفة قوانين الاعراب مع ملكة اللسان ، ولكنه يلاحظ أن ذلك يتأش على الأكثر من خلال درس كتاب سيويه لأنه ((لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط ، بل شاملاً كتابه من أمثال العرب وشواهد أشعارهم وعباراتهم ، فكان فيه جزء صالح من تعلم هذه الطلقة • فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على ما من كلام العرب وأندرج في محفونه في أماكن ومفاصل حاجته رتبته به لسان الطلقة فاستولى تعليمها ، فكان أبلغ في الافادة)) (٢) .

أن ما ذهب إليه ابن خلدون كان محتملاً فيه ، لاسيما نجد كثيراً ممن يجيدون اللغة العربية اجاداً عامة ، تتعثر عندم الطلقة في النطق أو تتعدد عندهم الحقيقة الحاسمة ، فيضطرون الى مراجعة مصادر النحو واللغة ، ويبدأ يصحح النحو وقوانين الطلقة ، بل شر حارس لها • (٣) .

ولكن ابن خلدون لاحظ ، أن بعض المالطين لكتاب سيويه ، قد غفلوا عن التفطن لأمر الطلقة اللسانية ، لأنهم لم يهتموا أساساً بحفوت ما فيه ممن نصروا ، أما المالطين لكتب التأخرين ، فقلما يشعرون بأمر هذه الطلقة ، وهم أبعد الناس عن اللسان العربي ، وقد أشار الى ذلك بقوله : ((ومن هؤلاء المخالطين لكتاب سيويه من يغفل عن التفطن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ، ولا يحصل عليه حكمة • وأما المخالطين لكتب التأخرين العارية ممن ذلك إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الطلقة أو ينتبهون لتأثيرها ، فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم أبعد الناس عنه)) (٤) .

أن التأمل لكلام ابن خلدون السابق ، يجد أنه قد فطن الى أن من كتب النحو التي حوت ما ساءه (قوانين الاعراب أو صناعة العربية) ، في تكون الطلقة

(١) المقدمة : ١٢٧٧/٤ •

(٢) المقدمة : ١٢٧٧/٤ - ١٢٧٨ •

(٣) ينظر : الطلقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٢٢ •

(٤) المقدمة : ١٢٧٨/٤ •

اللسانية ، ولكنه لم يوضح مدى فائدة هذه القوانين وجدواها ، بل قرر بكل صراحة ، انه لا علاقة لها بالملكة اللسانية وهذا ما بيناه آنفا . وقد حاول ابن خلدون ان يقدم قضية الملكة اللسانية من خلال تقويمه كتب النحو فقرر ان كتاب سيويه بما يحوى من نصوص كثيرة من كلام العرب من الاعمال والشواهد والاشعار التي تستقر في ذهن الدارس والمتعلم ، معين على انتبه على الملكة فتتكون لدى ذلك الدارس أو المتعلم تلك الملكة . —
جـ — حفظه المتكرر لهذه النصوص . فكتاب سيويه اذن يقدم اللغة ويفيد الملكة ، اما من يشغل من حفظ هذه النصوص ولم يهتم بهما اما فيحصل — على حسب رأى ابن خلدون — على علم اللسان صناعة لا ملكة . واما كتب النحو المتأخرة ، فلا تفيد الملكة ، لانها لا تحوى الا على القوانين النحوية فقط فهي مجردة من كلام العرب شعرا ونثرا . فالدارسون لهذه الكتب يخلون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب ولكنهم ابعد الناس عنه (١) .

ثم يأتي ابن خلدون بعد ذلك ليوازن بين طريقة اهل الاندلس وطريقة اهل سائر البلاد في تعليم صناعة العربية ، فيقرر ان طريقة الاندلسيين اكثر افادة في تحصيل هذه الملكة ، لاشتغالهم بالاكثار من الشواهد والتفقه في التراكيب ، فيقول : ((واهل صناعة العربية بالاندلس ومعلموها اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم ، والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق الى البتدى كثير من الملكة انما التعليم ، فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها)) (٢) .

اما صناعة العربية عند اهل المغرب وافريقية ، فقد بعدت عن حاجتي اللسان وملكته ، وذلك لانهم لم يبحثوا في شواهد اللسان وتراكيبه ، وغفلت عنهم عن الحوان في حفظ الشواهد والنصوص ، والتي تفيد من ثم تكون الملكة ، فاصبحت هذه الصناعة كأنها من جطة قوانين المنطق العقلية أو

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٧٧/٤ — ١٢٧٨ ، والملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٣٤ — ١٣٥ ، وفي اللغة ودراستها : ٢٠ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٨/٤ .

الجدل ، فيقول في هذا العدد : ((إنا ن سواهم من أهل المشركين
 العربية وفوسم ، فأبهرنا بقاء العربية عرب العلم بحتا ، ونأجرا الدرس
 عن اللغة في تراكم كالم العرب إلا أن أعبرنا شاعدا أو رجوا مذهبنا
 من جهة الاقتناء الذهني لأن جهة حامل اللسان وتراكيبه — فأصبحت
 صناعة العربية كأيضا من جهة قوانين المنطق العقلية أو الجدل ، ويحدث عن
 سامي اللسان وملكته ، وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان
 وتراكيبه وتبريز أساليبه وغفلتهم عن ألوان في ذلك للمتعلم ، فلهذا أحسن ما
 تفيد الطلقة في اللسان ، وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم ، لكنهم
 أجروها على غير ما قصد بها ، وأما ردها علما بحتا ، ويحدوا عن ثورتها)) (١) .

هذا هو رأي ابن خلدون في كتب النحو وعلاقتها بالطلقة اللسانية ،
 وقد لحسن الدكتور محمد عبد موقف ابن خلدون هذا ، موازنا بين مواقف
 الداعين للتجديد قديما وحديثا ونظرتهم إلى قوانين النحو وما يخدم منها
 اللغة وما يخدم منها المنطق والجدل ، وقد رأى أن نظرة ابن خلدون لكتب
 النحو ، نظرة متطرفة نوعا ما ، فإشار إلى ذلك بقوله : ((فإن خلاصة الموقف
 تجاه ما في كتب النحو ، أن الداعين للتجديد قديما وحديثا نظروا فيما
 حوته من (قوانين النحو) لمعرفة ما يخدم منها اللغة وما يخدم منها المنطق
 والجدل ودارت بغير ردهم في هذا الإطار وحده . أما ابن خلدون فلا شأن له
 بهذه القوانين ، فهي — في رأيه — لا تنفع ملكة اللسان ولا تفيد ، وإن ما
 يخدم اللغة منها هو ما يحوي جملة كبيرة من النصوص التي تساعد على تكوين
 الملكة ، أما ما في هذه الكتب ، مما أسماه (قوانين المنطق العقلية والعلم
 البحث والجدل) فهي أمور بعيدة كل البعد عن مناحي اللسان وملكته . هذه
 نظرة ابن خلدون لكتب النحو ، وقد تكون متطرفة نوعا ما)) (٢) .

ويمكن القول : أن ابن خلدون قد فطن إلى الاختلاف القائم بين الملكة
 اللسانية وصناعة العربية ، وقواعد اللغة ، وهذا واضح مما سبق من كلامه ،

(١) المقدمة : ١٢٧٨/٤ .

(٢) الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٢٥ — ١٢٦ .

نظر ما خلفه الفارسي في ندرته الى الملكة اللسانية وتميزها عن صناعة
 العربية وقوام اللغة ، ثم سبق الدراسات اللغوية الحديثة الى التفلّس
 في اللغة العربية واللسان والتهذيب ، فابن خلدون قد اقترب من النظرية
 اللسانية المعاصرة ، فهذه النظرية تركز اهتمامها على التمييز القائم بين
 الكفاية اللغوية والاداء الكلامي ، فالكفاية اللغوية ، حقيقة عقلية تقود عملية
 الاداء الكلامي ، فهذه المعرفة الضمنية بالقواعد التي تنتج الجمل ، اما الاداء
 الكلامي فهو الاستعمال الحالي لهذه المعرفة • فالاداء الكلامي يعتمد على
 قواعد الكفاية اللغوية • وهكذا كان ابن خلدون قريبا • نحن مفهوم
 النظرية اللسانية • فالملكة اللسانية في نظره ، هي القدرة
 على صناعة العربية ، والتي يصرّح العربي كلامه الصحيح ، يلجأ الى قوانين
 هذه اللغة ، وكذلك الكفاية اللغوية ، فهي القدرة على تكلم اللسان
 وتمايزها (١) .

وقد تنبه المحدثون على سبق ابن خلدون (في تمييزه الملكة اللسانية
 عن صناعة العربية للدراسات اللغوية الحديثة ، فنجد مثلا الدكتور محمد عبيد
 قد اشار الى ان ابن خلدون بفكرته المستبصرة (فكر تمييز الملكة عن صناعة
 العربية) التي تتسم بح نظرتهم كلها ، سبق الدراسات اللغوية الحديثة ،
 ما يبرهن الفرق بين الكلام واللغة ، فالكلام من خواص الفرد ، اما اللغة فهي من
 خواص الجماعة ، والكلام نشاط حي فيه جدة الاستعمال وحيويته ، اما
 اللغة فهي نظم متجمدة في القوامين وكتب النحو والصرف (٢) . ثم يوضح
 الباحث المذكور الفرق بين الملكة اللسانية والقواعد والقوانين التي وضعها
 علماء النحو ، قائلا : ((والتكلم حين يستعمل اللغة ، فانه يلجأ لما يطلق
 عليه محاكاة النحير بمعنى أنه يتكلم بناء على ما اختزنه فسي
 منه ما اكتسبه من نظم البيئة اللغوية التي يعيش فيها ، أو بعبارة اخرى ،

(١) ينظر : جوانب من نظرية النحو : ٢٨ وما بعدها ، والابداع في استخدام
 اللغة : ٤٢ وما بعدها (بحر منشور) ، والبنى النحوية : ١٧ وما بعدها ،
 والملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٤ .
 (٢) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٣١ .

أما لا يشك كيفة الفخر من يشهد بحسب معرفه بالعمدة لغة المختصين
الذين هم من جهة واحدة يقترب لغة واحدة بتعودهم
باعتاد من جهة واحدة المختصين من جهة أخرى بخلاف غيرهم
يلعبه ضياء النجوم من ربيع الخواص والخواصين ، الذين يحدث من قسوة
باعتد ، أما الثاني فتتبع له واحدة لخصوبة فلابد بتعوده المنعوى
حتى يدمج عادة من ناداته كالمصطفى بالتحسين ، والآخر فقايس حسنة
موشومة لاكتساب والتفهم ، الذين أنعم الله على تأنقهم ،
والثاني نراه الدارسين اللغة لم يستعمل اللغة (١) .

أما الدكتور جمال زكريا ، فيرى أن تحرير ابن خلدون لغة السامية
من صناعة العربية وقواعد اللغة يقترب له من اختراع القليلة التحويضية
وتوسيعها ليأمن تسويها ، لأنها - كما ذكرنا آنفا - تركز على التوسيع
القائم بين الكفاية الشخصية والآداء اللامي من جهة ، وتحديد الكفاية الشخصية
بأنها المعرفة الشخصية لقواعد اللغة من جهة أخرى ، وذلك يقترب ليسر
خلدين في شغفه الملكة السامية من غير الكفاية الشخصية في شغل الأهمية .

كما يرى الباحث المذكور أن حكم اللغة لا يمكنه أن يحكم اللغة - وهي
تنظيم من الوهمز قائم على قواعد وتركيب ودلالات وأصوات لغوية - إلا إذا كان
ملما بقواعد هذه اللغة ، ولكن هذا لا يعني إلما جازا بهذه القواعد
فهذه القواعد يكتسبها من خلال نموه اللغوي الطبيعي وفي مراحل اكتساب
اللغة (٢) .

أما الدكتور عبدالسلام الحمدي فيقول في هذا الصدد : ((أما لبسن
خلدين فإنه يمثل قضية الحال من وجهة التطور الحاصل في اللغة عندما
تخرج من مراتب الملكة إلى منزلة المعرفة فيتجبر في صحتها علوم نوعة لينة
(يقيد بها الجوابذة التجرد من ذلك بنقل صحيح وعاين مستنبطة صحيحة)
ولكن الطرافة في استقرارات ابن خلدون تكمن في بحثه عن العلاقة الجدلية
بين ملكة اللسان وصناعة فهو يعجز بآدى ذى بدء كلا منهما عن الأخرى

(١) الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٣١ .

(٢) ينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٢٤ - ٢٥ .

استنادا الى تميز علم الشيء عن موضوع العلم فيه ، وبموجب تباين معرفة الشيء عن معرفة العلوم المتصلة به ، ويؤول هذا الفصل الطهجي الى ابراز البعد المرجعي في اللغة ، وهو بعد الوظيفة التعبيرية متميزا عن البعد العلماني لها وهو وظيفة ما وراء اللغة (١) .

ثم يوضح الباحث المذكور ، ما جاء به ابن خلدون في مقدمته ، في تمكن الانسان من التكلم باللغة وهو عاجز عن الحديث عنها لانه يملك ملكة لسانية ولكنه لا يملك العلم بقوانينها ، كما يرى انه من الطرافة ان يلح ابن خلدون على احتمال وقوع الحال المعاكسة لذلك ، وهي ان يتقن الانسان علم اللغة وصناعته دون ان يملك ملكة المحادثة فيها ، وأشار الى ذلك بقوله : ((ولئن بدا من البداحة ان يتكلم الانسان باللغة وهو عاجز عن الحديث عنها اذا كانت الملكة اللسانية ولم يكن له العلم بأنظمتها ، فانه ممن الطريف ان يلح ابن خلدون على احتمال حصول الحال المعاكسة بان يحذق الانسان علم اللغة وصناعتها دون ان تمكن له ملكة المحادثة فيها ، فيكون البعد اللغوي لديه طريفا بقدر ما هو معكوس لانه يعد قائم على وظيفة ما وراء اللغة مع انقطاع الوظيفة المركزية وهي المرجعية فضلا عن سائر الوظائف الباقية وهي الانفعالية والافغرافية والانتباهية والانشائية)) (٢) .

(١) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٢٩ - ٢٣٠ .
(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٢٣٠ .

البحث الثالث الملكة اللسانية والنثر

قسم ابن خلدون لسان العرب قسمين : النظم والنثر ، وخص في مقدمته فصلاً عديدة بالكلام عليهما ، مؤكداً اشتغال كل واحد منهما على انماط ومذاهب في الكلام كما تكلم على اسلوبهما ولغتهما ، وقد أولى اهتماماً كبيراً لتمييز لسان كل منهما ولا سيما لسان الشعر . واثار في هذين الفنين عدة مباحث مزجها ، ولبه على صعوبة الاجادة فميزها في الوقت نفسه . ولكن اهم ما في الامر ، معالجة المذاهب والاساليب التي تخص كل فن وتمايزها في الفنين كليهما ، ومن ثم توضيحه لكيفية اكتساب الملكة اللسانية التي يدور عليها تفكيره .

ومن الفصول التي عقدها ابن خلدون لهذين الاسلوبين (النظم والنثر) في مقدمته ((فصل في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر))^(١) ، و ((في اسم لا تتفق الاجادة في فني النظم والنثر عما لا لاقول))^(٢) ، و ((أن صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني))^(٣) .

بعد ان قسم ابن خلدون كلام العرب على هذين الفنين ، وضح كلاً منهما ، فالمنظوم هو الكلام الموزون الحقي ، والنثر هو الكلام غير الموزون ، وقد تحرق ابن خلدون الى ما يشتمل عليه كل من هذين الفنين من مذاهب وفنون ، فذكر مذاهب الشعر وفنونه ومنها المديح والهجاء والروثاء ، اما النثر فمعه المسجع الذي يؤتى به مقطعا ، يلتزم كل كلمتين فيه قافية واحدة تسمى سجعاً ، ومنه ايضا المرسل الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً من غير تنقييد بقافية^(٤) .

(١) المقدمة : ١٢٨٥/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٨٨/٤ .

(٣) المقدمة : ١٣٠٢/٤ .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٨٥/٤ - ١٢٨٦ ، وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ولقده : ١٩٢ - ١٩٣ (بحث بنشور) ، ومفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٨٢ .

أثر قد حذر ابن خلدون الكلام العربي بالشعر والنثر بشعره المسجع
والعومس ، مشيراً إلى القرآن الكريم وأسلوبه الذي جعله من النثر الخاص ، فلا
عز مومل ولا مسجع ، وإنما تقتضي آياته سقالات يشهد الذوق لها ويمصها
بالأصابع (١) .

ثم يؤكد ابن خلدون أن لكل نوع من أنواع الكلام مذايب وأغراضاً
وأصائب استعمال ، فالنسيب والديح والهجاء والرواء من أغراض الشعر ، والخطب
وترغيب الجور وترهيبهم والدعاء والمسابقات السلطانية من أغراض النثر ، كما
يجوز أن لكل من أصائب شعر به فالمسجع يستعمل في النثر ويلتزم التقفية .
وقد لاحظ استعمال الشاعرين لأصائب الشعر وموازينه في المنشور عن كثرة
الأسباع والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض (٢) . وإذا ما تأملنا
هذا المنشور ، أصبح من باب الشعر وفنه ، ولم يفترقا إلا في الوزن .

أما الشعر ففترق عن التزام الوزن والتقفية ، فتناسبه اللوزعية وخلط
البحث بالبرزخ والأغراب في الأوصاف ، وضرب الأمثال ، وكثرة التشبيهات
والمستعارات ، وأما انشراح الكلام وإرساله من غير تسجيع ، إلا في الأقل
النادر ، فإذا ما يمتاز به الترسل ، حيث ترسله إرسالاً من غير تكلف له
ثم أعاد الكلام حقه في مطابقته لقتضى الحال ، فإن المقامات مختلفة (٣) .

ويبدو ما قاله ابن خلدون في أصائب الكلام (المنشور والنثر) ولا سيما
الأصائب الشعرية ، أنه كان محافظاً وضد كل تغيير ، وذلك لأن ((ما
كان عن الكلام منشوراً وليس على تلك الأصائب فلا يكون شعراً)) (٤) . وقد
أدرك ابن خلدون تمايز الشعر من لغة النثر ، ف يرى أن لغة الشعر خصائص
وميزات مغايرة عن خصائص الكلام الاعتيادي .

- (١) ينظر : المقدمة : ١٢٨٦/٤ ، وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الأدب ونقده :
- (٢) ١٩٢ - ١٩٣ (بحث منشور) ، ومفهوم الأدب في الخطاب الخلدوني : ١٨٢ - ١٨٣ .
- (٣) ينظر : المقدمة : ١٢٨٦/٤ - ١٢٨٧ ، واللمعة اللسانية في نثر ابن خلدون : ٥٨ .
- (٤) المقدمة : ١٢٩٥/٤ - ١٢٩٦ .

لقد فطن ابن خلدون في كلامه على فني النظم والنثر، إلى عدم الاجادة
متربيا معا الا للاق (١)، وراح يذكر السبب في ذلك، كما هو منهجه في مقدمته،
من خلال نظريته للملكة اللسانية، لانه قد فطن إلى اهمية الملكة اللسانية في
نظم الكلام وتأليفه (٢).

وكما ذكرنا آنفا، ان ابن خلدون، يرى ان النفس لا تتسع لأكثر من ملكة
لسانية تامة، فليذا كان يرى ان السبب في عدم الاجادة في فني النظم
والنثر هو الملكة في اللسان، فعندما تستقر الملكة الاولى في اللسان وتصبح
ملكة تامة، فلا تكون الملكة اللاحقة الا قاصرة عن تمام الملكة السابقة لها في
اللسان، وهذا ما اشار إليه ابن خلدون في فصل ((انه لا تتفق الاجادة في فني
النظم والنثر معا الا للاق)) (٣)، ويقول ان السبب في ذلك ملكة اللسان
((فإذا تسبقت إلى محله ملكة أخرى، قصرت بالمحل عن تمام الملكة اللاحقة،
لان تمام الملكات وحصولها للطبائع على الفطرة الاولى اسهل وايسر، وإذا
تعدت بها ملكة أخرى كانت بمنزلة لها في المدة القابلة وعائقة عن سرعة التبول،
ففرقت النفاذة وتعذر التمام في الملكة)) (٤).

ويرى ابن خلدون، ان هذا الامر قائم في الملكات الصناعية كلها،
ويضرب مثلا على ذلك، اللغات لأنها ملكات في اللسان وهي بمنزلة الصناعة،
ويقول في هذا الصدد: ((وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الاطلاق...
فاعتبر مثله في اللغات فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة... وانثر من
تقدم له شيء من الصفة كيف يكن قاصرا في اللسان العربي ابدا... فالاعجمي
الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة العربي، ولا يزال قاصرا فيه
ولم تعلمه وطنه... وكذا البربري... وما ذلك الا لما سبق إلى المنتظم
من ملكة اللسان الاخر... حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسن
إذا طنبه بين اهل اللسان العربي جاء مقصرا في معارفه عن الغاية

(١) ينظر: المقدمة: ١٢٨٨/٤، وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده:

١٩٤ (بحث منشور).

(٢) ينظر: المقدمة: ١٣٠٣/٤.

(٣) المقدمة: ١٢٨٨/٤.

(٤) نفسه.

والتمثيل ، وما إلى ذلك من قبل اللسان • وقد تقدم لك من قبل أن الالمام
واللغات مهيضة بالمناجح • وقد تقدم لك أن المناجح ومكتريا لا تزدهر
وإن من سميت له أجادة في صناعة نقل أن يجيد أخرى أو يستولي غيرها على
الغاية (١) •

أن المتأمل لقول ابن خلدون هذا ، يجده قد أشار إلى عوامل أجادة
الملكة ، فيرى أن تفرد الشخص وتخصصه في أحد الفنين (النظم أو النثر) هو من
عوامل أجادة الملكة ، وقد برهن على ذلك بطريقة صناعية ، من خلال انشغال
العمل (اللسان) بأحدى الملكتين ، فالتى جأته على الفطرة كانت أسهل
وأيسر وهي ناعمة ، ولذلك تعذر عليه أجادة الملكة الأخرى • ويرى الدكتور
محمد عبيد ، أن ابن خلدون كان مصيبا في نظره هذه ويعطى ذلك بقوله :
(لو تتبعنا تاريخ اللغة في عصورها المختلفة حتى وقتنا الحاضر ، لوجدنا
ما يصدق ويؤيد نظره ، ولو أخذنا مثلا نموذجين في عصرنا الحديث هما
(العقاد وشوقي) لوجدنا الأول قد اشتهر بالكتابة وبرز فيها بما لا يوازيه
شعره الذى شغل عدة دواوين ، أما الآخر فقد برزت ملكة الشعر عنده واشتهر
بما لا يوازيه • ما كتبه عن نثر ضعيف هابط الصنعة في (أسواق الذهب) وغيره (٢) •
وعذا ما أراد ابن خلدون من كلامه السابق ، كما أشار إلى عدم أجادة الملكة
لفني النظم والنثر عند المشتغلين بالعلوم ، لأنهم يحفظون كثيرا من القوانين
العلمية التي يشتغلون بها ، حتى تتلون النفس بما يحفظون ، فتجي الملكة
الناشئة عنه ، غاية في القصور والابتعاد عن مناحي العرب وأساليبهم فسي
الكلام (٣) •

أن اهتمام ابن خلدون بالشعر اهتمام كبير ، وقد عقد للشعر وصناعته ووجه
تحليله فصلا كاملا في مقدمته (٤) ، وذكر في هذا الفصل معنى الشعر ولا سيما
في لسان العرب لأنه كما يقول غريب النزعة عزيز النحى ، ثم بدأ بشرح

(١) المقدمة : ١٢٨٨/٤ - ١٢٨٩ •

(٢) الملكة الثانية في نظر ابن خلدون : ٦١ •

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٠٤/٤ ، والملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٦١ •

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٨٩/٤ •

«عن الشعر بالتفصيل فيقول : ((حر كلام محمد قلعاً قلعاً متسارية في الوزن متحدة في الحروف الأسير من كل قلعة ، وتسمى كل قلعة من هذه القلعات عندهم بيتاً ، وتسمى الحروف الأسير الذين تنقل فيه رؤيا وقافية ، وتسمى جملة الكلام إلى أسره قصيدة وكلية)) (١) .

لقد أوضح ابن خلدون أجزاء الشعر ومكوناته ، من بيت وقافية وقصيدة ، ولكن ما يلفت النظر ، أنه يرى كل بيت مستقلاً في معناه وغرضه عما قبله وما بعده ، كما يرى أن البيت يكون تاماً في بابيه عن مدح أو رثاء ... الخ ، أي أن شأنه في ذلك شأن النقاد العرب القدماء ، فقد ركز على وحدة البيت ولم يتناول وحدة القصيدة ، فميز يرى أن الشاعر يستعزد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود ، وذلك بترطئة المقصود الأول ومعانيه ، حتى يتناسب مع المقصود الثاني ، وهكذا حتى نهاية القصيدة ، وبذلك يبعد الشاعر عن التناثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : ((وينفرد كل بيت منه بأفادته في تراكيبه حتى كأنه كلام وحده مستقلاً عما قبله وما بعده . وإذا أفرد كان تاماً في بابيه في مدح أو تشبيب أو رثاء . فيحرر الشاعر على أعناء ذلك في البيت ما يستقل في أفادته . ثم يستأنف في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ويستعزد للخروج من فن إلى فن ومن مقصود إلى مقصود ، بان يوضي المقصود الأول ومعانيه إلى أن تناسب المقصود الثاني ، ويبعد الكلام عن التناثر ، كما يستعزد من التشبيب إلى المدح ، ومن وصف الهيداء والظلول إلى وصف الركاب أو الخيل أو الطيف ، ومن وصف الممدوح إلى وصف قومه وعساكره ، ومن التفجع والحزاء في الرثاء إلى التأثر وامثال ذلك)) (٢) .

ومما يلفت النظر في كلام ابن خلدون على الشعر ووحدة القصيدة ، إشارته إلى الشروط والأحكام للموازين التي تبني عليها القصيدة والتي يتضمنها علم العروض ، والتي تسمى عند أهل تلك الصناعة - العروضيين - البحور وهي خمسة عشر بحراً (٣) .

(١) المقدمة : ١٢٨٩/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٨٩/٤ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٨٩/٤ - ١٢٩٠ .

لقد اشار ابن خلدون لاشمية الشعر في حياة العرب ، وذلك لانه :
 ((ديوان علومهم واخبارهم ، وشاهد مواهبهم وخطتهم ، واصلا يرجعون اليه
 في الكثير من علومهم وحكمهم)) (١) .

لقد ادرك ابن خلدون كما قلنا لينا - لغة الشعر وتمايزها من لغة
 النثر ، وذلك ((لصحية بنحاه وغرابة فنه . كان محذا للقوائح في استبصار
 اساليبه وشحذ الافكار في تنزيل الكلام في قوائمه ولا يكفي في طكة الكلام العربي
 على الاطلاق ، بل يحتاج بخصوصه الى تطف ومحاولة في رعاية الاساليب التي
 اختتمت الحرب بها واستعملها)) (٢) .

ويرى الدكتور ميشال زكريا ، ان لغة الشعر ، في نظر ابن خلدون ، تقار
 بخصائص ذاتية عائدة الى طابع اللغة الشعرية ، ولا تعود الى الضرورة الشعرية
 التي ينظر اليها النحاة عموما ، كما يرى انه يتميز ابن خلدون للغة
 الشعر ، يقترب ويلتقي مع الفكر الالسنى الحديث ، فقد ميز الفكر الحديث ،
 لغة الشعر من لغة القناطير الاعتيادية ، وبين خصائص اللغة الشعرية ومبادئها
 القائمة عليها (٣) .

وقد وقف ابن خلدون في حديثه في الشعر وصناعته ، عند سلوك الاسلوب
 لدى احل هذه الصناعة ، الى الطريقة الصناعية التي ينسبك بها الاسلوب
 ويصحب في فكر الشاعر وزمنه ، ليخرج به عملا شعريا صالحا . فيشرح عبثه
 الطريقة بقوله : ((فاعلم انها الكلام باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو
 رسيخة الاعراب ، ولا باعتبار افادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو
 وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو
 وظيفة العروض . فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية .
 وانما يرجع الى صير ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب

(١) المقدمة : ١٢٩٠/٤ . (٢) نفسه .

(٣) شعر : بنية اللغة الشعرية : ٢٢ - ٢٦ وما بعدها ، والابداع : نفس
 استحداث لغة : ٤٢ - ٤٤ / بحث عميق ، واحمد الشاذلي في مقدمة
 ابن خلدون : ٥٧ - ٥٨ .

أنه لا نجد أية لغة لهجاء مستعملة عندما ان يرد في جميع العلاقات
والعلاقات الجوهرية التي تدل في الشعر عليه كقول (١) (٢).

بلكن ابن - لدي - هذا الأسلوب الشعري ، يستلزم من بعض الطائفة
الشعرية ، لأن الطائفة التي رأته صناعة ، لذلك قد جعل الأسلوب الشعري
صورة ذهنية من التراكيب القديمة ، ففهمنا النظم من أعمال التراكيب ، وأننا
وقالها نرى فيه الكلام ، طالما يتسع عليه ، أن أنه يرى أن النسخ والترتيب
والبناء ، خلق الصورة ، لا سيما أن الصورة أو الصورة ، وهي الصورة التي
يلتزمها النظم من أعمال التراكيب ، واستعملنا في الخيال كالتأليب
أو الدال ، ثم تنقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان
ليجوزها فيه ، كما يفعله البناء في التأليب أو النسخ في السؤال ، حتى
يتسع التأليب بحصول التراكيب الرائعة بمقتضى الكلام ويقع على الصورة الصحيحة
باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، فكان لكل فن من الكلام أساليب تتفق معه
يتوجد فيه على أنحاء مختلفة (٣) . ويبدو أن الصورة للأسلوب قد تم شكلي
أذ تنسب ذكر التأليب الشكلي والبناء الذي يقوم عليه ما الشعر ، ولكنه يرى
أن العلم الثلاثة (الأعراب ، والبلاغة والبيان ، والعروض) خارجة عن الصناعة
الشعرية ، بعد أن اجازها ناد يجعل قوانين هذه العلوم شرطاً في هذه
الصناعة ولا تتم من دونها (٤) ، وذلك لأن (إجادة اللغة الشعرية تقتضي
إجادة بعض القوانين الأساسية التي لا تندرج ضمن قوانين ملكة الكلام العربي
العادي) (٥) .

يقدر تنبه على ذلك الدكتور محمد عيد ، إذ رأى أن ذلك يطلق عليه
الآن في دراسة اللغة (الجرام ذات الصلة) (٦) ، وقد فسر كلام ابن خلدون
من الصناعة الشعرية بما يتعداه من الشعر الذهنية ، قائلاً : ((وإذا صـحـحـ

- (١) الفصح : وتقريره بن حيث هو شعر .
- (٢) ابن خلدون : ناحية الشعر : ٥٣ (بحث شعر) .
- (٣) ينشر : المقدمة : ١٢٩٣/٤ - ١٢٩٤ ، وابن خلدون ناقد : ١٣ - ١٤ (بحث
حقوق غير منشور) .
- (٤) ينشر : المقدمة : المقدمة : ١٢٩٤/٤ .
- (٥) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٥٨ .
- (٦) ينشر : الملكة اللسانية في نشر ابن خلدون : ٤٨ ، وفي اللغة ودراساتها : ٣١ .

انني قرئت كلامه فانه يقصد ان هذه (الصور الذهنية) تخيل ذهلي منظم تتكامل الخطوط والحدود لكل فن من فنون الشعر ، يحدد به التأمل التلويح للشعر الذي تاله الشعراء منه من قبل ، انما - كما قال هو - غالب بمرور الكلام فيه أو نزال ينسج عليه ، يتحقق به الوفاء بمنعة هذا الفن كما مارسها فرسانه من شعراء العرب من قبل ^(١) ، ثم يقرب الموضوع فيقول : ((ان هذه الصورة الذهنية للشعر تماثل التخطيط الذي يصنع به (مريدون الشعراء) البناء البيت على النمط العربي أو الروحاني أو الملوكي أو الاعراس ، فهو تخطيط يتصور بحدود والابعاد ، واما ذلك كله هو الجاني الفعلية التي نفذت من قبل ، أخذت منها الصورة الذهنية المتكاملة المحدودة التي تخطيط على الورق ، ثم تنفذ في واقع الحياة)) ^(٢) .

نستدل من كل ما سبق ، ان الشعر - على حسب رأى ابن خلدون - قائم على تراكيب منتخبة كلية في ذهن الشاعر وفي ضمن ملكته الشعرية ، فيستمد الشاعر منها تراكيبه الخاصة ، وهذه التراكيب الكلية تعدد القالب أو النماذج ، ويتم ادخال التراكيب الصحيحة للعرب في ضمن هذا القالب أو النماذج ، وبغية الحصول على الطقة الشعرية ، لا بد من معرفة هذه القوالب المجردة وهذه التراكيب المجردة المنتخبة ، فضلا عن معرفة قوانين اللغة العربية ، اي ان الطقة الشعرية قائمة على القدرة على استعمال الكلام العربي استعمالا صحيحا ، عندما يندرج في ضمن التراكيب وعلى وفق القوانين المختصة بالشعر ، وهذا ما اشار اليه ابن خلدون بقوله : ((ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان ، فيرصها فيه رصا ، كما يفعل البناء في القالب أو النماذج في النوال ، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام . ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار طقة اللسان العربي فيه)) ^(٣) .

ويكرر ابن خلدون توضيحه الصورة الذهنية التي تعتمد عليها طريقة الصناعة الشعرية ، فبعد ان يوضح ان لكل فن من فنون الكلام اساليب تختص به

(١) الطقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٤٨ ، وينظر : في اللغة ودراساتها : ٣١ .

(٢) الطقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٤٩ ، وينظر في اللغة ودراساتها : ٣١ .

(٣) المقدمة : ١٢٩١ / ٤ .

يتوجد فيه ، يعود ليؤكد ان الصورة الذهنية هي نتيجة عملية تخيل يعود
اعلمنا الى الكلام الشعري عند العرب ، ويمكن استنباطها من التراكيب
الشعرية المستعملة عند الشعراء العرب ، ويضرب ابن خلدون مثلا في اساليب
الشعر ، فيرى ان سؤال الظل في الشعر يكون بكتاب الظل ، ويمتثل
على كانه هذا ، بمشاكل قصائد عديدة لشعراء مختلفين^(١) ، ويرى ان
التراكيب تتنظم في فنون الشعر وعذابه ، بالجمال وغنى الجمل ، كما هو شأن
التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى ، ومعرفة ذلك عن
طريق الاستفادة بالارتياح في اشعار العرب من القالب الكلي الجود في
الذخ من التراكيب السبعة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها ، ويرى
ان مؤلف الكلام هو كالبنا أو النساخ ، اما الصورة الذهنية فهي القالب الذي
يبنى فيه أو النوال الذي ينسج عليه ، فهذه القاعدة التي وضعها ابن
خلدون ابتناء الحصول على ملكة الشعر ، اما ما يخرج عنها فلا يكون
الا قاعدا (٢) .

اما القوانين العلمية أو (العلوم اللسانية) فهي مجموعة قوانين وقواعد
تنطبق على اللغة والكلام ، لها وظيفة مهمة ومحدودة معا لانها ((تفيد جواز
استعمال التراكيب على هيأتها النامة بالقياس ، وهو قياس علمي صحيح
مجرد كما هو قياس القوانين الاعرابية))^(٣) ، اما الاساليب المقررة ف ((ليست
عن القياس في شيء ، انما هي هيئة ترسخ في النفس من تنجح التراكيب في
شعر العرب ، لجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها فيستفيد بها
العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر))^(٤) . اي ان للملكة
الشعرية مع الملكة الكلامية الاعتيادية ، قوانين وقوالب مجردة خاصة بالشعر
وملكته ، وذلك لانه ((ليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية
استحضره ، وانما المستعمل عندهم من ذلك انحاء معروفة يتلح عليها الحافظون
لكلامهم تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية ، فاذا نثر في شعر

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٩١/٤ - ١٢٩٣ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٩٣/٤ .

(٣) المقدمة : ١٢٩٣/٤ .

(٤) نفسه .

محمود على هذا النحو يبرزه الأسلوب الذهنية التي تصير كالتقارب ، كان
 « راء على المستعملين ن تراكيهم لانها يقتضيه القياس » (١) .

ان ابن خلدون في كلامه السابق ، اعترف بضرورة معرفة القرائن العلمية
 في فهم اللغة التي لا يتم الشعر من دونها ، كما ان ادراك الواقع من
 سائر الأساليب الشعرية المترسنة في الديال ، هو الذي يخلق الشاعر وليست
 الصورة فقط ، لان الذي يكون ، مليا عن الصور الذهنية لا يستطيع التمسك
 من ثبات حرفته الحظوظ اللسانية معرفة شاملة (٢) .

يؤكد ابن خلدون تركيزه على المستعملين عن كازم العرب في فهم الشعر
 والتفهم ، موضحا كيفية اكتساب الطلقة الشعرية لدى الانسان ، حيث يمكن
 انهم من « ما عرفت فيقول : ((والمستعمل عزا عندهم هو الذي يبنى وكيف
 التزم عليه تأليفه ، ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه
 من القوالب المعينة الذهنية قالب كلي مطلق يحذو حذوه في التأليف كما يحذو
 البناء على القالب ، والنساج على النوال)) (٣) .

من خلال ما تقدم ، نلاحظ ان ابن خلدون قد أولى مفهوم الأسلوب عناية
 كبيرة وهو الذي بعد اليوم من أبرز الدراسات النقدية - الادبية في العالم ، وذلك
 من خلال فهم الكلام الشعر والنثر ، وقد ميز بين هذين الفنين - كما ذكرنا
 آنفا - محتدا في ذلك على خصائص كل نوع من حيث التأليف اللغوي والبناء
 العرضي ، ان انه اكد صفة الأسلوب بالسياق اللغوي والتراكيب اللغوية التي
 تدور في عظم النحو والحاني والهيان والحروش .

وقد ذكر بعض الباحثين (٤) ، عدة ملاحظات عن تناول ابن خلدون
 لمفهوم الأسلوب ، ومن بين هذه الملاحظات : ان ابن خلدون اعطى للأسلوب
 مفهوما ذهنيا خالصا باعتباره صورة تملأ النفس وتطبع الذوق ، وقد أرجع تكوين
 هذه الصورة الى ما يستندده الاديب عن ذخيرته اللغوية على الوضع الذي

-
- (١) المقدمة : ١٢٩٤/٤ .
 (٢) ينظر : المقدمة : ١٢٩٤/٤ ، وابن خلدون وماهية الشعر : ٥٤ (بحث مشعر) .
 (٣) المقدمة : ١٢٩٤/٤ .
 (٤) عز الدين محمد عبد المطلب في كتابه (البلاغة والاسلوبية) .

رسمه ثراء الشعر والتعرف والبلاغة والحرر، وأصبح الأسلوب عنده يأخذ شكل
 من الأساليب الجديدة، والتي يمكن من أروق دراسة النماذج الكلاسيكية
 المعروفة من أفراد جميع هذه النماذج الاستعداد إلى الجرائل المشتركة التي
 تساعد على التعرف على كل أصل أو نموذج مثالي يوجه كلام الأفراد، ثم لاحظ
 هذا الباحث، أن ابن خلدون ربما عن خلال كونه على سلوك الأسلوب في
 صناعة الشعر، أن أسلوبه أو الأساليب، ملاحظا الفرق اللغوية والسعوية
 بين المضمون والشعر، ومن ثم ربما هذه الفرق بنماذج تعود إلى علوم الشعر
 والتعرف والحرر والبلاغة (١).

أما الدكتور محمد عبد، فيرى أن ما يقصده ابن خلدون من سلوك الأسلوب
 لدى أهل صناعة الشعر الرصف الجملي لأسلوب الشعر عند الشعراء، أي الطريقة
 الصناعة التي ينسب بها الأسلوب ريسك في ذهن الشاعر، ليخرج مملكة
 شعرية صالحة للتعامل في دنيا الشعر (٢). ثم تناول الباحث المذكر تفسير
 النماذج التي وردت في شرح ابن خلدون لهذه الفكرة (الريشة الأسلوب في
 صناعة الشعر) وهي أصل المعنى، وكمال المعنى، والوزن، والصورة الذهنية،
 يرى أن المقصود من (أصل المعنى)، والدلالة العرفية الصحيحة للغة وما
 تقتضيه من معان صحيحة للكلمات وينطق صحيح للكلام من حيث تأليفه وأعرابه.
 أما (كمال المعنى) فاعتماد الكلام البلاغية ومطابقتها لحققتي الحال، أما (الوزن)
 فالإتزام بالشعر البحري والقوافي، أما المصطلح الرابع (الصورة الذهنية) فهو
 الذي ينسب إليه صنعة الملكة الشعرية كاملة (٣).

وبعد أن توضحنا صورة الأسلوب ومفهومه من وجهة نظر ابن خلدون،
 لابد من الوقوف على تحديد الشعر، وقد سبق أن وضع كيفية تأليف الكلام
 حتى يصبح شعرا عند العرب (٤).

-
- (١) ينظر: البلاغة والأسلوبية: ٢٢-٢٣.
 (٢) ينظر: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون: ٤٨، وفي اللغة ودراساتها: ٣٠.
 (٣) ينظر: الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون: ٤٨، وفي اللغة ودراساتها: ٣٠-٣١.
 (٤) ينظر: المقدمة: ٩٦٩/٣.

لقد رفض ابن خلدون حد العروضيين للشعر ، لأن هذا الحد يتجه الى الشكل العرضي الذي ينتزعه الشعر العربي ، وكما بينا سابقا ، ان ابن خلدون لم يعد علم العروض وقوانينه من عناصر الطلقة الشعرية الاساسية ، بل من لوازمها ، لذلك رفض الحد الذي ورد في كتب الادب واللغة والعروض ، وهو الكلام الموزون النقي ، وقدم حدا للشعر بقوله : ((الشعر هو الكلام البليغ المعني على الاستعارة والوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء غنيا في غرضه ومقصده عما قبله وبعده ، الجارى على اساليب الحرب المخصوصة به)) (١) .

واذا ما تأملنا هذا الحد ، يمكننا ملاحظة بعض السائل التي تنبئ
اركانا يقوم عليها الشعر (٢) :

- ١ • الشعر هو الكلام البليغ المعني على الاستعارة والوصاف •
- ٢ • الشعر مفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي •
- ٣ • كل جزء مستقل في غرضه ومقصده •
- ٤ • الشعر هو الكلام الجارى على اساليب الحرب المخصوصة به •

في المسألة الاولى يحدد ابن خلدون لغة الشعر ، بانها لغة قائمة على قضايا بلاغية هي الاستعارة والوصف ، وعلى حسب طعنا ، ان لغة الشعراء بطبيعة الحال لغة مجازية لها خصائص نوعية تميزها عن لغة الفنون الاخرى • ولكي يستحق الكلام ان يوصف بالشعر ، لابد من بناء الصور عن طريق الاستعارة والوصف والقضايا البلاغية الاخرى ، لان مفهوم الشعر لا يتكامل بمجرد الوزن والقافية •

أما المسألة الثانية في تحديد ابن خلدون للشعر ، فهي ما اشار اليه العروضيين في تحديدهم الشعر ، وهو تحديد من حيث الهيكل والشكل والبنية •

(١) المقدمة : ١٢٩٥/٤ •

(٢) في تحليل هذه السائل وتوضيحها ينظر : الطلقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٥١ والطلقة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٠ ، ومفهوم الادب في الكتاب المقدوني : ١٩٨ - ٢٠٠ •

أما المسألة الثالثة ، فيشير فيها ابن خلدون الى استقلال البيت الشعرى ، غيرى ان القصيدة ان هي الا مجموعة من الاجزاء المستقلة في الغرض والتسند ، اى ان كل بيت شعرى له غرض معين يختلف عما قبله وبعده ، اى انه لا يدعو الى وحدة القصيدة في الغرض ، كما هو شأن القصيدة العربية القديمة ، ويؤكد ابن خلدون هذه الفكرة اكثر من موضح ، اذ يقول : ((وينفرد كل بيت من هذه بافادته في تراكيبه حتى كأنه كلام واحد مستقل عما قبله وبعده واذا افرد كان تاما في بابه في مدح أو تشبيب أو رثاء)) (١) .

ويقول ايضا ((والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام تام في مقصوده ، ويصلح ان ينفرد درن ما سواه)) (٢) .

ثم يؤكد هذه الفكرة ويصغرها بانها الحقيقة ، لان الشعر لا يكون الا بهذا الشكل فيقول : ((وقلنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان للحقيقة ، لان الشعر لا تكون أبياته الا كذلك)) (٣) . ولذلك قد ذهب الدكتور محمد عبد ، الى ان فكرة ابن خلدون في استقلال البيت الشعرى في غرضه ومقصده ليست صحيحة ، وانها قد فتحت بابا واسعا للمتنجسين على الشعر العربي القديم في الوقت الحاضر ، لانهم يرويه مفكك الارصال ، ومتاثر المعاني ومعلوم الوحدة ، ويؤى ان هذه الفكرة كانت مستندا لاصحاب الشعر وقائله فكانت حجة كبيرة لمراجعة الشعر الموزون المحقى (٤) .

ان ظاهر كلام ابن خلدون على استقلال البيت الشعرى في الغرض والمعنى ، يبين انه لم يدع الى وحدة القصيدة في الغرض ، وربما يكون ذلك خروجا عن التأليف في وحدة بناء القصيدة العربية ، ولكن النقاد القدماء وكما ذكرنا آنفا - تنازلوا وحدة البيت الشعرى وتكلموا عليها دون الكلام على وحدة القصيدة ، لا عقادهم بأن وحدة القصيدة امر ثابت لا يدعو الى الشك فيه فهم ينتهون من هذا الامر ، لذلك اتجهوا الى الكلام على وحدة البيت الشعرى دون ان يقصدوا

(١) المقدمة : ١٢٨٩/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٩٠/٤ .

(٣) المقدمة : ١٢٩٥/٤ .

(٤) ينظر : الطكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٥٢ ، وفي اللغة ودراساتها : ٣٥ .

استقلال البيت الشعري والخرج عن القعيدة المألوفة ، ربما يكون شأن ابن خلدون في استقلال البيت الشعري في الخرض ، شأن النقاد القدماء •

أما المسألة الرابعة في تحديد ابن خلدون للشعر ، فترتبط بالتحديد الشكلي للشعر ، حيث يجرى على أساليب العرب المخصوصة به ، فهو مرتبط بغيرهم سلك الأسلوب عنده ، وكيفية اكتسابه وتصوره • وقد اشرنا الى ذلك آنفا •

نستطيع القول من خلال ما سبق ، ان ابن خلدون في حده للشعر ، حاول ان يتجاوز تحديد العروضيين له ، مضيفا بانه الكلام البليغ التهي على الاستحارة والوصاف الغدل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء غنيا في غرضه ومقتده عما قبله ويخذه ، الجارى على اساليب العرب المخصوصة به ، اى انه يضع الشعر لاساليب حددتها العرب مما جعله في لسانهم غريب الفرقة وعزيز المنحى (١) •

وقد ذهب الدكتور جمال الدين بن الشيخ ، الى ان تحديد ابن خلدون للشعر ، فيه ثلاث سائل تستحق التأويل ، وهي لغة الشعر المجازية التي لها خصائص ونوعية تميزها عن لغة سائر فنون الكلام الاخرى ، فبرى ان الشعر يجب ان يعالج الصور التي تمثل كيفية خاصة لادراك الموجود الخارجي والباطني ، حتى تستقصى ابعادها التعبيرية ، والمسألة الثانية التي يراها الباحث المذكور ، اهمية الوصف التي تدل على ذكر الشاعر للواقع العام والخاص ، المبادئ والوجداني الطبيعي والبشرى ، فبرى ان ابن خلدون لم يلتفت الى مسألة مطابقة الاوصاف اصلها الذى تحاكيه ، لان الوصف يعبر عن العلاقة الحيوية المعقودة بين الوعي وعالم الخارج ، وأما قضية المحاكاة المشهورة فلم يذكرها ابن خلدون •

والمسألة الثالثة التي أخذها هذا الباحث في تحديد ابن خلدون الشعر ، هي عودة الوظيفتين المجازية والوصفية في اللغة الشعرية عند ابن خلدون الى الاساليب المضافة اليها ، مما يؤكد ان الأسلوب هو الاساس الجوهرى للكلام الشعري وعموده الالتزام الذى يصوغه صوغا (٢) • ويبدو ان هذا الباحث قد

(١) المقدمة : ١٢٨٩/٤ •

(٢) ينظر : ابن خلدون وماهية الشعر : ٥٥ (بحث منشور) •

نثر الى حد ابن خلدون للشعر ، نثرة بلاغية قائمة على الاستعارة والوصف ، فقد جعل يزول الزخائف البلاغية التي تضمنها الحد ، دون ان يذكر المسائل الاخرى كاستقلال البيت الشعري ، وجرى الشعر على اساليب العرب ، فكانت نثرته وظيفية • وبعد ان وضع هذا الباحث اهم المسائل التي تستحق التفسير والتأويل في حد ابن خلدون الشعر ، قال مشيراً الى الترابط الوظيفي الذي جسده هذا الحد : ((هذه هي النظرية الكلية التي قدمها لنا ابن خلدون محارلاً ان يضع مفاهيم مترابطة مترابطة وظيفياً اقضى به الى تحديد ماهية الشعر)) (١) •

ولكن ابن خلدون ، حاول ان يحقق الشعر بعناصر مختلفة ، منها شكلية ذكرها العروضيون وجوهريه ، وقد جمع هذه العناصر وحاول ان يرتبها على حسب رقيقة كل واحدة منها •

اما الدكتور ميشال زكريا ، فيرى ان ابن خلدون قد وعى لمسألة تمايز الشعر عن لغة التخاطب الاعتيادية ، واشت ذلك من خلال اساليب كل فن من كلام العرب • ويراها يلتقي بهذه المسألة مع الفكر الالمني الحديث — كما ذكرنا آنفاً — الذي يميز بين لغة الشعر ولغة التخاطب الاعتيادية ، والذي يخص كلا منهما بالدراسات المستقلة ويوازن بينهما ، وذلك بغية تبين خصائص اللغة الشعرية والعبادي التي تقوم عليها الكتابة الشعرية (٢) •

وفيما يتعلق بتحديد ابن خلدون الشعر ، يقول : ((استنفذ ابن خلدون في تحديده هذا كل المسائل التي بالامكان تحديد الشعر بها • وذلك لانه حددته عن حيث لخته بشكل يتمحور حول العرسة اللغوية اذا اردنا استعمال التعابير الالمنية الحديثة • كما انه حددته من حيث بنيتها وهيكلية • ولم يزول ، ايضاً الناحية الشكلية اذ تضمن تحديده ذكر القالب انشكلي والمنوال الذي يقوم عليهما الشعر ، وبامكان القارى ان يلاحظ منثرة اخرى نثر ابن خلدون الى اللغة وقضاياها النثرية العلمية الصائبة)) (٣) •

(١) ابن خلدون وماهية الشعر : ٥٥ •

(٢) ينظر : الطكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٥٧ — ٥٨ •

(٣) الطكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦١ •

أن ابن خلدون في تعريفه الشعر، من مائة عشرة أذراعاً،
 وهذا ما أمر به الملك الناصر، من الأخذ بعين الاعتبار، في رأي هذه
 الصنعة من أفعال الشعر والتجربة النفسية والوجدانية العاطفية لدى الشاعر،
 ومن ثم ندعم تعريفه المتكامل على أساس هذه النماذج والمواضع، من
 القصيدة لا تولد إلا بعد عناية وتجربة شعرية مادية سواء أكانت عينية
 أم مكتوبة راعية أم مدروسة (١).

وبعد أن تعرضت تجربة الشعر الحقيقية - في رأي ابن خلدون - فإننا
 من خلال هذه له، يأتي ابن خلدون إلى عمله ومناقشته، فيما نشرته النسخ
 كيفية عمل الشعر وحمل ملكته ؟

يتوسع ابن خلدون في بحثه لملكة الشعر، بتتبع عمل الحف من جبهة
 وحمل الصارفة من جبهة أخرى، ونرى أن الملكة الشعرية تتألف من الشعر
 ويوضح ذلك بقوله : ((انهم ان جعل الشعر واحكام صناعته شرونا أوليا
 الحف من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج
 على منوالها، ويتغير المحفور من الحر النقي الكثير الأساليب • وهذا المحفور
 المنتار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الأساكين • • • • • ومن كان
 عالماً من المحفور فظنه قاصداً ردياً • ولا يعطيه الترتيق والحلاوة الا كثرة
 المحفور • فمن قل حفاؤه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو ندم ساقط،
 واجتناب الشعر أولى من لم يكن له محفور • ثم بعد الاعتلاء من الحف
 وشحن القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم، وبالاكثر منه تستحس
 ملكته وترسخ)) (٢).

إذاً اعطى النور في كلام ابن خلدون هذا، وجدنا ارتباطاً واضحاً
 بين الشعر والملكة، بل وجدنا تأكيد ابن خلدون، أن الشعر ملكة صناعية
 وعمل مكتسب، ويوضح ابن خلدون كيفية تكون هذا العمل أو الملكة الشعرية،
 وذلك باختيار ما يحف من شعر العرب وهو الحر النقي الكثير الأساليب، ثم
 حفاؤه، وبالاكثر من المحفور والاعتلاء منه، تشحن القريحة الشعرية للنسج على

(١) ينظر: الملكة اللسانية في شعر ابن خلدون: ٥٢، وفي اللغة ودراساتها: ٢٥ •
 (٢) المقدمة: ١٢٩٦/٤، وينظر: قراءة في مقدمة ابن خلدون عن الأدب ونقده: ٢٠٠ - ٢٠١ (بحث منشور) •

الحنو، فتمتلئ الملكة، ثم يقبل على الدام، وبممارسة النظم وتكرار هذه
الممارسة تستلزم الملكة وترسخ. • أي أن ابن خلدون، قد وضع كيفية حصول
الملكة الشعرية، ويرى أن الحفظ وكثرته، الأساس الذي يبنى عليه جودة النظم
ومن درته يصبح النظم قادرا رديقا وغاليا من الرونق والحلاوة، ولهذا يرى
أن من قل حفظه أو عدمه، كان شعره مائلا، فأولى له اجتذاب النظم،
وتد عقد فصلا في حصول الملكة بكثرة المحفوظ، وأكد فيه أنه على مصدر
جودة المحفوظ وطبقته في نفسه وكثرته عن قلته تكون جودة الملكة الحاصلة (١).

ويمكننا القول، أن ابن خلدون أسند الشكل الفني (الشعر) إلى محفوظ
صاحبه، أي خزينه الثرو من الأمثلة الشعرية الجيدة بمعيار الجودة، ليكون ذلك
الخزين الشعري، بعد الاقتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسج على الطموال،
ومن ثم نسيان ذلك المحفوظ، الموحدة الأولى للاقبال على النظم الذي يمهّد
السبيل إلى ميلاد الشعر بالمعنى الفني - الجمالي. • وإذا انتفى تحقيق هذه
الخصوصية المرتبطة بكثرة المحفوظ ونسيانه، أي إذا كان الشخص غاليا من
المحفوظ، فالذي يقوله ليس بشعر بل هو نظم قاصر وردى، لأن كثرة المحفوظ
تولد الرونق والحلاوة للفنيين، أي أن ابن خلدون يجعل المحفوظ معيارا ليعوازن
ويفاضل به بين تعبيرين لخويين ملتزمين بالوزن والقافية والمعنى، الشعر
الجيد الناتج عن كثرة المحفوظ وعن ثم نسيانه، والنظم الساقط الناتج عن
قلة الحفظ أو عدمه (٢).

ونلاحظ أيضا، أن ابن خلدون جعل شعر الاسلام المثال للحفظ، لأنه
يعد ((كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة في البلاغة وأذواقها من كلام
الجاهلية في عنثورهم ومنظورهم)) (٣)، ثم يذكر السبب في ذلك فيقول: ((أن هؤلاء
الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث
الذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما)) (٤)، فابن خلدون حاول أن يسلط

(١) ينظر: المقدمة : ١٣٠٣/٤ •

(٢) ينظر: ابن خلدون ناقدًا : ٢١ - ٢٣ (بحث مخطوط غير منشور) •

(٣) المقدمة : ١٣٠٥/٤ •

(٤) المقدمة : ١٣٠٦/٤ •

الفكر على توضيح اسباب اختيار المحفوظ ، الذى جاد الكلام فيه من اسلوب ومغزاة وطبقة عالية في البلاغة ((فاذا استبان تلك الطرق على ما بها من الغناء على كثير من الافكار استلزم بالقوة التشبيه على انتهاج مثل تلك الدارق في كلامه ، ونصب ما قام بخاطره من تصورهما تمثالا يصوغ كلامه بحسبه ومنوالا ينسج نظامه عليه ، جاء كانه هو)) (١) .

ان الشرط الذى وضعه ابن خلدون في اكتساب ملكة الشعر ، وهو نسيان المحفوظ ، يراه قد يترك أثرا في النفس فيجعلها مستعدة ومتكيفة لانتقاص الاسلوب فيها ، فيصبح كأنه منوال يؤخذ بالنسج عليه (٢) ، ولذلك كان الاستاذ ساطع الحمصى ، يرى ان أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيرا عميقا في نظريات التربية والتعلیم ، هو الاثر في النفس الذى يحدث من جراء الحفظ بعد نسيان المحفوظ (٣) . وذهب الحمصى ، الى ان عبارة ابن خلدون عن الحفظ ونسيان المحفوظ ، من أهم العبارات التي تدل على نفوذ ابن خلدون في ذلك لانها ((تشير أولا الى ما يبقى في الذهن وفي النفس من الاثر اللاشعورى من جراء كثرة الحفظ ، حتى بعد نسيان المحفوظ ، وتقرر ثانيا : ان ذلك اوفق لمصلحة النائم ، لان الشعر الذى يبقى في البال بحروفه ، قد يحمل على التقليد ويحول دون الابتكار . غير انه اذا نسي - بعد ان تكيفت النفس بها وانتعش الاسلوب فيها - يكون قد ترك اثرا (تربويا) يعطى عملا ناجحا في نظم الشعر على منوال المحفوظ النسي ، فيفسح بذلك ميدانا واسعا للابتكار)) (٤) .

يتضح من ذلك ، ان ابن خلدون لم يثر علاقة المحفوظ المنسي بالاسلوب الشعرى الناجح الذى سرعان ما ينتظم نسجا مأليفا عند الشاعر ذى القريحة الذى يستجيب لدوافع لحظات الالهام أو الرحي الشعرى وذلك عن طريق الخلوة واستجادة المكان المنظر والمسمع ، الذى تتوهج فيه الطبيعة جمالا ورونقا ، والذي يؤدي الى استتارة القريحة وتنشيطها بملاذ

(١) غزاهج البلخاء : ٣٤٢ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٩٦/٤ - ١٢٩٧ .

(٣) ينظر : دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٤٧١ .

(٤) دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ٤٧١ .

المسرور ، فلهذا عن سماع الاسوات الشعرية في الوجود أو الهيئة التي تحيط بالشاعر ، وهذا قد وضع ابن خلدون الشرط الآخر الذي يساعد على احتلاك ملكة الشعر واكتسابها ، والذي دعاه بواعث الشعر ، ويرى ان افضل الاوقات لتمام الشعر ، الدجاج المبكر ، ويستمر في ذكر بواعث الشعر مشيراً الى فضل كتاب ريسر العدة لابن رشيق في هذه الصناعة (١) .

ويبدو ان ابن خلدون كان متأثراً بابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في كتابه (الشعر والشعراء) ، فقد ذكر فيه دراعي الشعر التي تحت البطني وتبحث المتكلفين وحذا الطمع والشرق والدارب وغيرها (٢) . وكذلك ابن طباطبا (٣٢٢ هـ) في كتابه (عيار الشعر) فقد ذكر ان للشعر ادوات يجب اعدادها قبل ممارستها (٣) . وكذلك قد سبق ابن خلدون بواعث الشعر هذه ابن رشيق (٤٥٦ هـ) في كتابه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) (٤) ، وقد ذكر ابن خلدون ، مشيراً الى فضله في ذكره للبواعث الشعرية .

ونلاحظ ان ابن خلدون ، يوجه النصائح في طريقة كتابة الشعر أو يعبر عن موقف معين ، فقد حذر أئمة اللسان عن استخدام الالفاظ المولدة عن ارتكاب الضرورات الشعرية بغية الوصول الى الملكة الشعرية ، ومن ثم اجتنب المعقد من التراكيب عند النظم واستعمال ما كانت معانيه تسابق ألفاظه الى الفهم دون الاكثار من المعاني في البيت الواحد ، ومن ثم ينصح الشاعر باجتنب الحوشي من الالفاظ القعر وكذلك السوقي المتذل بالتداول في الاستعمال (٥) .

ويمكننا القول من خلال توجيه ابن خلدون النصائح لناظمي الشعر ، انه انتقد قسماً من الطرائق في كتابة الشعر ، اي اننا نلمس فيه الشاعر الناقد الذي اعتمد اسس علية النقد . وقد لاحظ ذلك ابراهيم جدلة ان رأى ان ابن

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٩٧/٤ و ١٢٩٩ ، وابن خلدون ناقد : ٢٢-٢٣ [بحث مخطوط غير منشور] .

(٢) ينظر : الشعر والشعراء : ٢٠ وما بعدها .

(٣) ينظر : عيار الشعر : ٤ .

(٤) ينظر : العمدة : ٢٠٤/١ - ٢١٥ .

(٥) ينظر : المقدمة : ١٢٩٧/٤ - ١٢٩٨ ، وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده : ٢٠٢ (بحث منشور) .

خلدون احتم بالشعر ناقداً وشاعراً ، واستشف ذلك عبر كتاباته في مقدمته عن الشعر شيراً الى قصائده القليلة التي نَحِيها والتي لا تختلف كثيراً عن نظم القدماء للشعر (١) .

لقد صور ابن خلدون الاستعداد لقول الشعر ، اي عواجل ارتقاء الملكة الشعرية ، كأنها كسائر الملكات تتحصل باختيار الحفظ أولاً ، وحفظه ثانياً ، والاكثار من الحفظ ثالثاً ، ثم نسيان الحفظ لينتقل الاسلوب في قرار النفس ، وهكذا تنشأ الملكة الشعرية التي شبهها بالظلال الذي يندمج عليه ، ومن ثم الاقبال على النظم بممارسته وتوالي هذه الممارسة تستحكم الملكة الشعرية وترسخ . وهكذا يوضح ابن خلدون ارتباط الشعر وصناعته بالملكة الشعرية ، فكلامه على ملكة الشعر في حقيقة الامر ، ككلام في اكتساب الموهبة اللسانية لقول الشعر - انصح التعبير - ساعده على ذلك نظريته في الملكة اللسانية ، وتطبيقه لها على الشعر وصناعته ، ولكنه قد اغفل جانباً أساسياً مهماً في الشعر وصناعته ، وهو جانب بعيد عن الاكتساب والصنعة ، ألا وهو (الموهبة الشعرية) ، فلم يتطرق الى تلك الموهبة الإلهية العظيمة ، التي تستقر في اعماق الشاعر لقصاعده على التطلع على العوالم الخيرية من الصور والذلال والخيال التي يراها الشاعر بمشاعره الخاصة ورهافة حسه وشفافيته التي تجعله مسيطراً على تلك العوالم ومن ثم تجسيدها بالالفاظ الجميلة العذبة العقيدة بالاوزان والقوافي ، كل ذلك قد غفل عنه ابن خلدون ولم يفتن اليه ، وذلك لانه ركز اهتمامه على جانب الاكتساب من خلال نظريته ومفهومه للملكة اللسانية ، فكان يعتقد ان اكتساب ملكة الشاعر عن طريق الحفظ فقط فيستطيع ان يصنع الشاعر الجيد . وقد تنبه على ذلك الدكتور محمد عيد ، مؤكداً ان ابن خلدون قد اغفل جانباً مهماً في قول الشعر لا يمكن حده في اطار الصنعة والاكتساب وهو (موهبة الشعر) أو كما يسميه (الاشعاع الالهي) غير المنظور والمصنوع (٢) .

- (١) ينظر : منزلة الشعر العربي في فكر ابن خلدون : ١١٢ وما بعدها (بحث مشور) وقراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده : ٢١٥ وما بعدها (بحث مشور) .
(٢) ينظر : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٤٥ وما بعدها ، وفي اللسان ودراستها : ٢٨ وما بعدها .

ولذلك أراقب الدكتور . د. عبد مدين يقول : ((لو كان الأمر فقط ، كما
 بسبب ابن خلدون ، لدمج ان كل رواية الشعر في القديم — وعندهم كانوا
 يعطونه — بعد ان ينشروا الشعر . لكن الأرق للشعر مكنى لدى كل من
 يريد ، فما عليه الا ان يحذف على دواوين الشعراء ينتقي منها جملة صالحة
 يحفظها ، ويحذف بقية الشعر ، ويحذفه . ليس يديه . ولكنه . لكن
 واقع الأمر لا يصدق ذلك ، كما لا يصدق الملائمة الموضوعية في تاريخنا
 الأدبي القديم والحديث ، فما كل من روى الشعر وحفظه صار شاعرا ،
 وقديما فرق الأقدمين بين رواية الشعر ودرأته بين حفظه وإجاده ، وبين
 تعلمه وتوثيقه)) (١) .

وهكذا نجد ان ابن خلدون ، قد استعمل مفهوم الملكة اللسانية
 في الصناعات كلها ، لان الملكات — في رأيه — شبيهة بالصناعة ، وكما نعلم
 ان لكل علم ملكة وصناعة ومن هذا الاساس انطلق ابن خلدون ليصف الملكة
 الشعرية . ولا يفوتنا ان نذكر ان ابن خلدون يرى ان الشعر لا يكون مختصا
 باللسان العربي فقط بل هو في كل لغة (٢) .

ولكنه يرى ان ملكة الشعر مستحكمة عند العرب شأن بقية الملكات ولكن
 صعب المأخذ لم يولد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل
 بيت منه ، فيحتاج لذلك الى نوع من التلطف في تلك الملكة (٣) .

كما يرى ان ملكة الشعر لاول الاسلام والعصرين الاموي والعباسي ، كانت
 على التليح والسجية ، اما من جاء بعدهم وبسبب الاختلاط ، فلم يكن لسابهم
 لسان مضر بسبب العجمة لذلك تعلموا الشعر بالصناعة (٤) .

وكما نعلم ان ابن خلدون يرى ان الشعر صناعة مكتسبة ، لذلك
 فصناعته في الالفاظ لا في المعاني ، وذلك لان المعاني قائمة في الضائير
 وفي دموع كل فكر ، فلا تحتاج الى صناعة ، اما الالفاظ التي تعبر عن المعاني
 فهي المحتاجة الى الصناعة ، ولهذا يرى ابن خلدون ان صناعة النظم هي

(١) الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : ٤٦ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢١٤/٤ — ١٢١٥ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢١٠/٤ .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢١٤/٤ .

الالفاظ لا في المعاني ، وقد عقد فصلا كاملا في صناعة النظم والنثر (١) . وقد تحدثنا آنفا ، عن صناعة الكلام أو تاليف الكلام في الالفاظ والمعاني •

ولا يفوتنا أيضا اشارة ابن خلدون الى الكلام المطبوع والمصنوع ، فقد عقد له فصلا في عقده بعنوان ((في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع وكيفية جودة المصنوع أو قصوره)) (٢) . وقد وضع فيه الكلام المطبوع وما يقصد به ، فيرى انه ((الكلام الذي كملت طبيعته رسجيته ، من افادة مدلوله المقصود منه ، لانه عبارة وخطاب ليس المقصود منه النطق فقط ، بل المتكلم يقصد به ان يغيد سامعه ما في ضميره افادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة)) (٣) • ثم يوضح تراكيب الكلام المطبوع على هذه السجية وما يتبعه من التحسين والتزيين اللذين يحطيانه رونق الفصاحة ويذكر امثلة على هذا الكلام من القرآن الكريم ، كما يرى ان هذا الكلام المطبوع وقع للجاشعية عفوًا عن غير قصد ولا تعمد وكذلك الاسلايين فلذلك أتوا منه العجائب شيئا الى من احكم طريقته من شعراء الاسلام (٤) •

وخلاصة القول ان ابن خلدون ، يرى ان الشعر كان موجودا عند العرب بالطبع أو السجية ، ولا سيما عند المسلمين ويعود الفضل في ذلك الى القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة التي ساعدت على نظم الشعر بمستوى عالي الطبقة في البلاغة ، اما بعد ذلك فأصبح نظم الشعر ، اكتسابا ومنفعة بسبب المخالطة ودخول الحجة في اللسان العربي ، فأصبح اللسان قاصرا عن مستوى اللسان العربي الاول الاسلام ، ونحن نؤيد ما يقال بأن ((النظم صناعة آلتها الطبع ، والدافع هو استكمال للنفس في فهم اسرار الكلام ، والبصيرة بالمذهب والاغراض التي عن شأن الكلام الشعري ان يلحى به نحوها ، فاذا أحاطت بذلك علما قويت على صوغ الكلام بحسبه عملا ، وكان النفوذ في مقاصد النظم واغراضه وحسن التصرف في مذاهبه وانحاءه انما يكونان بقوى فكرية وامتدادات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء)) (٥) •

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| (١) ينثر : المقدمة : ١٣٠٢/٤ • | (٢) المقدمة : ١٣٠٧/٤ • |
| (٣) المقدمة : ١٣٠٨/٤ • | (٤) ينثر : المقدمة : ١٣٠٨/٤ وما بعدها |
| (٥) غرر البلاء : ١٦٩ • | |

الفصل الثالث

الترجيات العائنية

المبحث الأول

اللهجات العامية والنظر اللغوي

من ابن خلدون اللغة الفصحى من اللهجات العامية ، ونجد ذلك واضحا
لقد عده ، وقد عقد فصلا للتمييز اللغة الفصحى القديمة (اللغة الفصحى) من
لغة العرب المعروضة . لغة أهل الحضر والامصار (اللهجات العامية) (١) .

لقد سمي ابن خلدون اللغة الفصحى باسم (لسان العرب) (٢) ، أو (اللسان
العربي) (٣) ، أو (لغة مصر) (٤) ، أو (اللسان النضري) (٥) ، وسماها ايضا
(اللسان المدون) (٦) . اما اللهجات العامية ، فأطلق عليها (لغة أهل الحضر
الامصار) (٧) .

وعند وقفنا على معنى (اللهجة) في المعاجم نجد ما وردت بمعنى طرف
اللسان : ((اللهجة واللهجة طرف اللسان ، واللهجة واللهجة جوان الكلام ،
الفتح على ، ويقال فلان فصيح اللهجة واللهجة وهي لغته التي جيل عليها
عتادها وشأ عليها)) (٨) .

وقد ذهب بعض العلماء الى ان اللهجات لا وجود لها ، اي لا وجود
لحدود الواضحة بين لهجة وأخرى ، ومن الذين يذهبون هذا المذهب
جاستون باربون) ويقول : ((لا يوجد اي حد حقيقي يفصل بين فونمي الشمال
ونومي الجنوب ، فصور التكلم الشعبية عندنا تمتد على أرض الوطن من طرف
آخر كالأرنا . بساطت وضحت أرائه المتنوعة في كل نقطة منه بعضها على

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٢) ينظر : المقدمة : ٨٨٨/٣ مثلا .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٥) ينظر : المقدمة : ١٢٧٥/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٦) ينظر : المقدمة : ١٢٧١/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٧) ينظر : المقدمة : ١٢٧٤/٤ ، ١٢٧٤ مثلا .

(٨) لسان العرب : مادة (ل ه ج) ، ينظر : تهذيب اللغة : مادة (ل ه ج) .

بعض وأصبحت درجات لا يناد يميز بعضها من بعض)) (١) . وقد ذهبنا
هذا المذهب (نثرية الاصااج) ليوهمان شت الذي يقرر ((أن كل ظاهرة
لغوية تنحدر على سطح القطر لعدد الاصااج ، وأن كل سوجة في تقديها
التدريجي غير الحسوس ليس لها حد معين ، ويستند في نثريته على (٢)
دراسة اللغات الهندية الآرية حيث الخطوط التي تفصل بين كل خاصية
لغوية وأخرى لا تنطبق على الخطوط التي تفصل بين خاصيتين لغويتين
أخريين ، وذلك كما هي الحال في اللغات الرومانية)) (٣) .

ولكننا نجد بعض العلماء قد دافع عن التقسيم اللهجي للغات ، فهذا
ابطوان ما ييه وضح بأنه يمكن قيام تقسيم لهجي ((يقوم على الهدأ القائل ،
بأن من حقنا أن نتكلم عن (٤) وجود لهجات ، كلما رأينا عددا كبيرا من
الخطوط التي تفصل بين الخصائص ، ينطبق بعضها على بعض ولو بشكـل
تقريبي . فهناك لهجة محددة في كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص
مشتركة . وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين
متجاورتين فإنه يبقى أن كلا منهما متميز في مجموعها ببعض السمات العامة
التي لا توجد في الأخرى)) (٥) .

واللهجة في الاصطلاح اللغوي الحديث ((مجموعة من الصفات اللغوية
تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة)) (٦) .
وإذا نظرنا إلى التراث اللغوي القديم ، وجدنا جذور هذا الموضع (اللغة
الفصحى واللهجات العامية) ماثلة في كتب القدماء ، فابن السكيت (٢٤٤ هـ)
في كتابه (اصلاح المنطق) يحاول أن يعالج داء اللحن والخطأ في الكلام ،
وما تخلط فيه العامة (٧) . وقد تحدث الجاحظ (٢٥٥ هـ) في نوادر كثيرة
في اللحن في القرن الثالث ، عما سمعه ووصفه وعابه على من يتكلمون

(١) اللغة : ٣١٢ ، وينظر : فصول فقه العربية : ٥٧ .

(٢) الفصح : إلى .

(٣) اللغة : ٣١٢ ، وينظر : فصول في فقه العربية : ٥٧ — ٥٨ .

(٤) الفصح : على .

(٥) اللغة : ٣١٢ ، وينظر : فصول في فقه العربية : ٥٧ — ٥٨ .

(٦) في اللهجات العربية : ١٦ .

(٧) ينظر : اصلاح المنطق : ٢/٢٢٥ وما بعدها .

الفصاحة عن علماء اللغة والاعراب ، وقد وصف الذين يلحنون بالمولديين —
والبلديين (١) .

اما ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) فقد ذكر في كتابه (أدب الكاتب) ما تقوله
العوام وما يكون الفصح مما يقوله (٢) . ويرى يوهان فك ان اقدم الاثار
الادبية لحركة التنقية العربية ينسب الى الكسائي (١٨٩ هـ) في كتابه
(لحن العامة) (٣) .

وقد لاحظ ابن جني ، ان الفساد اللغوي ، كان قد ظهر منذ عهد الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم (٤) ، كما لاحظ ان لغة اهل الحضر مشابهة للغة
فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم ، لكنهم قد اخلوا بأشياء من اعراب الكلام
الفصح (٥) ، وقد عقد بابا بعنوان (سقطات العلماء) ، قد وقع فيه على اخطاء
العلماء العرب وتصحيغهم (٦) .

اذن فالاهتمام باللغة الفصيحة ظهر منذ القدم ، اما الاهتمام بالعامية
فقد ظهر منذ القرن الثاني للهجرة تقريبا ، وكانت دراسة القدماء للعامية
تتطلب حذف اللغة الفصيحة من التحريف واللحن والدخيل عن طريق تقويم
السنة العامة وتصحيح اخطائهم ، ولذلك ((وجدناهم يهينون الى مقاومة تيار
اللحن ويجاهدون ضده ما وسعته المجاهدة . فلم يدخروا جهدا ، ولم
يوفروا طاقة الا وقد وظفوها في خدمة العربية ، والتعبير عن الاعتزاز بها
وضمان سلامتها . لذلك عدوا مناصرة الصحيح عن اساليبها ، وتخليه على
سواه مظهرا لازما من مظاهر الاخلاص لهذه اللغة)) (٧) .

-
- (١) ينظر : البيان والتبيين : ١٤٥/١ - ١٤٦ .
(٢) ينظر : ادب الكاتب (كتاب تقويم اللسان) ٢٨٣ وما بعدها .
(٣) ينظر : العربية : ٩٧ .
(٤) ينظر : الخصائص : ٨/٢ .
(٥) ينظر : الخصائص : ٢٩/٢ .
(٦) ينظر : الخصائص : ٢٨٢/٣ - ٣٠٩ .
(٧) دفاع عن العربية : ١١ .

ونقائنها وصغائرها ، فلذلك تكون اللغة محتفظة بخصائصها الأولى ، ولهذا السبب يرى أن لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم ، وكذلك القبائل التي جاورتها من ثقيف ومذيل وخزاعة وكنانة واسد وتميم وغيرهم (١) . أما الاختلاف فله تأثير كبير في اللغة ومسارها الطبيعي ، فيدخل عليها التغيرات والتبدلات (٢) . ((فلما خرج العرب الى الامصار فاتحين خرجوا يحملون لهجاتهم المتباينة على هذين الحدين المتفاوتين ، اذ لم يكن سكان مكة والمدينة ولا الحجاز هم الذين قاموا بحركة الفتح وأقاموا الدولة العربية الاسلامية وحدهم دون غيرهم فلم تكن لهجات الفصحى النقية هي ، وحدها ، التي انتقلت الى الامصار ، اذ انتقلت اليها اللهجات المختلطة أصلاً)) (٣) .

وعلى قدر الاختلاط يكون التبدل في خصائص اللغة وقوانينها حتى تظهر كأنها جديدة ، لذلك كان يقول ابن خلدون : ((واليوم الواحد من العجم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار ، فأول ما يجد تلك الطقة المقصودة من اللسان العربي متحيرة الاثار ، ويجد ملكتهم الخاصة بهم طقة اخرى مخالفة لطقة اللسان العربي)) (٤) ، وهذا يدل على انه على قدر قرب القبيلة من قريش تكون فصاحتها اكثر ويؤخذ بكلامها (٥) ، فلهذا قريش ، هي اللغة المعبرة من اغراض متكلمها في حياتهم لتتقل احاديثهم وخطبهم ومحاوراتهم التي تمثل الشجرة اللغوية الهائلة التي وصلت الينا وهي في أوجها غاية في الاتقان والبلوغ والعمق ، وارقى ما عر بهذه اللغة القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر المتنوع الكثير .

لقد مثلت هذه اللغة حياة العرب الدينية والاجتماعية والفكرية ، ولذلك استوجبت هذه اللغة - لغة مضر - العناية والاهتمام ، والسبب الاول والرئيس في هذه العناية ، هو ان القرآن الكريم والحديث الشريف هما بهذه اللغة ،

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٦٩/٤ - ١٢٧٠ .

(٣) الخبيبة التحول الى الفصحى : ٧٠ .

(٤) المقدمة : ١٢٨٢/٤ .

(٥) ينظر : فصول في فقه العربية : ٨٦ - ٨٧ .

وهما — كما يقول ابن خلدون : ((اصلا الدين والطة فخشي تناسيها وانخلاق
الاعراب عجزها بفقدان اللسان الذي تنزلا به ، فاحتج الى تدوين احكامه
وضح مقاييسه واستنبط قواعده)) (١) .

ويتضح من كلام ابن خلدون هذا ، انه يوضح سبب وضع المقاييس والقوانين
للغة مضر ، اي يوضح السبب الذي اقتضى اعرابها ، وهو الخوف من تناسي
القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكذلك الانخلاق عن فهمها ، وهو السبب
نفسه الذي استوجب الاهتمام بلغة مضر ، وادى الى تمسك الادباء والعلماء
بها ، فغير عامل ديني ، وسبق ان اشار اليه ابن خلدون في كلامه على فساد
الطة وخوف اهل الحلوم عن انخلاق القرآن الكريم والاحاديث الشريفة عن المفهوم ،
ما أدى الى استنباط القوانين من مجارى كلامهم للمحافظة على تلك الطة (٢) .

وبعد ان وضع ابن خلدون سبب اعراب اللغة المضرية — الفصيحة — لاحظ
ان لغة العرب لعصره ، هي لغة مضر ، لكنها تطورت وحصل بعض التغيير
والتبدل في مسارها الطبيعي ، وهذا امر طبيعي وقع بسبب الفتوحات الاسلامية
التي قام بها المسلمون ، وما أدت اليه من اختلاط العرب بالاعاجم وتأثير
هذا الاختلاط في اللغة ، فقد ((عانت العربية على لسان غير العرب من تغييرات
حددت بالمسخ صورة وقعها وجرسها وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصيغ
وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام اخبار المعاصرين . بيد
ان المؤلفات المتأخرة عن ذلك قد حفظت لنا مقدارا كبيرا من الاخبار عن
الاطا اللغوية ، التي وان كان كل منها على التفصيل ليس بذى قيمة
خاصة ، الا انها في مجموعها تؤكد نوعا من الخصائص والسمات بصورة مستفيضة ،
بحيث يجوز لنا ان نعتبرها طابعا مميزا لهذا التطور)) (٣) ، فلا يمكن اذن للغة
ان تتطور تطورا مستمرا بحزل عن كل تأثير ، بل ان الاثر الذي يقع على اللغة
من اللغات المجاورة لها ، اثر بالغ في التطور اللغوي ((ذلك لان احتكاك
اللغات ضرورة تاريخية ، واحتكاك اللغات يؤدي حتما الى تداخلها

(١) المقدمة : ١٢٧١/٤ — ١٢٧٢ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٥٥/٤ — ١٢٥٦ ، وينظر : مفهوم الادب في الخطاب

الخلدوني : ١٥٢ — ١٥٤ .

(٣) العربية : ٢١ .

والنتائج اللغوية التي تتجم عنها كبيرة الخطر لأنه إذا احتكت لغتان أحدهما بالآخرى ، أثرت كل منهما على (١) صاحبتها ، حتى ذهب بعض علماء اللغة ، بناء على هذه الحقيقة ، إلى أنه لا توجد لغة غير مختلطة ولو إلى حد ما . فطينا إذن أن نقدر الشرف التي يمكن فيها اختلاف اللغات والنتائج اللغوية التي تتجم عن هذا الاحتكاك (٢) . ويرجع تكتون اللهجات في العالم إلى عاملين رئيسيين هما : الانعزال بين بيئات الشعب الواحد ، والصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات (٣) .

إن اللغة كائن حي يتطور بتطور المجتمع الذي يكلمها ، وما يطرأ عليه من ظرف واحد ، ولكن هذا التطور لا يعني قيام لغة جديدة ، بل تنق اللغة نفسها مع بعض التغيرات ((فالتغير الكامل في مجتمع يمتنع لغة ما لا يستلزم بالضرورة تغييرا في بنية هذه اللغة . فالمجتمع الروسي قد قلب قلبا قلب في القرن العشرين ولكن اللغة الروسية احتفظت ببنيتها القديمة)) (٤) ، إذن عادت اللغات البشرية مستعملة ومداولة يحدث تغيير فيها يؤدي إلى تطورها ((ومفهوم التطور هنا لا يحمل شحنة معيارية لا (٥) إيجابا ولا سلبا ، وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتراكيب من جهة ثم في الدلالة على وجه الخصوص ، ولكن هذا التغير هو من الباطن بحيث يخفى عن (٦) الحس الفردي المباشر اللهم إلا بوعي لغوي يصبح فيه الحدث اللساني مقصدا لذاته فيتضح عندئذ ألا تتجلى عراسه الاخلال السنين)) (٧) ، وهذا ما كان يرمي إليه ابن خلدون بقوله : ((وما زالت حضارة البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا فنحن نجد

-
- (١) الفصحى : في .
 (٢) اللغة : ٣٤٨ - ٣٤٩ .
 (٣) ينظر : في اللهجات العربية : ٢١ .
 (٤) اللغة والمجتمع (الصحرا) : ٦٥ .
 (٥) الفصحى : حذف (لا) هذه .
 (٦) الفصحى : على .
 (٧) حد اللغة بين المعيار والا استعمال : ١٠ (بحث منشور) .

القوم الكثر من ألفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتعارين فيه بطاير الأمانة موجود في كلامهم ليردوا العرب ، وأساليب اللسان وقوته من النظم والنثر موجودة في محاضراتهم ، وفهم الخطيب المصقع في محاضراتهم وجماعهم ، والشاعر المطلق على أساليب لغتهم ، والذوق الصحيح والشمع السليم شاهدان بذلك)) (١) .

لقد لاحظنا من سطور ابن خلدون أن لغة العرب لعصره ، لغة مصر القديمة ، إلا أن الحركات الاعرابية قد فقدت مدبراً ، واستعيرت غيرها بقرائن الكلام ، ولهذا كانت لغة العرب لعصره ، لغة مستقلة ومغايرة للغة مصر وحمير ((وذلك إما نجدها في بيان المقاعد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضرى ، ولم يفتقد مدبراً إلا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا مدبراً بالتقديم والتأخير بقرائن تدل على خصوصيات المقاصد . إلا أن البيان والبلاغة في اللسان المضرى أكثر وأعرف . لأن الألفاظ بأعياها دالة على المعاني بأعياها ، ويبقى ما تنحصر فيه الأحوال رئيس بسائر الحال محتاجاً إلى ما يدل عليه)) (٢) .

فابن خلدون يرى أن لغة عصره ، على الرغم من التطورات الاجتماعية والتاريخية التي طرأت على اللغة المضرية ، لم تتأثر تأثراً كبيراً وجوهرياً فيما تعرضت له من عوامل اجتماعية وتاريخية ، فلذلك لم تخرج عن حيز اللغة العربية المضرية القديمة ، بل ما زالت محافظة على أهم عبادى العربية وأصولها الأساسية ، ولكن الذى فقد غيرها ، الاعراب في أواخر الكلام الذى ((لزم في لسان مصر طريقة واحدة ومعينا معروفا وهو الاعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان)) (٣) .

أن ابن خلدون قد أدرك أن لغة عصره لم تعد تنجأ إلى الحركات الاعرابية للدلالة على وظائف الكلام ، وذلك لأنه ((لم يكن هناك لغة واحدة بين اللغات التي التفت إليها العربية في عهد الفتح ، وكانت محتفظة بنظام تصريفها القديم ، ولهذا كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا

(١) المقدمة : ١٢٧١/٤ .

(٢) المقدمة : ١٢٧٠/٤ ، ويذكر : مفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٥٠ -

١٥١ .

(٣) المقدمة : ١٢٧١/٤ ، ويذكر مفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٥٠ -

١٥١ .

اذ ذاك الى استخدام الحرية ، أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للجملة العربية القديمة ، فأثروا التصرف بوساطة أساليب التعريب التقريبية ، التي اعتادوها في لغاتهم الأصلية ، وحذفوا حركات الاعراب الأخيرة ((١)). ولهذا كان يرى ابن خلدون ، أن فقدان الاعراب ليس بضائر وتستطيع اللغة أن تعرضه بقوانين تحدد هذه الوظائف اللغوية ولهذا كان يقول : ((ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرنا احكامه نحافظ من الحركات الاعرابية في دلائلها بأمر أخرى عرجودة فيه ، فتكون لها قوانين تخصها ، ولعلها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مصر فليست اللغات وحركاتها مجاناً)) (٢) .

فابن خلدون قد بلغ بنجاح حسه ((نموذج الاوفى في المطارحة اللغوية عندما يتردد الى ان التغير التسلط على اللغة العربية قد جرهما من عنف اللغات التأليفية الى عنف اللغات التحليلية وذلك في السائرة الحيوية العربية ، وأن سقوط حركات الاعراب قد استعاضت عنه اللغة بقوانين داخلية انتظمت بتوجيهها العربية اتساعاً جديداً)) (٣) .

وهذا يعني ان ابن خلدون قد ادرك ان ترك الاعراب أو التصرف الاعرابي ضرر من عناصر التطور اللغوي (٤) . رغبه لم يعط ابن خلدون الحركات الاعرابية أهمية كبيرة للغة المصرية ، فهي في نظره لا تتميزها ولا تعطي لها اعتباراً وشرقاً ، ولذلك فإن فقدانها في لغة عصره ليس بضائر ولا مؤثر فسي الخصائص الاساسية لها ، عن هذا يتضح لنا أن ابن خلدون لا يولي أهمية لصناعة الاعراب والنحو فلذلك قال : ((ولا تلتفتن في ذلك الى خرفة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة عداوتهم عن التحقيق ، حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وان اللسان العربي فسد ، اعتباراً بما وقع اواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه)) (٥) .

(١) الحرية : ٢١ . (٢) المقدمة : ١٢٧٢/٤ .

(٣) التفكير اللساني في الحضارة العربية : ٩٨ ، وينظر : علوم اللسان عند ابن خلدون : ٢٧ (بحسب منشور) ، وقراءات مع الشاوي والعتبي والجاحظ وابن خلدون : ١٨٩ .

(٤) ينظر : الحرية : ١١٨ . (٥) المقدمة : ١٢٧١/٤ .

ويبدو ان رأى ابن خلدون هذا ، رأى جرى ، لم يجره احد على القول
 به من بعده الا انه قد شبه الى هذا الرأى شيئا الدين ابن الاثير
 (٦٣٧ هـ) في كلامه على علم العربية من النحو والكشف (١) . فبعد ان
 يذكر اهميته واهمية انتائه لكل من يخلق باللسان العربي لبأس معرفة اللحن
 يقول : ((ومع هذا فانه وان احتج اليه في بعض الكلام دون بعض لضرورة
 الاغترام ، فان الراشح لم ينحن به شيئا بالوضح ، بل جعل الوضح عاما ، والا فاذا
 دلونا الى ضرورته وأقسامه البديهة وهذا اكثرها غير محتاج اليه في الاقسام
 المعاني . ألا ترى انك لو أمرت رجلا بالشوام فقلت له (قوم) بأشياء الوار ولم
 تجزم لما اعتل من فهم ذلك شي ؟ وكذلك الشرط لو قلت : ((ان تقوم أقوم)
 ولم تجزم لكان المعنى مفهوما . والفعلات كلها تجري هذا المجرى كالحال
 والتصيير والاستثناء ، فاذا قلت ((جاء زيد راكب)) ، و ((ما في السماء قدر راحة
 سحاب)) ، و ((قام القوم الا زيد)) فلزمت السكون في ذلك كله ، ولم ينتهين
 اعوابا ، لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد ، وهكذا
 يقال في المجزورات وفي المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفي المبتدأ
 والخبر ، وغير ذلك من أقسام أغر لا حاجة الى ذكرها)) (٢) . وهذا يدل على
 ان ابن الاثير لم يحط اهمية كبيرة للحركات الاعرابية شأن ابن خلدون ، فالفهم
 ان التراكيب اللغوية تؤدي وثائقها وتدل على معانيها دون اللجوء الى الحركات
 الاعرابية ، ولذا نجد ان ابن خلدون قد غالى في توضيح هذه الفكرة واقرارها
 حيث وصف عمل اهل صناعة النحو (النحاة) بالتخليط (الخرفشة) (٣) ، ولكن
 ((ما يورد مثل هذا الاعوام اللسان ومن لم يتلبس بالمصرفة ، ومن لم يرح رائحة
 العلم . ألم يعلم انه اذا صدر عن متروك كتاب لم يجزم افعال أمره ولا شروطه
 وجوابها ، ولم يرفع فاعله ويصب فضلاته ، ولا رأى شيئا من قواعد اعوابه
 التي هي ظاهرة ، ولا حافظ على شيء من الاعواب الهتة ، كان ذلك ضحكة
 للمغفلين فضلا عن العقلاء . وحينئذ فقد استوى العلماء والجهال)) (٤) .

(١) ينظر : المثل السائر : ٤١/١ وما بعدها .

(٢) المثل السائر : ٤١/١ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٧٤/٤ .

(٤) نبرة النثر على المثل السائر : ٦٦ .

أن ابن خلدون قد أدرك لغة العرب لعصره ، لغة قائمة بذاتها ، وهي لغة مشابهة للغة عصر القديمة (القديمة) (١) ، كما أدرك أن لغة أهل الحضرة والأصوار (اللبنيات العامة) (٢) ، أيضا لغة قائمة بذاتها ، يقصد بذلك اللغة بصرفها عن الفهم والأفهام ، أي التفهم عن المقصود ، والابانة عما في الفهم ، أما وجه الاختلاف بينهما وبين لغة عصر القديمة ، فهو فقدان الأعراس ، من لغة العرب لعصره ، ولغة أهل الحضرة والأصوار ، فهو يرى أن فقدان الأصوار لا يؤثر في اللغة بل أنه لم يترسأ أداء اللغة لعبانها الصحيح والطريق لانه لا يشك في أن اللغات بأصواتها دالة على المعاني بأصواتها ، ولكن يفتي بما تتضمنه هذه اللغات من أسرار ومفاهيم (يساعد الحال) (٣) .

أن تصحيح ابن خلدون في أن لغة العرب لعصره ، ولغات أهل الحضرة والأصوار (اللبنيات العامة) ، قائمة بذاتها ، يدل على عدم إدراكه للتطور القائم بين اللغة والأهل (الأم) ، وفرضها أن اللبنيات العامة ، لا تظهر الفهم أصل قائم بذاته .

وقد سبق أن أشار ابن خلدون في كتابه على علوم اللسان العربي التي بيان سبب تقديم (علم النحوي) على (علم اللغة) وهو الأعراس الدال على الاستعداد والسند ، والسند إليه ، فإنه يشير بالبرهان ولم يفتي له أثر (٤) .

ويمكننا القول ومن خلال ما تقدم ، أن ابن خلدون كان يدرك أن لغة العرب في عصره ، هي لغة عصر القديمة التي ولدت عليها بعض العوامل التي أدت إلى تغيرها وتعديلها ، ومثال هذا التغير ، حركات الأعراس ، أي (أن ابن خلدون يدرك أن اللغة تتغير من جيل إلى آخر فتتغير تعبيرات وأحوالها من خلال تعديل بعض قوانينها ، ويستنتج ذلك ، بالضرورة ، تغير القواعد النحوية بواسطة التكلم ، والتزام التكلم ، بتجربة الحال ، بالواقع اللغوي الجديد . تجاه هذا الواقع ، يلتزم ابن خلدون بهذا التغير الحاصل ولا يفترض لشيء

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧٤/٤ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٥٤/٤ .

اللغة الجمود ، فيرفض ، بالتالي (١) ، تجريد الدراسة اللغوية • ويدعو إلى استقرار الكيفيات المستحدثة في لغة عصره وإلى الالتزام بها في إطار استحصال اللغة (((٢) .

أذن فاللغة العربية ، في نظر ابن خلدون ، قابلة للتغير والتطور ، وهذا التغير يتمثل في الفساد الناشئ من المخالطة بالاعاجم ، ولذلك كان يقول : ((ثم فسدت هذه الملكة لمضر بمخالطتهم الاعاجم ، وبسبب فسادها ان الناشئ من الجيل ، صار يسمع في العبارة عن المقاصد ككيفية أخرى غير الكيفيات التي كانت للحرب ، فيحبر بها عن مقصوده لكثرة المخالطين للحرب من غيرهم ، ويسمع ككيفية الحرب أيضا فاغتلط عليه الامر وأخذ من هذه وهذه ، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الاولى ، وهذا معنى فساد اللسان العربي)) (٣) .

وعلى جاك لانجاد ان ابن خلدون كان متناقضا في نظريته للغة ، ففي الوقت الذي أكد فيه ، ان اللغة لعصره لم يتغير ولم تتطور منذ الاصل الا في نقطة غير مهمة عنده وهي حركات الاعراب ، أكد أيضا ان اللغة العربية قابلة للتغير والتطور المتمثل في فساد اللسان العربي بسبب المخالطة بين الحرب والحجم (٤) . ثم بعد ذلك اعترف بعدم وجود هذا التناقض ، وإنما يدل ذلك على تعدد معاني عبارة (اللغة العربية) التي تعني لغات مختلفة كلغة مضر وقريش ولغة القرآن الكريم واللغات المختلفة في افريقيا والمغرب والشرق (٥) .

والذي نقوله ، ان اللغة المضرية القديمة (اللغة الفصيحة) ، قد طرأ عليها تغير وتبدل ، أدى الى تطورها ، وان الواقع اللغوي للغة العربية كان يحتم عليها هذا التغير ، وذلك بسبب المخالطة بالاعاجم مما أدى إلى فساد اللغة ، ذلك ان اللغة في مسارها الطبيعي لا بد من ان تتطور تطورا طبيعيا ((فاللغة البشرية لا تتوقف عن التغير ، الا اذا انقطعت عن

- (١) الفصح : عن ثم •
 (٢) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٩ • (٣) المقدمة : ١٢٦٩/٤ •
 (٤) ينظر : فلسفة اللغة لابن خلدون : ٤٠ (بحث منشور) •
 (٥) ينظر : فلسفة اللغة لابن خلدون : ٤١ (بحث منشور) •

الاستعمال فحدثت اللغة بوقت تطور مختلف تاريخية ((أثرية)) شأن عديد اللغات التي تعرفها اليوم بالدراسة العلمية لا بالممارسة ، غير أن هذا (التطور) الذي نذكره اللغة يختلف في درجته وكثافته بحسب عوامل عديدة ، ولكنه يختلف أساسا بحسب انتقالها من الوجود الطبيعي إلى الوجود المحقق ، فما دام الناس يعتمدون باللغة على فطرهم فإن حركة التطور اللغوي ، تبقى هي الأخرى على سبيلها فلا يحدها حاجز ((١)).

وليس ذلك بوضع في كلام ابن خلدون الذي تطور اللغة ، ويستدل على ذلك في لغة العرب لعصره ، ولغة أهل الحضرة والامصار (اللهجات العامية) ولهذا كان الدكتور نجاد السومى يشير قائلا : ((ومهما يكن من أمر ، فإن التطور الذاتي الذي وقع في لغة الكلام وانتزعى إلى اسقاط الاعراب كان عاملا حاسما في اختلاف لغات أهل الامصار (اللهجات العامية) عن لغة مصر (العربية الفصحى) . وذلك هو الفرق الذي لحه ابن خلدون وهو أبرز عناصر الازدواجية وأكاسها ((٢)).

وابن خلدون قد ميز اللغة الفصيحة عن اللهجة العامية ، ومجـال هذا التمييز هو الاعراب ، فترك الاعراب هو الفرية أو الحد الفاصل بين العامية والفصيحة ((٣)). ولهذا فقد نظر ابن خلدون إلى اللهجة العامية ، على أنها لغة قائمة بذاتها ، ساعد التطور اللغوي والظروف الاجتماعية على تكوينها لأنه ((مهما كانت أهمية العوامل السياسية والاقتصادية فإن اللهجة أزل وأقل كل شيء كيان لغوي وحتى عندما نحسب حسب الظروف الخارجية في تكوين اللهجات ، يبقى أن هذه الظروف تستند جوهريا إلى التطور الطبيعي لعناصر اللغة ((٤)).

ويرى الدكتور أميل يعقوب ، أن اللغة الفصيحة تقف عند مرحلة معينة من التطور اللغوي ، تقف عندها وتتقيد بقواعدها ، أما العامية فتستمر بالتطور

(١) حد اللغة بين المعيار والاستعمال : ١٠ (بحث منشور) .

(٢) قضية التنزل إلى الفصحى : ٧٥ .

(٣) ينظر : العربية : ١١٣ - ١١٤ .

(٤) اللغة : ٣٢٧ .

على السنة المتكلمين بها، ولذلك تبدو الحامية اسهل وأكثر مرونة — من الفصحى (١).

اما بيئة اللهجة فننتسبه الى بيئة اوسع واشمل منها، تضم لهجات عديدة، وجميع هذه اللهجات يطلق عليه في الاصطلاح الحديث اللغة، فالعلاقة بين اللهجة واللغة، علاقة الخاص بالعام، فاللغة مشتقة على لهجات يتميز بعضها عن بعض بصفات معينة، ولكل لغة سمات وصفات تميزها من غيرها من اللغات ايضا (٢)، سواء أكانت هذه اللغات من فصائلها أم من فصائل أخرى. ويرى الدكتور هـ س أن التمييز بين اللغات واللهجات جزء من ثقافتنا، كما يرى أن هناك اختلافا كبيرا في الحجم بين (لغة) و (لهجة)، لأن اللغة أكبر حجما من اللهجة، كما يرى أن المكانة ايضا فارق مميز بين اللغة واللهجة، فاللغة لها مكانة تفقدها اللهجة (٣).

ومعلوم لدينا أن مصطلح (اللهجة) مصطلح حديث لأن اللغويين القداماء من أهل العربية يسمونها (اللغة)، أما اللهجة الحامية فيقصد بها اللغة السورية التي يتحدث بها الناس في حياتهم المعتادة للتعبير عن شؤونهم المختلفة، فهي على هذا تقابل اللغة الفصحى، وهذه الصفة تصدق على كل اللغات، فليس ثمة لغة من لغات العالم ليست تنسحب الى هذا الانشعاب، أما اللغة الفصحى فهي المستعصية في كتابات الناس الأدبية والعلمية، وفي مقالاتهم وبحوثهم في الصحف والمجلات، وفي أحاديثهم في المذياع والتلفاز وبحرها من وسائل النشر والأعلام، وبناء على هذا يمكن أن نطلق على اللغة الفصحى اسم (لغة الكتابة) وعلى الحامية اسم (لغة التحدث أو التخاطب) (٤).

-
- (١) ينظر: فقه اللغة العربية وخصائصها: ١٦٧ •
 (٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٦، وفصول في فقه العربية: ٥٨ — ٥٩، وفقه اللغة العربية (كاسد ياسر): ٢٠٥ •
 (٣) ينظر اللغة الاجتماعي: ٦١ — ٦٢ •
 (٤) ينظر: فقه اللغة (وافي): ١٤٧، وفقه اللغة العربية (كاسد ياسر): ٣٥٥ •

ان هذه الثنائية اللغوية - ان صح التعبير - ظاهرة ليست جديدة في لغة الضاد ، بل هي قديمة ترجع الى ما قبل ظهور الاسلام . وقد اشار الاستاذ محمد خلف الله احمد في بحثه (حول مستقبل الفصحى) ، الى فضيلة الاسلام والقرآن في تجسيد شخصية اللغة العربية في المجتمع ، والتي فضل علماء العربية بالقيام بحركة التنقية اللغوية والمحافظة على سلامة اللغة ، فيقول في هذا الصدد : ((ان القرآن قد اعلى للغة العربية شخصيتها - السوية الخالدة ووجودها العالي الواسع ، وان كانت قد بقيت عن لهجات الجاهلية آثار تصادفها هنا وهناك في بعض نصوص الادب القديم وكتب التراث ، كما نلحسها الى اليوم في بعض العادات اللغوية للتكلمين باللسان العربي ، غير ان حياة المجتمع الاسلامي ، منذ القرن الهجري الاول ، شهدت بواكير لهجات محلية دارجة يشيع فيها اللحن والانحراف عن سنن الفصحى ، وكان ظهور تلك اللهجات من العوامل التي بعثت علماء العربية في القرون الاسلامية الاولى ، على القيام بحركتهم في جمع اللغة وتنقية الفصحى والمحافظة على سلامتها)) (١) .

ونقول ، ان العامية لا تقن بالفصيحة بحال ، ولا يمكن ان تحل محلها ، ولا سيما في الحياة الادبية والعلمية ، لانها لغة فقيرة في مفرداتها ومضطربة في قواعدها وأصاليها ومعاني ألفاظها ، فهي قاصرة كل القصر عن عناية اللغة الفصيحة وقيمتها اللغوية والاسلمية ، فالعامية عاجزة بسبب هذا النقص الذي فيها ، عن ان تعبر عن دقائق الفكر والشعور ((ولا أدل على ذلك من اننا في حديثنا العادي نفسه ، كثيرا ما نضطر الى استخدام العربية الفصحى عندما نكون بحدود التعبير عن حقائق مطبوعة وافكار متسلسلة : لا نفعل ذلك للمباهاة أو اظهار القدرة على التعبير الفصيح ، وانما نفعله مضطرين اضطرارا ، لاننا نرى أن العامية لا تسعفنا في مفرداتها ولا في قواعدها بما يضبط تفكيرنا وينقله نقلا صحيحا الى الاذهان)) (٢) .

(١) مأخوذ من الفصحى واللهجات (قراءة جديدة وملاحظات) : ٨٦ (بحث عنشور) .

(٢) فقه اللغة (وافي) : ١٥٠ ، وينظر : العامية والفصيحة ضمن كتاب بحوث ودراسات : ٥٨ .

وعلى ذلك ترى ((كل عربي معاصر يتكلم لهجته الدارجة في حياته المعتادة اليومية فيستعملها في البيت والسوق مثلاً ، فإذا كتب رسالة إلى صديق أو تكلم إلى عربي آخر ذى لهجة غير مألفة عنده ، أو وقف ليلتصلي كلمة في الفان أو أقام الصلاة ، عاد إلى العربية الفصحى فجعلها وسيلة التعبير ، وكذلك كان العرب القدماء فيما يبدو مع فارق هام هو أن العربي الأول كانت له سليقة في الفصحى إذا يأخذها ويكتسبها أثناء النشأة أما نحن فأننا نأخذها بالتحميم والتشوين)) (١) .

ويرى فندريس أن المتكلم بلغة معينة يسعى دائماً للمحافظة عليها ، وكذلك التبادل الكلاسي بين فئة اجتماعية معينة يؤدي إلى توحيد اللغة ، وهذا هو سبب نشر اللهجات ، كما يرى أن اللهجات تنشأ فجأة من التعارن الطبيعي للأحداث اللغوية (٢) .

أما ماريوباي فيرى أن تفاوت طبقات المجتمع ، يؤثر تأثيراً كبيراً في اللغة ، فيؤدي ذلك إلى نشوء نوعين للغة واحدة تبعاً لطبقات المجتمع فيقول في هذا الممدد : ((فمن المسلم به أن اللغة تتغير تبعاً للطبقة التي تتحدث بها . وقد صرح بعض هواة اللغويين في بريطانيا بأن هناك نوعين من اللغة : أحدهما وقف على الطبقة البراقية ولا يمتد استعماله إلى الطبقة الدنيا ، والآخر لا يستندعه إلا أفراد الطبقة الدنيا)) (٣) .

ونلاحظ أيضاً أن تفاوت طبقات المجتمع يؤدي إلى نشوء لغات عامية خاصة وسرية تسمى بعامة الاشقياء الخاصة ، يقول فندريس : ((وأخيراً هناك عامة الاشقياء فقد كان يوجد عندنا حتى بداية القرن التاسع عشر هيئة منظمة حققة للاشقياء ، وكانت لها لغتها الخاصة المتفق عليها والتي كان يعمل يحمل كل عضو من أعضاء الهيئة على المحافظة عليها)) (٤) .

(١) الأصول : ٨١ .

(٢) يقطر : اللغة : ٣٢٦ .

(٣) لغات البشر : ٨٢ - ٨٣ ، وينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث

اللغوي : ١٣٠ .

(٤) اللغة : ٣١٦ .

كل ذلك يدل على عظمة اللغة بالمجتمع وتأثير المجتمع في اللغة ،
 ما يؤدي الى ما نروها ، وهذا يعني ان اللغة تتأثر بتأثير المجتمع الذي
 يتكلمها ، كما نعلم ان اللغة امر اجتماعي ، وهي اداة للتعبير عما يدور
 في المجتمع ، فتعكس بذلك الدور المطلق والمتعددة الوجوه لهذا المجتمع
 من حضارة وفنائه وادام وانتماءات ثقافية وعلمية وفنية ، ومن ثم يتضح تأثير
 اللغة في كل هذه العناصر الاجتماعية انما هي المجتمع الذي غير المتحضر
 بدوية ، وهي مجموعة الالفاظ والتراكيب والخيال ، اما في المجتمع المتحضر ،
 لتجدها متغيرة كثيرة الالفاظ ، واسعة النطاق ، سهلة التلق (١) .

يستلزم القول ومن خلال ما تقدم ، ان اللهجة العامية ، ليست لغة
 قائمة بنفسها ، وذلك ان بعض مفرداتها عربية الاصل ، وبعضها الاخر
 لا يت الى اللغة العربية بصفة ، اي ان العامية ليست خالصة العربية
 والعربية ، بل هي منقطة بالفاظ كثيرة اعجمية غير عربية ، وان كانت مبنية
 بالالفاظ العربية القديمة ، فاللهجات العربية ترجع كلها الى اللغة العربية
 وهي اللغة الام ، فهي تفرعات منها وتابعة لها ، فاللغة العربية لغة واحدة
 لها مصب ونام حدد ، اما اللهجات فهي متعددة ومختلفة حتى يستحيل
 دراستها برصدها لانتقالها في القار الواحد ، بل في المدينة الواحدة ،
 حتى اننا لتجدها في بعض الاحيان تختلف من عربي لاخر .

ولا ننفي ع ما ذهب اليه الدكتور ابراهيم السامرائي من ان اللهجات
 العامية في حقيقة الامر ، لغات قائمة بنفسها ، اي انها لغة اخرى قائمة الى
 جانب اللغة القديمة وانها صاحبة الخطبة في هذه الايام وذلك لانها تكتسب
 من البيئة التي يعيش متكلميها ، ولا تحتاج الى تلقين ودراسة ، كما يرى انما
 صاحبة الخطبة حتى عند المثقفين ، وان كل انسان مهما أوتي من قدرة فائقة
 ومزارة في اخراج الالفاظ منرجبا فصيحيا ، فلا بد من ان يتحدث بالعامية
 الدارجة ، لانه يرى ان العامية فطرة في الانسان يلجأ اليها دون ان يحسن
 بينها (٢) .

(١) ينظر : المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ١٢٨ - ١٢٩ ، وعلم

اللغة (الضامن) : ٣٧ - ٣٨ .

(٢) ينظر : اللغة والحضارة : ٢٢ .

ان الدكتور ابراهيم السامرائي ، يكرر ما قاله ابن خلدون في ان اللهجات العامية ، لغات قائمة بذاتها ، وكلاهما هذا يدل على انه قد أقر بقيمة العامية في الحياة اليومية - وهذا لا اعترض عليه ولا سبيل لانكاره - ولكن قوله بان اللهجات العامية لغة قائمة بنفسها ، فهذا فيما نراه غير صحيح ، وذلك لان اللهجات العامية - كما ذكرنا آنفا - هي فرع من اللغة الاصل (الام) ، اي ان اللهجة العامية ((جملة مواد اختزلت من اللغة الفصيحة ، وأضيف اليها بعض ألفاظ اجنبية ، من لغات الاقوام الذين دخلوا في اللغة ، ولم يستطيعوا اللحاق بأهلها . وانما حفظوها ما اشتدت اليه حاجة المتكلمين بها ، للتفاهم في الاغراض المعاشية الدامرة)) (١) .

ان اللهجة العامية ، هي اللغة الفصيحة ، بعد ان تعرضت للعوامل الاجتماعية والتاريخية والتي أدت الى تطورها ، اي ان خضوع اللغة للتطور اللغوي في سارها الطبيعي ، وهذا ما كان يرمي اليه ابن خلدون بقوله : ((وذلك انا نجد ما في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ، ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المفعول ، فاعتاضوا عنها بالتقديم والتأخير بقرائن تدل على خصوصيات المقاصد)) (٢) .

وكما ذكرنا آنفا ، ان ابن خلدون يرى ان لغة العرب لعصره ، ولغة اهل الحضر والامصار ، لغات قائمة بذاتها من حيث الهدف الرئيسي للغة وهو الابانة عما في النفس ، والتعبير عن المقاصد .

ويتخذ مصطلح (العامية) اسما عديدة ، كاللغة العامية ، والشكل اللغوي الدارج ، واللهجة الشائعة ، واللغة المحكية (٣) ، وبعضهم يطلق عليها المولدة (٤) .

فاللهجة العامية واللغة الفصيحة فصيلتان للغة واحدة ، لذلك لا يصح اطلاق مصطلح (ازدواجية اللغة) على هاتين الفصيلتين كما ذهب بعضهم (٥) .

(١) اسبقية العربية الفصحى على العامية : ٣٠٥ (بحث مترجم منشور) .

(٢) المقدمة : ١٢٧٠/٤ .

(٣) ينظر : فقه اللغة العربية وخصائصها : ١٤٤-١٤٥ ، وقضية التحول الى الفصحى : ٦٩ .

(٤) ينظر : العربية : ١٠٩ .

(٥) ينظر : قضية التحول الى الفصحى : ٢٩ ، وفي فلسفة اللغة : ٢١٠ .

لان المقصود بـ (زدواجية اللغة) وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما في وقت واحد • كالحرية والانكليزية ، أو الالمانية والتركية وغيرها ، اذن الفرق بين العامية والفصحى ، فرق فرعي لا جذري ، فلا ينبثق عنهما مفهوم الازدواجية بل الاصح (الثنائية اللغوية) (١) •

ويبدو ان هذه الثنائية قد نشأت منذ نشوء العامية ، اى بعد الفتوحات الاسلامية التي قام بها المسلمون ، اى بعد اختلاط العرب بالاعاجم ، ولكن لما تميزت الفصحى الا بعد حقبة من الزمن ، وقع خلالها تخير في المادة الصوتية للعامية وصياغة القوالب (٢) • كما يبدو ان هذه الثنائية لم تختص بالمجتمع العربي فقط ، بل تكاد تكون في معظم المجتمعات عربية كانت ام اجنبية فهي سنة طبيعية في اللغات ، ففي كل لغة لسان عامي والاخر فصيح (٣) • ولكن ((هذه الثنائية على درجات ، اذ تختلف شدة من لغة الى لغة • المهم انها كائنة في كل لغة ، لا محالة)) (٤) •

وقد لاحظ الدكتور كمال الحاج ، ان هذه الثنائية اللغوية ، هي من دلائل تحضر الانسان ، وان الهمج وحدهم لا يزالونها (٥) • ومنهم من يرى ان عدة مستويات لغوية ، وليس من الصحيح ان نقول بوجود مستويين لغويين هما الفصحى والعامية ، بل ان بينها عدة مستويات (٦) •

ومنهم من يرى ان الفرق بين التعبيرين التحريري والشفوي ، اى بين الفصحى والعامية ، قد نشأت منذ زمن ولذلك فقد ولدت انشاقا داخل اللغة الواحدة بسبب وجود نظامين راسخين للتعبير احدهما علمي والاخر شعبي في المجتمع الواحد ، وهذا ما يحدث كثيرا في الاقطار ذات اللغة الواحدة والتي تشكو مشاكل داخلية تعمل على تفكيك اللغة عن طريق التمييز بقراءات

(١) ينظر : في فلسفة اللغة : ١٥٦ ، وفقه اللغة العربية وخصائصها : ١٤٥ - ١٤٦ •

(٢) ينظر : فقه اللغة العربية وخصائصها : ١٤٧ •

(٣) ينظر : في فلسفة اللغة : ٢٢٢ ، وفقه اللغة (واقفي) : ١٥٤ - ١٥٥ •

(٤) في فلسفة اللغة : ٢٤٥ •

(٥) ينظر : في فلسفة اللغة : ٢٢٢ •

(٦) ينظر : علم اللغة العربية : ٢٣ •

اللغة (١) . وقد يؤدي الاختلاف في طبقات الناس وفئاتهم في الثقافة ، والتربية ، ومناحي التفكير والوجدان ، ومستوى المعيشة وغيرها ، الى انشعاب لغة محادثة في بلد ما الى لهجات مختلفة ومتميزة عن اللهجات المحلية تسمى اللهجات الاجتماعية (٢) .

ولكن لو لم نجد الا العامة للتعبير عن مجالات الحياة الفكرية والتربوية والادبية والعلمية ((لتقطعت اسباب الثقافة ، ونكصنا الى الوراء قرونا عديدة وقضي على نشاطنا الفكري وضامرها . لان الفكر اذا لم تسعفه أداة مواتية في التعبير خمدت جذوته ، وضعف شأنه ، وضاق نطاقه ، واقتصر نشاطه على توافه البحوث وسفاسف التأملات . فاللغة هي القلب الذي يصب فيه التفكير : فكلما ضاق هذا القلب ، واضطربت أوضاعه ، ضاق الفكر واختل انتاجه)) (٣) .

اذن فالنزاع القائم بين اللغة العربية الفصيحة ، واللهجات العامية المحلية ، نزاع قديم من حيث نشأته وتطوره ، حيث كان يأخذ أبعادا مختلفة في كل دور وزمن ، وقد تمخضت مشكلة العامة والفصيحة عن ثلاثة حلول متباينة ، لثلاث فئات من الناس :

- ١ . فريق يرى ان يرتفع بالعامة الى الفصحى ، وهذا في رأى بعض الباحثين ، وان كان مثالا أعلى ومهدفا ساميا ، يتعذر تحقيقه ، في رأيهم ، لسببين : الاول ان لغة المحادثة لا تفرض فرضا ولا يمكن النكوص بها الى السوراء ولا الرجوع بها الى حالتها التي كانت عليها في أدوارها القديمة ، لان من سنتها التبدل والتطور والاختلاف في كل عصر ، عما كانت عليه في العصر الذي سبقه ، لانها لا تسير في هذا التطور وفقا للوغة والطرح ، بل وفقا لقوانين ومنن ثابتة ، لان اللغة ظاهرة اجتماعية (٤) .

(١) ينظر الادب : (الادب في الكاربي) الانشاق اللغوى ... لماذا ؟ : ٨٩ (بحث مشور) .

(٢) ينظر : علم اللغة (وافي) : ١٨٨ - ١٨٩ .

(٣) فقه اللغة (وافي) : ١٥٠ - ١٥١ .

(٤) ينظر : اللغة والمجتمع (وافي) : ٩١ - ٩٢ ، والتطور اللغوى : ٥ .

والثاني : اننا لو استطعنا ان نجعل هذه التجربة والمحاولة تتجح بحيث يتكلم الناس في الاقطار العربية كلها لغة واحدة فصيحة أو قرية منها ، فان هذه اللغة التي اصطنعناها ستخضع لجميع القوانين التي تخضع لها اللغات وهي ان تختلف وتنشعب بعد ذلك ، باختلاف ابناء الشعب في القطر العربي الواحد ، لان هناك تباينا بين قطر وآخر في العادات ، والتقاليد ، والقوى الادراكية ، والوجدانية^(١) ، مما يؤثر في اللغة حيناً بعد حين من ناحية المفردات والاصوات والدلالات والقواعد وبذلك تنتهي الى النتيجة نفسها التي انتهت اليها ، وهي عودتها ثانية لهجات متعددة متباينة .

• ٢ وهناك من يرى ان الطريقة المثلى ترك الامور تجري على مجاريها الطبيعية ، من غير تدخل مقصود منا ((فتلغة قرانيتها وللطواهر الاجتماعية نوايسها التي تسير عليها ، ومن ضياع الوقت في غير جدوى أن نحاول تغيير مجرى هذه القوانين أو صدها عن عملها ، اذ لا نستطيع الى تغييرها سبيلا ، ولن نجد لسنيتها تبديلا))^(٢) .

والى هذا الرأي يذهب الدكتور علي عبد الواحد وافي • ويرى اصحاب هذا الرأي ، ان هذه الثنائية بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ليست حالة شاذة ولا طارئة في اللغات ، لكي نلتصق لها حلا أو نجد لها علاجاً ، وانما هي حالة طبيعية ، ان تكون هناك لغة للكتابة والادب والعلم ، واخرى للحياة اليومية العادية ، فاللغة اللاتينية كانت لغة لكثير من الشعوب الاوربية ، ثم انشعبت الى عدة لهجات كالفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية ، وصارت كل لهجة من هذه اللهجات تختلف اختلافاً كبيراً في المفردات والاصوات والقواعد عن اللغة اللاتينية الام ((واختلافها عنها في هذه الشؤون قد بلغ في العصر الحديث ههنا لا يذكر بجانبه اختلاف لغاتنا العامة عن العربية الفصحى ،

(١) ينظر : نغم اللغة (وافي) : ١٥٢ - ١٥٣ ، وفقه اللغة العربية (كاصد

ياسر) : ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٢) نغم اللغة (وافي) : ١٥٤ .

حتى ان الفرنسي مثلا، الذي لم يكن قد تعلم اللاتينية ما كان يستطيع ان يفهم شيئا يحقد به من اللغة التي كان يكتب بها الناس في بلده وهي اللاتينية ((١)).

وهناك من يرى ان نهضة بلغة الكتابة الى لغة الحديث ليتم القضاء على التعدد في اداة التفاهم ، فتصبح العامية هي اللغة المستخدمة في مجالات الحياة كافة (٢)، و ((تذل امام جمهور الشعب سبل التعلم والثقافة ونوفر على المتعلمين قسطا كبيرا من الاوقات والجهود التي يبذلونها في الاحاطة بلغة غير اللغة التي انتقلت اليهم من آباءهم في مراحل الطفولة)) (٣) .

ولكننا نرى ان الذين يذهبون الى استعمال العامية سوف يلقوننا في وسط بحر من العاميات المتعددة المختلفة ((وبذلك يصبح في البلاد العربية الاف من لغات الكتابة بمقدار ما فيها من مناطق ومدن وقرى . ولا أظن عاقلا ينصح بمثل هذه الفوضى)) (٤) .

ويرى الدكتور ابراهيم السامرائي ، ان مسألة تقريب العامية من الفصحى متعلقة بالزمن عن طريق نشر العلم والثقافة بين ابناء المجتمع ، مما يؤدي الى رفع مستوى العامية المستعملة (٥) .

واذا ما ابتعدنا عن اللغة الفصحى ، وهي اللغة المشتركة بين الاقطار العربية والتي حفوظ لنا التراث العربي الفني وصانته عبر احداث التاريخ ، واذا اتجهنا الى اللهجات العامية ، فان ذلك ((يجعل بالتالي (٦) لكل بلد عربي لهجته الخاصة تنبثق من لهجته المحلية ثم تتطور وفق الحاجات التي تعترض مبيل ابنائه في حياتهم اليومية تتبلور بالتالي (٧) فتصبح اداة انفصال

(١) فقه اللغة (وافي) : ١٥٤ .

(٢) ذكر الدكتور علي عبد الواحد وافي المنتصرين لهذا المذهب ، وهم الكونست كرلودى لند برج الاسوجي ، واللورد دوفرين ، وولهم سبتا (بك) ينظر : فقه اللغة : ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) فقه اللغة (وافي) : ١٤٩ .

(٤) فقه اللغة (وافي) : ١٥٢ .

(٥) ينظر : فقه اللغة المقارن : ١٣ .

(٦) الفصحى : من ثم .

(٧) الفصحى : من ثم .

وانعزال ومن شأن مثل هذه النتيجة في سيكولوجيا الافراد والجمهير ان يضعف من صلة الرحم ، وان يجعل التراث العربي الفني مادة متحفية تفتقر إلى مفعولات الخلق والابداع والتوجيه ((١)).

ويعرى بعضهم ان تقارب اللهجات الدارجة لتحقيق الوحدة اللغوية التي هي اساس وحدة الامة العربية السياسية والاقتصادية ، يتحقق من خلال تفصيح العامية وتعميم الفصحى (٢). ومن اوائل من دعا الى التوحيد اللغوي على اساس اللغة الفصحى ، الاستاذ امين فكرى ، ففي مؤتمره انعقد في السويد ، فقدما ذهب اليه بعض الاربين الذين يرون ان اللغة العربية المستعملة للتخاطب اليومي (اللهجة العامية) ، صارت بعيدة جدا عن اللغة العربية الصحيحة الفصحى ، وان اللهجة العامية رافية بحاجات اهليها في التفاهم ، ولذلك يحسن استعمالها في جميع انواع المعاني ، علمية كانت أم ادبية ، ويمكن استعمالها ايضا في الكتابة والتأليف ، كاستعمالها في النطق . وقد ناقش الاستاذ امين فكرى ، هذه النزاع نقاشا موضوعيا مقدما ما فيها من اخطاء وأقيسة باطلة ، وبيننا ان اللهجة العامية في الاقطار العربية ، لم تبتعد عن اللغة الفصحى بعدا يجعلها لغة مستقلة ، فالمواد في رأيه من المواد الا ما زاد عليها وهو قليل ولا يكون لغة مستقلة ، وقد اشار الباحث المذكور في بحثه هذا ، الى ان فساد النطق ليس من الامور التي يجب محوها بالمستحيلات ، لان الزمن الذي يلزم لتعلم اللهجات ، كليل بتعليم اللغة العربية الفصحى ، وقد انتهى هذا الباحث بعد ذلك الى اقتراح مناهج الوصول الى التقريب بين اللهجات العامية واللغة العربية الفصحى ، بتسهيل العلوم وقواعد اللغة على العامة وذلك عن طريق اصلاح لغة العامة بالتقويم ، وكتابة الكتب في الاداب وعلوم الثقافة العامة ، ثم طرح ما دخل في اللهجات العامية من الالفاظ الاجنبية والاستبدال بها ما هو افضل عنها من اللغة العربية الفصحى ، ثم لابد من نشر التعليم وتصميمه والتزام الدارس للغة العربية بتقويم لسانه على النطق السليم لمعالجة فساد النطق والقضاء عليه (٣).

(١) العامية انفصالية : ٨١ (بحث منشور) .

(٢) ينظر : الالمنية وتقارب اللهجات الدارجة في الوطن العربي : ٨٠ - ٨١ .

(بحث منشور) .

(٣) ينظر : اسبقية العربية الفصحى على العامية : ٢٩٥ - ٣٠٨ (بحث منشور) .

أما موقفنا من هذه الثنائية اللغوية ، موقف كل عربي مسلم غير علمي لغة أمته ولغة الكتاب المجيد الذي يحثه ، واللغة الفصيحة لها قوانينها المحكمة وضوابطها الدقيقة وهذا ما تفقده اللهجات العامية ، واللغة الفصيحة لغة واحدة بينما اللهجات المحلية متعددة ومتشعبة جدا تبعا لتعدد الزمان والمكان ولذلك فهي متعددة الصور فلا يمكن أخذ صورة دون أخرى ، فضلا عن أن الأعراب الذي هو نزية اللغة الفصيحة يجعل ويمكن اللغة من العروبة والاتساع ما نفتقده في اللهجات ، وأهمية اللغة الفصيحة تكمن في أنها حفقت لنا التواصل والتراث ، فقد نطق بهذا اقدس كتاب واكرم تراث ، ولأنها لغة الفكر والأدب والفن والعلم . وإن السعي في الارتقاء بالعامية إلى الفصحى بالطرائق العلمية والتربوية السليمة ، أمر لا بد منه ويتحقق هذا الأمر بالعمل الدؤوب والأساليب الجدية المؤدية إلى هذا الهدف النبيل ، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى جهد ووقت ، فالارتقاء بالعامية إلى الفصيحة ليس بالأمر الهين ولكنه ليس بالمستحيل ، إذا تكاثفت الجهود وعطت بدأب وإخلاص ومن الوسائل المهمة التي يجب اتباعها للحفاظ على سلامة اللغة العربية ، تعميم التعليم وازدياد الجمهور النقاري ، وتطور وسائل الإعلام وتحدد فروع اللقاء والاحتكاك والحل القوي المشترك بين المثقفين والجمهور ، بما يكفل تذويب الفروق بين اللهجات العامية واللغة الفصيحة . وهي الحل الوحيد لعلاج مشكلة ثنائية اللغة (الفصيحة واللهجات) في الوطن العربي ، وكذلك إصدار القوانين والتشريعات ذات الطابع الرسمي ، وهذه الوسيلة قد طبقت في العراق عندما أصدر مجلس قيادة الثورة قانون الحفاظ على سلامة العربية ، أما الوسيلة الثانية فتتصل في ظهور حركة التصحيح اللغوي المعاصرة التي أخذت على عاتقها مسؤولية الاهتمام بسلامة اللغة ، ودقة الأداء ، ومراعاة ضوابط الكلام الفصيح (١) .

إن ابن خلدون قد أدرك أن اللغة تتطور من جيل إلى آخر فتظهر تغيرات وانحرافات من خلال تعديل بعض قوانينها ، ويستتبع ذلك ، تغيير القواعد التي يراعها المتكلم ، والتزام المتكلم بالواقع اللغوي الجديد .

(١) ينظر في تفصيل هذه الوسائل : حركة لتصحيح اللغوي في العصر الحديث : ٣٣١ وما بعدها ، ودفاع عن العربية : ٢٥ - ٢٨ .

ومن خلال ما تقدم، نجد ان عرفنا وجهة نظر ابن خلدون للتطور اللغوي، نجد ما جاء به يتفق مع المحدثين الذين نثرنا الى التفسير في اللغة نظرة صحيحة.

فقد نظرنا لهذا التغير في مدى استعمال الناطقين لها فقط، فهم لا يربطون بينه وبين مستوى لغوي آخر لعمر سابق أو لاحق - وان كان ابن خلدون قد جسد تغير اللغة في عصره من خلال موازنته بلغة عصر القديسة - لانهم لا يحكمون عليه بالخطأ والصواب من خلال بعض المعايير، ولكن نظرتهم في ذلك الى الجماعة اللغوية المستعملة للغة وقبولها برفضها لعاني الالفاظ وصيغها وتركيبها (اذا دخل التغير في عصر من اللغة لا يعني بالضرورة استعماله ثم انتشاره بين جماعة الناطقين، فقد لا يبقى اصلا، اذ ينسى وينتهي أمره، وقد يبقى مقصورا على صاحبه أو على جماعة صغيرة محددة لا يتعداها، لكن اذا قدر له الانتشار بقوة الاستعمال وقبوله فان ذلك يعني حدوث تغير في اللغة، وليس من حق احد رفضه أو رده) (١).

اما نظرة القدماء الى التغير والتطور في اللغة، فلا يخرج عن معنى الفساد، من خلال جهودهم في جمع مادة (اللحن) التي ضعتها كتب (لحن العامة)، لانهم قد عدوا اللغة العربية الفصحى قد بلغت الغاية في الكمال والاتقان في القرن الثاني الهجري، ولهذا عدوا اي تغير بعد ذلك يطرأ عليها، فسادا، فلهذا هي نظرتهم للتغير والتطور في اللغة، وعلى الرغم من جهودهم البذولة في التقصي والتتبع للجزئيات، واستقراءهم وجمعهم لمادة (اللحن) فان جهودهم هذه لم تؤد دورها الصحيح في معرفة التطور الذي يطرأ على اللغة، ويخرج سبب ذلك كله لعدم اعترافهم بالتطور اصلا (٢).

ويمكننا القول ان الثنائية اللغوية ظاهرة ستبقى قائمة في العربية ما دام القرآن الكريم والتراث الاسلامي والتراث العلمي والفكري العربي باللغة

(١) في اللغة ودراساتها : ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) ينظر : في اللغة ودراساتها : ١٠١ - ١٠٢ .

الرسمية الضيقة العربية الفصحى ، وما دام العرب ينتشرون في بيئاتهم
 متوارثين لزوجاتهم العامية • والسبيل الوحيد الى التقريب بين الفصحى
 والعامية - كما ذكرنا انفا - هو الثقافة التي تقرب اللهجة العامية من
 اللغة الفصحى ، ثم الثقافة الدينية بوجه خاص •

مضر طريقة واحدة رمزياً معرفاً)) (١)، يمتد فقدان الاعراب قد أصاب جميع لهجات المخاطبة في جميع اللغات السامية ((وكان التطور الذاتي الجارى على العربية المنطوقة في تلك الاثناء يأخذ بها في اتجاه التطور الذى كان أصاب أنواتها الساميات • فقد انتهت لهجات الخطاب جميعها الى اطراح (الاعراب) • ولم يقتصر ذلك ، في دورة الزمن على لغات اهل الامصار التي تأثرت بالاختلاط تأثراً مباشراً ، فان لهجات الاعراب الذين لم يخرجوا الى الامصار وبقيوا في الجزيرة قد فقدت الاعراب بالتدريج ايضاً)) (٢) •

وبهذا يبرز الخلاف بين لغة العرب لعمر ابن خلدون ، ولغة الامصار (اللهجات العامة) ، وبين لغة مضر القديمة (اللغة الفصحى) ، وهو الاعراب في ((الطبيعة الحقيقية للعربية المولدة (اللهجات العامة) ، والفرق الخاص الذى يميزها تجاه العربية الفصحى ، انما يقوم على تخير في تركيبها يحد ترك التصرف الاعرابي من أماراته الظاهرة)) (٣) • ولكن ابن خلدون يرى ان فقدان الاعراب لا يضر في اللغة لانه لم يندم اداء اللغة لعناها الصحيح والهيلج ، فهو لا يشك ان الالفات بأصواتها دالة على المعاني بأصواتها ولكن يبقى ما تقتضيه هذه الالفات من احوال ويسمونها (بساط الحال) (٤)، ولكن هذه الاحوال تكون بها حاجة الى ما يدل عليها ، فيرى ان كل معنى لابد ان تكتفه احوال تخصه ، وهي تساعد على تأدية المقصود • وتلك الاحوال في جميع الالسن اكثر ما يدل عليها الالفات ، ولكن في اللسان العربي يدل عليها بأحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتأليفها من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة اعراب، أو يدل عليها بالحروف غير المستقلة (٥)، اى بالقرائن الكلامية، وهذا يعني انه لم يحصر بيان المقاصد والوفاء بالدلالة - افادة المعنى - بالاعراب فقط ، وانما بالاعراب ، أو التقديم والتأخير ، أو الحذف وغيرها ، فلذلك يمكن ان نحتس بالقرائن الكلامية عن حركات الاعراب ، وقد اكد ابن

(١) نفسه •

(٢) قضية التحول الى الفصحى : ٧٢ •

(٣) العربية : ١١٣ - ١١٤ •

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ •

(٥) ينظر : المقدمة : ١٢٧٠/٤ •

خلدون غير علة ان هذه القرائن قد تخني عن الاعراب ، وان الحركة الاعرابية واحدة عنياً ، فيتضح المقصود من الكلام من دون حركة الاعراب ، وقد ذهب الى هذا الرأي عن اللغويين المحدثين الدكتور تمام حسان في كتابه ((اللغة العربية - معناها ومعناها)) وشرح فيه القرائن بالتفصيل تحت عنوان ((القرائن تخني عن الحوامل)) (١) .

من هنا يتضح ان ابن خلدون قد سبق المحدثين في بيان وظيفة القرائن التي تخني عن الاعراب ، ويبدو ان الدكتور تمام حسان قد تأثر بابن خلدون في تحديد وظيفة هذه القرائن ، وقد تنبه على ذلك الدكتور محمد عيد ، وعقد مقارنة بين ابن خلدون ورأيه في فقدان الاعراب والاستغناء عنه بالقرائن الكلامية ، وبين الدكتور تمام حسان وما ذكره عن القرائن التي تخني عن الحوامل في كتابه المشار اليه (٢) .

وعليه فان اللغة تبقى وسيلة تعبير وتواصل لغوي ، وان فقدت منها حركات الاعراب وعلى الرغم من ان ((الاعراب هو الفارق الذي يميز عنده المتكلمين العرب بين العربية الفصحى وجميع القوالب والاساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية ، بيد ان هذا الاعراب ، اي الطريقة الخاصة التي كان ينطق بها عرب البادية على مقتضاها ، هي في ذاتها سطحية ، بحيث لا تكفي ميسا ميسا للغة الفصحى ومن هنا يصح أن نقول : ان التحرر عن الاعراب قرينة اكيدة على العربية المولدة ، لا العكس ، اي انه ليست العربية المولدة منحصرة في التحرر من الاعراب)) (٣) .

وهذا ما كان يري اليه ابن خلدون لانه في اداء المعنى يربط بين اصل المعنى ، وهما في نثره يحققان الافادة الكاملة في الدلول الذي يقصده المتكلم ، لانه يرى ان المقصود من الدلول لا يكمن في النطق فقط ،

-
- (١) ينذر : اللغة العربية - ومعناها ومعناها : ٢٣١ وما بعدها .
 (٢) ينذر : الملكة اللسانية في نثر ابن خلدون : ١٥٦ وما بعدها ، وفي اللغة ودراستها : ٥٧ وما بعدها .
 (٣) العربية : ١٤ - ١٥ .

زانما يفقد استكماله يفقد سماعه ما في ضميره افادة تامة ، يدل به عليه دلالة زمنية ، وذلك باعتقاده ان هذا الربط في اداء المقصود لا يصح عداؤه أن يوضح تلك الكيفيات التي ذكرها عن اداء المعنى لتحقيق شغلي العمل في دراسة اللغة ، ويحق له أن يغني أيضا ، أن الجزء الأخير من عفرته السابقة عربيا بجزئها الأول عن القرائن ، فلإفادة الدلائل المتضمنة من التلميح - المعنى - تتحقق بأداء الالتفات لمعانيها ، بتحقيق (بساتين الحلال) بكيفيات العمل وتأليفها ، أو بعبارة أقرب : بالقرائن كلها ونحوها للأعراب ما بالأعراب وحده (١) .

فذلك كانت العلاقة في ضميره ما تزال قائمة في تأدية المقصود ، وإن ما جاء به المحررون أهل صناعة الأعراب الذين يرون ان العلاقة قد ذهبت ، وأن اللسان العربي فقد سقطت حركات الأعراب عنه ، قد وصفه ابن خلدون بالمتعلوب (المتروكة) ، وروى عنهم بأنهم متعصبون (٢) . لأنه يرى ان لفظة الحرب لضميره ، لغة تامة العناصر ومعبرة بليغة ، ولم يفقد عنها إلا الأعراب ولم يغير في ذلك ، لأنه يرى ان الدافع إلى وضع حركات الأعراب واستنباط القوائين الاعرابية - وهو دافع ديني - يراه ليس له مسوغ في ضميره (٣) ، فليبق هذا الأعراب مقتصر على مصدره وحاجته ، وهي حاجة دينية فسي انتقام الأول ، وبذلك كان يقول : ((ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا الضمير استقرينا أحكامه نحتاج من الحركات الاعرابية في دلالاتها بأمر آخر مبررة فيه ، فثمة قرانين تنصبا ولعلنا تكون في أواخره على غير السبيل الأول في لغة بصر . فليست اللغات وطقتها عجائبا)) (٤) .

ان كلام ابن خلدون هذا ، وإثاره بالدافع الديني الذي وجد من لبيته الأعراب ، يدل على انه لم يكن يدرك بان القرآن والحديث الشريف

(١) النسخة الثانية في نشر ابن خلدون : ١٥١ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧١/٤ .

(٣) ينظر : المقدمة : ١٢٧٢/٤ - ١٢٧٣ .

(٤) المقدمة : ١٢٧٢/٤ ، وينظر : مفهوم الادب في الخطاب الخلدوني : ١٥٤ .

نولا بلغة الشرق المرموقة ثم لم يلبث أن أعاد بحسب ما يرى من شأنها
والأحاديث ، إلى أنه يورد في اللغة القديمة بحرفه ، ويذكر عدداً
بدأت اللسان ترجح بتصوف عن أن يعاد بحسب ما يراه من شأنها
الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون ، ويذكر قوامها العام
على لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وهي لغة العرب القديمة
الحديثة ، فالصريف على لغة القرآن والأحاديث ، وهي لغة العرب القديمة
وضع القوانين للحائفة على الأعراق العربية من أن يفتقر بعضها عن
واللغة العربية دافعاً دينا .

ويرى الدكتور محمد عبد الله بن خلدون بأن قوله ببناء اللغة - - -
فقدان الأبواب إذ تشفي عنه القرائن - فكرة جديدة الجراءة ، رغم بغير أن
قبله أو بعده عن البناء على الشيء ببناء ، بل هو سبق من السركا ، أن
ابن الأثير قد سبق ابن خلدون في القول ببناء اللغة ، ببناء ما يجرى
خلد بن أول القائلين بهذا (١) .

وما نلاحظه في كلام ابن خلدون عن أصل اللغة وأصل العرب ،
أنه قد تنبه على أن لغة العرب لغة بشرية أو إنسانية
يتصل بها وحركات أعرابها وتشتد بذلك الانتشار الواسعة (٢) . وهذا
على أنه قد ميز اللغة العربية القديمة ، باللغة الحضرية (اللغة المصطنعة
القديمة) ، عن لغة العرب الحضرية ، وقد تنبه على هذا الفرق بين اللغتين
الحديثين الدكتور علي عبد الواحد رائي (٣) .

ويجد أن يؤكد ابن خلدون تشاير لغة جيله عن اللغة العربية (اللغة
الفصيحة) ، يقدم حجة ودليله - كعادته - على هذا التشاير ، فيقف عند
نطق القاف في كلتا اللغتين ، فيرى أن نطق القاف في لغة العرب يختلف
عن نطقه في الأندلس ، وينطق في اللغة العربية القديمة ، فأشار جيلهم

(١) ينظر : الملحة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٥١ ، وفي اللغة ودراسة : ٥٢ .

(٢) ينظر : النطق الشاعر : ٤١/١ وما بعدها .

(٣) ينظر : المقدمة ١٢٧٢/٤ .

(٤) ينظر : لغة اللغة : ٦٩ وما بعدها ، والمقدمة : ١٢٧٢/٤ (الزبارة) .

ينحصره متوسطا بين مخرج الكاف والقاف وهذه مزية تميزت بها لشتنهم ،
ويبدو ان نطق هذه القاف شرفي لغة مصر القديمة لانها متوارثة فيهم
ومتعاقبة ، ولعلها لغة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١) .

فبعد ان يوضح ان نطق القاف اما ان يكون من مخرج القاف من
اقصى اللسان وما فوقه من الحنك الاعلى وهذا نطق اهل الامصار ، أو ان يكون
من مخرج الكاف اسفل مخرج القاف وما يليه من الحنك الاعلى ، أو كما يفسقه
اهل جبله من مخرج متوسط بين القاف والكاف ، ويرى ان نطق القاف لهذا
الجيل هو نطقه في لغة مصر القديمة ، وهي متوارثة ومتعاقبة فيهم ، وهذا
يدل على ان ابن خلدون يرى ان صوت القاف صوت واحد بالرغم من تحقيقه
عبر صوتين لشرعيين متميزين (٢) . ومن الواضح ان لغة التخاطب والتفاهم
تتميز تنبها واضحا عن اللغة الفصيحة بمجموعة من الخصائص والسمات ولا سيما
النادة الصوتية .

ويبدو من خلال كلام ابن خلدون على نطق القاف في لغة اهل جبله
ولغة اهل الامصار ، انه تنبه على الاصوات اللغوية ومخارجها وصفاتها ،
فلاحظ المسائل المتعلقة بدراسات الصوتية العامة ، وقد حدد الوحدات
الصوتية المميزة في معرض وصفه للاصوات اللغوية عندما لاحظ ان مخارج
الحروف متصلة بالجهاز الصوتي لدى الانسان ، وهذه الاصوات التي تنقطع
الى وحدات مختلفة ومتغايرة ومتمايزة يحددها السمع ، وأشار الى ذلك بقوله :
((اعلم ان الحرف في النطق ، كما يأتي شرحه بعد ، هي كيفيات الاصوات
الخارجة من الحنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة وأطراف اللسان
مع الحنك والحلق والأضراس أو بقرع الشفتين أيضا . فتتباين كيفيات الاصوات
بتباين ذلك القرع . وتجيء الحروف متمايزة في السمع وتتركب منها الكلمات
الدالة على عاقي الضمائر . وليست الامم كلها متساوية في النطق بتلك

(١) ينظر : مقدمة : ١٢٧٣/٤ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧٣/٤ - ١٢٧٤ ، واللمعة اللسانية في مقدمة ابن

خلدون : ٥٤ .

الحرف فقد يكون لامة عن الحرف ما في لامة اخرى ((١)).

ومن ثم يلاحظ ان هذه الاصوات اللغوية المتغيرة هي التي تُؤلف الكلام ، وقد اشار الى ذلك في كلامه على المقامد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ، وبيان ما في الضمائر وذلك البيان يكون بالعبارة ، فيقول في هذا الموضع : ((وذلك البيان انما يكون بالعبارة ، وهي الكلام المربى من الالفات النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان بركة من الحرف ، وهي كيفيات الاصوات المقطعة بعضة اللهاة واللسان ليتبين بها ضائر للتكليم بعضهم لبعض في مخاطبتهم ، وهذه رتبة اولى في البيان عما في الضمائر)) (٢) .

وقد اشار ايضا الى صفات الاصوات وتناسبها وتناظرها ، ذاكرنا شروط التناسب وذلك في كلامه على صناعة الخناء واختلافه عن قراءة القرآن الكريم من حيث الاصوات ومدها (٣) . ويدل ذلك كله ، ان ابن خلدون كانت لديه اشارات صوتية عن مخارج الاصوات وصفاتها وتحديداتها عند السمع وتمايزها .

ويستقر ابن خلدون في حديثه في اللغات المخالفة للغة فيقر القديمة ، فلاحظ ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها ومخالفة للغة مصر ، وقد عقد فصلا في ذلك (٤) . وقد ذكرنا انما ، انه يعد اي لغة لها عناصرها التي تتحقق بها الابانة عن المقامد والافراض ، لغة قائمة بنفسها ، لان معنى اللغة هي التوصل الى تأدية المقصود والابانة عما في النفس ، وكما نعلم ان الطفل يكتسب ملكة لسانية في اللغة التي يتكلمها السجّاح الذي ينشأ فيه ويتروّع ، وهي ، لاريب ، اللهجة العامة ، ومن ثم يكتسب ملكة لسانية في اللغة الفصحى عن خلال التعلم ، لان اللهجة العامة واللغة الفصحى هما شكلان للغة الواحدة ، ولهذا يرى ابن خلدون ان لغة اهل الحضرة والامصار (اللهجات العامة) قائمة بنفسها ومخالفة للغة مصر ، لانها يمكن التعبير

(١) المقدمة : ٢٥٩/١ .

(٢) المقدمة : ١٢٢٥/٤ .

(٣) ينظر : المقدمة : ٩٦٤/٣ وما بعدها .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٢٢٤/٤ .

بها عن متطلبات الحياة اليومية فيتحقق بها الفهم والافهام ولذلك كان يقول :
 ((اظن ان عرف التخابل في الامصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة
 ولا بلغة اهل الجبل ، بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة
 مضر وعن لغة هذا الجيل الحربي لحدنا ، وهي عن لغة مضر ابعد)) (١) .

بهذا فقد نيز ابن خلدون عرف التخابل في الامصار من لغة مضر ،
 وكذلك عن لغة اهل جيله ((واستعمال ابن خلدون للكلمة (عرف) ليس
 بالمصادفة هنا ، فكون ابن خلدون عالما اجتماعيا فهو يعتبر أن اللغة ظاهرة
 اجتماعية ينحطب عليها ما ينحطب على غيرها من انواع السلوك الاجتماعي الاخرى ،
 فاستعمال اللغة يتلاءم مع العرف اللغوي القائم في البيئة ، وفي كل مجتمع
 تتكون مجموعة من الشواهد الاجتماعية التي تتحكم فيه والتي يلتزم بها افراد
 المجتمع ويراعونها . فيتواءم سلوكهم مع العرف المجتمعي السائد . وتكلم اللغة
 يستعمل لغة المجتمع الذي يتروّع فيه وينسجم ، وبالتالي (٢) ، مع عرف التخابل
 السائد في مجتمعه)) (٣) .

ان اعتراف ابن خلدون بان لغة اهل الحضر والامصار لغات قائمة بذاتها
 ومختلفة عن اللغة الفصيحة وتستعمل وسيلة تواصل ، يدل على انه يرى ان
 الدراسة اللغوية تكون في شكلي اللغة المكتوب والمحكي ، اي انه يرى ان
 اللغة تقوم في تأوية وظيفتها اداة تواصل من خلال شكلها المذكورين ، فهو
 يعترف بان اللهجات العامية لغات قائمة بذاتها ما دامت تؤدي وظيفتها
 الاساسية في التعبير عن المقصود ، اي من حيث أنها اداة تواصل .

كما لاحظ اختلاف لغات التخابل العامة فيما بينها ، فهي مختلفة
 من بيئة لاخرى ، فهي في الشرق وامصاره عموما تخالف المغرب وامصاره ، كما
 تختلف في هذين عن الاندلس وامصاره ، ولكل لغة من لغات الامصار ألفاظ خاصة
 بها لا تتفق في نطقها مع اللغة المضرية القديمة ، فتختلف لغات هذه الامصار

(١) المقدمة : ١٢٧٤/٤ ، وينظر : الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٨٩ -

٩٠ . (٢) الفصح : من ثم .

(٣) الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٩٠ .

في طريق نطق الاسماء والحروف ، ومنه تنبأ به عدد مناهة اهل النحو
لحنا (١) ، فكل من لغة له من الصلحات خاصة بها تستعمل للتعبير عن
الحاجات الاجتماعية ، وربما يكون الاختلاف بينها بسبب الاختلاف المحلي
والاجتماعي (٢) ، وقد ذكر يوهان فك في كتابه (الحربية) ، ان كتاب المقدسي ،
يعد ذروة الادب الجغرافي للعصر الاسلامي الاوسط ، وهو ايضا كنز لتاريخ
الحربية المولدة ، وقد حاز فيه تمييز كل اقليم ، من الوجهة اللغوية ،
بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به (٣) .

وقد كرر ابن خلدون اختلاف اللهجات فيما بينها في كثير من الموضوعات
اللغوية وبناء الكلمات فقال في هذا الصدد : ((فكانت لجيل العرب بأنفسهم
لغة خالفت لغة سلفهم من غير في الاعراب جملة ، وفي كثير من الموضوعات
اللغوية وبناء الكلمات وكذلك الحاضر اهل الامصار نشأت فيهم لغة اخرى
خالفت لسان غير في الاعراب واكثر الاوضاع والتعاريف ، وخالفت ايضا لغة
الجيل من العرب لهذا العهد . واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات
اهل الافاق ، فاهل المشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره ،
وتخالفت ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره)) (٤) .

ويتضح من كلام ابن خلدون هذا ، انه كان مدركا للتباين اللهجي
بين الحضر والامصار في المشرق والمغرب والاندلس ، وقد جسد هذا التباين
في المستوي الصوتي والتركيبي والدلالي (٥) . اما المستوى الصوتي فقد لاحظنا
— كما مر آنفا — اختلاف نطق القاف في لغة عصره عن نطقه في الامصار عن
نطقه في اللغة البصرية القديمة (٦) ، ((ولكن النظر في اللهجات يفضي بنا ،
ايضا ، الى بعد حاد عن التباين ، فان تلك اللهجات وقد اقتبست اصول

(١) ينظر : المقدمة : ١٢٧٤/٤ .

(٢) ينظر : الحربية : ١١١ .

(٣) ينظر : الحربية : ١٧٤ .

(٤) المقدمة : ١٣١٥/٤ .

(٥) ينظر : الملحة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٩١ .

(٦) ينظر : المقدمة : ١٢٧٣/٤ .

مفرداتها ونظامها الصوتي من الفصحى ، قد نصت بها سنن التطور فـ في حدودها المحلية ، وفي تقاطعها الغامض بلغات أقوام آخرين فاتخذت بعض الكلم غيتا أوضاعا ودلالات آلت بها الى وجوه من التباين فيما بينها بغضبي الى اللهج وسم التقاطع بين المتحدثين بها • وأول مظاهر التباين (وبعضها له جذور في الاختلاف الذي أقيم عليه الائتلاف الاول) تتعلق بالاختلاف في نطق بعض الاصوات وكيفياته ((١) •

اما المستوى التركيبي فيتمثل في حركات الاعراب ، فقد فقدت حركات الاعراب من هذه اللهجات ، ولكن ابن خلدون يرى ان فقدان الاعراب ليس بضائر ، عا دامت هذه اللهجات تتحقق بها مقومات التعبير والابانة عن المقصود ، لانها تؤدي مهمة اللغة الرئيسية في الفهم والافهام وتوضيح المقاصد والاعراض ، ولهذا كان يرى ان هذه اللهجات لخات قائمة بنفسها ، فأهلها يتفاهمون بها ، فهي مستعملة عندهم لتحقيق الصلات الاجتماعية بين الناس في الامصار ((٢) •

اما المستوى الدلالي ، فتختلف اللهجات فيما بينها فيه ، ويتضح ذلك في قول ابن خلدون : ((واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الافاق)) (٣) • فابن خلدون قد حدد أثر التباين والاختلاف بين اللهجات العامية واللغة الفصيحة من جهة ، وبين اللهجات العامية فيما بينها من جهة اخرى ، ولكنه ادرك ان هذه اللهجات على اختلافها وتباينها فيما بينها ، وبينها وبين الفصيحة ، انما تعود الى لغة واحد ، وذلك لانها قد اشتركت فيما بينها في الكثير من الالفاظ التي حافظت على معانيها الاولى ، والى هذا اشار بقوله : ((وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ••••• ولا فنحن نجد اليوم الكثير من ألفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها الاولى ، والتعبير عن المقاصد والتعارف فيه بتفاوت الالبانة بوجود في كلامهم لهذا العهد)) (٤) •

(١) قضية التحول الى الفصحى : ١٠٧ •

(٢) ينظر : المقدمة : ١٢٧٤/٤ •

(٣) المقدمة : ١٣١٥/٤ ، وينظر : الطكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : ٦٢ •

(٤) المقدمة : ١٢٧١/٤ •

ولكن هذا التباين اللهجي والذي اشار اليه ابن خلدون يراه الدكتور
نهاد الموسى شامة لغوية طبيعية تؤدي اليها القوانين الحاكمة في عناصر
اللغة ، ولكنه — على المستوى المحلي — يأخذ على الازدواجية وتعدد اللهجات
وحجة بالغة لدعاة التحول الى الفصحى (١) .

ويتضح من ذلك ، ان ابن خلدون كان يرى ان اللهجات العامة لغات
قائمة بنفسها من حيث الوظيفة الاساسية للغة ، وهي الابانة عما في النفس ،
وقد اكد دعواه هذه في كلامه على فن الشعر ونظمه ، فبعد ان اكد
ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة سواء
اكانت عربية أم اعجمية ، ولما كان الشعر موجودا بالطبع في كل لسان — على
حد قوله — لان موازينه على نسبة واحدة في اعداد التحركات والصوائت
وتقابلها موجود في طباع البشر ، فلم يخرج الشعر لفقدان لغة مضر بسبب
الفساد الذي اعترها نتيجة المخالطة بالعجم — كما بينا آنفا — بل كان للحرب
المستعجمين شعر مثل اسلافهم العرب المستعربين في سائر فنون الشعر
واغراضه ، وكان شعرهم بلغتهم التي خالفت لغة مضر في الاعراب وبنية
الكلمات ، وكان هذا الشعر يسمى عند اهل المغرب (الاصمحيات) ، وعند اهل
المشرق (الهدوى) ، واذا تفنوا به سموه (الحرابي) (٢) . وهذا يدل على
ان ابن خلدون قد لاحظ استعمال اللهجات العامية في الشعر ، لانه يرى
ان هذه اللهجات تتلاءم مع متطلبات التواصل والشعر ، ومعنى ذلك انه
يمكن ان ينظم الشعر على لغة العرب لحضره ولغة اهل الحضر والاصهار
التي خالفت لغة مضر القديمة في الاعراب وبنية الكلمات ، اي ان اشعار
العرب استعملت لغة هذا العصر وعصر ابن خلدون — غير المعربة مع التشوير
في بنية الكلمات .

ولكن ابن خلدون يلاحظان المشتغلين بعلوم اللسان (اهل البلاغة
والنحو) ، يستكبرون ويرفضون هذا الشعر اذا سمعوه ، ويمجه ذوقهم وينبـو

(١) قضية التحول الى الفصحى : ١١١ .

(٢) ينظر : المقدمة : ١٣١٤/٤ وما بعدها ، ومفهوم الادب في الخطيب

الخلدوني : ١٥٦ — ١٥٧ .

فيه لاستتراجانه وفقدان الاعراب فيه ، ولكنه لا يرد عليه
 اللهجات العامية فيه ، بل يرى ان سبب ذلك هو فقدان الالف في اللهجات
 ((فالدلالة بحسب ما يتصلح عليه الالف
 واشتدحت الدلالة ، وإذا الالف فقد كانت اللهجات العامية
 صحت البلاغة ، ولا عزة بتقنين النحلة في اللهجات
 موجودة في اشعارهم هذه ، ما عدا حركات مدحهم في اواخر اشعارهم
 غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويتميز عندهم نظام من الشعر والنظم
 الغير بقواش الكلام لا بحركات الاعراب)) (١) .

وقد لاحظ ابن خلدون ان التباين الشريفي له ما يميز في ادراكه اللهجات
 وتذوق الشعر ، لانه يرى ان الانسان يدرك بلاغة الشعر ويحسها
 ويتذوق الشعر الذي ينتمى بهذه اللهجة ، والتباين الشريفي
 في تذوق البلاغة ، ولهذا كان يقول : ((وانما ان اللهجات في شعرهم
 البلاغة انما تحصل لمن تلك تلك اللهجة وهو استيعابه لها
 اجيالها ، حتى يحصل مكتنبا كما قلناه في اللهجة المصرية ،
 بالبلاغة التي في شعر اهل المغرب ، ولا المغربي بالبلاغة التي في شعر اهل مصر
 الاندلس والشرق ، ولا الشرقي بالبلاغة التي في شعر اهل مصر والاندلس
 لان اللسان الحذري وتراكيبه مختلفة عنهم ، ومن اهل مصر يدرك اللهجات
 لحنه وذائق محاسن الشعر من اهل بلده (رغبى خلق الله سبحانه)
 واختلاف ألسنتكم وألوانكم آيات (٢))) (٣) .

لقد أدرك ابن خلدون ، ان اهل المغرب والاندلس يتقاربون في اللهجات
 (اللهجات العامية) ، وكذلك ينظرون الشعر بلحجبتهم هذه
 غياب الاعراب عنها ، عائقا لهم في فهمهم ، والتباين الشريفي اللهجات
 بهذه اللهجات كثيرة في مقدمته (٤)
 ويبدو ان اشعار النور والاندلس

(١) المقدمة : ١٣١٦/٤ - ١٣١٧ .

(٢) قد نزلت في القرآن الكريم ((ومن آياته خلق السموات والارض واستخراق السموات
 والوانكم ان في ذلك آيات للعالمين)) النور / ٢٢ .

(٣) المقدمة : ١٣٥٤/٤ - ١٣٥٥ ، رينر : اللهجة اللسانية في الشعر الجاهلي .

خلدون : ٩٣ .

(٤) ينظر : المقدمة : ١٣١٧/٤ وما بعدها .

والناسبات اشد تأثرا باللغة الدارجة (العربية البولدة) (١) .

وقد لاحظ ابن خلدون ايضا ان لهجات التخاطب العامية قد وصلت الى نظم الموشحات ايضا ، فبوي ان فن التوشيح قد أخذت به العامة من اهل الامصار ، فأهل الاندلس بعد ان تكثرت لديهم القدرة على ذلك الفن ، نشأوا في طريقته بلغتهم الحضرية دون التزام الاعراب فيها ، وسما هذا الفن الزجل (٢) . ويبدو ان ابن سناء الطك كان يرى الخرجة - وهي القفل الاخير من الموشحة - تكون في اسلوب لمحين مجرد من الاعراب ، كما يستحسن ان تشتمل على عبارات دخيلة وكلمات اعجمية اللغة (٣) .

ويرى يوهان فك ، ان رأى ابن سناء الطك في ضرورة صوغ الخرجة باللغة الشعبية الدارجة ، لم يكن مجرد نظرية مفترضة ، بل حقيقة عملية (٤) .

اما اهل الامصار في المغرب ، فاستحدثوا فنا آخر عن الشعر كالنوشح نظمونه بلغتهم الحضرية وسما هذا الفن عروض البلد (٥) . اما اهل تونس استحدثوا ايضا نوعا عن الشعر ينظمونه بلهجتهم العامية ، سماه النعبة (٦) ، كما ان اهل الشرق نظموا فنونا عن الشعر بلهجتهم العامية ، فكان لحاة بغداد في الشعر يسمونه السواليا ومنه ايضا القوما وكان ر الخ من انواع الفنون ويتبعهم في ذلك اهل مصر والقاهرة فنظموا بلهجتهم العامية (٧) .

وقد اكد ابن خلدون استعمال اللهجات العامية في فنون الشعر في مواضع عدة من مقدمته مع استشهاده بالاعانة الشعرية على ذلك (٨) . ويبدو

-
- (١) ينظر : العربية : ١٣٣ ، ر ١٨٩ .
 (٢) ينظر : المقدمة : ١٣٤٠/٤ ، ١٣٤٤ .
 (٣) قد ذكر ذلك يوهان فك في كتابه العربية ينظر : ١٩٦ .
 (٤) ينظر : العربية : ١٩٦ .
 (٥) ينظر : المقدمة : ١٣٤٧/٤ - ١٣٤٨ .
 (٦) ينظر : المقدمة : ١٣٥٢/٤ .
 (٧) ينظر : المقدمة : ١٣٥٢/٤ .
 (٨) ينظر : المقدمة : ١٣٤٠/٤ - ١٣٥٤ .

من أقصوه وبعيداه. هو المصدر الذي رجعنا إليه فيما شأنا تدل على
نظر المترجم المستقيم إلى البحر الخفي (١).

ويذكر ابن خلدون في مقدمته ، أن ابن خلدون ينسب إلى اللغة من خلال
مصدرها في مائة سنة وهي التغيير عن المقصود الذي يتحقق به التوافق اللغوي
زود في هذا التوافق اللغوي ويمكن تحقيقه بوجود الأعراب أو بحدسيه ،
وأنه غير أن لغة الأعراب في لغة ما ، ما دامت هذه اللغة وسيلة تعبير
عما في ألسنة هؤلاء يتحقق التوافق اللغوي بين أفراد المجتمع . ويؤيد أيضا
أن ما يتحقق بوجود الأعراب ، يمكن تحقيقه بالقرائن الكلاسية التي تعرض عن
الأعراب كالتقديم والتأخير والحذف وغرما ، ولهذا كانت لغة العرب في عصره
لغات أهل الحضرة والأعصار ، في عصره لغات قائمة بنفسها لأنه يمكن أن
يتحقق بهذا التقييم الأغرام . ويذكر أن ابن خلدون - كما يرى الدكتور -
يجتهد عند - كان ينسب إلى التغاير والاختلاف بين لغة مصر القديمة (اللغة
القديمة) ولغة العرب في عصره ، ولغات أهل الحضرة والأعصار (اللهجات
العامية) ، من ثلاث سمات اجتماعية ، لأنه ملتزم في رأيه هذا موقف
عالم الاجتماع الذي يصف ما يراه من مناهج اجتماعية وغيرها اللغة ((فلم ينزلق
إلى المفاضلة والاستحصان والاستيعان ، بل قدم الموازنة بين هذا المستوى -
لغات الأعصار - وغيره من تفضيل ، ليوضح مدى تمايز - لا امتياز - لغات
الأعصار عن غيرها ، فبين التغاير فيها من جهات ثلاث يطلق عليها -
الدارسين (اللحن - اختلاف المصطلحات الخاصة - فقدان الأعراب) ومنح
ذلك فهي لغات يتفاهم بها أهلها ، وقد فوضت استعمالها على الألسنة ،
وحققت المصاحبة الاجتماعية بين الناس في الأعصار :)) (٢).

ويذكر أن ابن خلدون قد نسب إلى هذه اللغات أيضا من خلال أرائهم
في النطقة اللسانية ، فهي مع فقدان الأعراب ، إلا أن الألفاظ ودلالاتها
والأسلوب وبلاغته والتفاهم بها بين أهلها موجودة فيها ، ولهذا كانت ملكة
لسانية تامة ومستحكمة في هذه الألسنة (٣).

(١) ينسب : العربية : ١٠٤ .

(٢) في اللغة ودراستها : ٥٤ ، والطقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١٥٢ .

(٣) ينسب : النطقة اللسانية في نظر ابن خلدون : ١١٣ - ١١٦ .

ولهذا كان يقول الدكتور محمد عبد : ((فليُنصب الغيورون المحافظون
أذن حرجا عوانا على تلك اللغات وما شاء لهم النصب ، فهذا شأنهم ، أما
ابن خلدون فقد قرر الواقع بصدق من أن هذه اللغات ملكات لأهلها ،
ولها سماتها اللغوية المتميزة التي تحقق لها القيام بنفسها)) (١) .

إن اللغة في استعمالاتها اليومية ، أداة يتوسطها الإنسان لاتمام وظيفة
التواصل بينه وبين أفراد بيئته ، فهي العلامة الفارقة بين الإنسان ومائمه
الحيوان ، رانها واسطة عقد الاجتماع الانساني وأداته في التواصل ، ولا يعني
ذلك إقتصار اللغة على أداء عملية التواصل ، إلا أن التواصل يبقى المحرك
الاستعمالي الاساسي للغة . ومن البديهي أن الإنسان يستعمل اللغة
من أجل التواصل بينه وبين أفراد بيئته ، وهذه حقيقة طبيعية وكليومية
ولا تحتاج الى توضيح وتفسير . وقد اندلقت الدراسات اللغوية الحديثة في
تصويرها لوظيفة اللغة الاساسية في التواصل القائم على قدمية التعبير
والتفاهم ، فدرست اللغة على أنها واقع قائم بذاته ، مستقل عن فكر الإنسان
ونشاطه ويمكن دراستها في اتجاهها الوظيفي الاساسي (وسيلة التواصل) (٢) .

فاللغة تبقى إذن ((الوسيلة القادرة على ابلاغ الفكرة من المتحدث
الى السامع بصورة زمنية وبسرعة فائقة لان اللغة هي اقدر الوسائل على
التبليغ والتوصيل)) (٣) ، والتواصل الناجح يأتي من تناسب الأفكار والآراء
الحادثة للحكلم والمستمع عند تبادلنا الكلامي ، وهذا التناسب هو الظاهرة
الوحيدة التي تجعل تبادل الكلام عملية تواصلية لغوية حقيقية (٤) . فالوظيفة
الاساسية للغات الطبيعية البشرية هي الوظيفة التواصلية ، بل إن غرض
اللسان ذاته ينحصر على غرض التواصل (٥) .

- (١) الدلكة اللسانية في نثر ابن خلدون : ١١٦ .
- (٢) ينظر : الالسانية (علم اللغة الحديث) الحادي والاعلام : ١٩ ، ٢٠ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٧ ، ٥٠ ، وتصريف اللغة في نثر الالسانية الحديثة : ٥٦ - ٥٧ (بحث
ينشر) ، ويدخل الى علم اللغة : ١٢ ، واللغة والمجتمع (السمران : ١٢ ،
فتة اللغة العربية ومصادرها : ٢١ - ٢٢ .
- (٣) علم اللغة (الضامن) : ١٣٧ .
- (٤) ينظر : الالسانية (علم اللغة الحديث) قراءات تمهيدية : ٧٩ .
- (٥) ينظر : مدخل الى الالسانية : ٤٣ .

نحن بتحديدنا اللغة — عن حيث وظيفتها — وسيلة تواصل ، وهذا يعني أننا ((نحدد وظيفتها البرهمية على الرغم من أن هذه الوظيفة ليست رقفا طوريا ، فاللغة تشترك بها مع غيرها من وسائل التواصل الأخرى)) (١) .

ويتفق معظم علماء الحديثين على أن وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل والتعبير والتفاهم ، إلا أن بعضهم قد رفض تقييد اللغة بالتعبير والتواصل ، ويرى أن التواصل ليس الوظيفة الرئيسية للغة ، بل هو إحدى وظائفها (٢) .

إلا أن الدراسات العلمية الحديثة عبت اهتمامها ((على الحد بالوظيفة أكثر من الحد بالبنية العنصرية ، مما تحول لنا اكتشاف الانسلاخات المعرفية التي تتولد في سلسلة معادلاتها الأبعاد الوظيفية انطلاقا من المكونات الذاتية الأولى . فإن اللغة قد غدت وحدها الكفيلة بإعطاء العلم مقوماته الانسانية غير تكينه عن اجراء العملية التواصلية . ولورغنا استغراق العملاق الأنطولوجي (٣) ، لقلنا أن اللغة هي العامل الجوهري في اخراج الانسان الفرد من عزلته البربرية وهي العنصر الفعّال في تخفيف حدة انقطاع تجربة الانسان عن تجربة أخيه الانسان ، اذ كانما تغدو اللغة نقطة تقاطع الرقائع المعيشية ، وبالتالي (٤) مركز التقاء الفرد بالفرد وليس شي . من هذا يمكننا بغير الانجاز الوظيفي للغة)) (٥) .

إن من الباحثين من حدد العناصر الأساسية التي يقوم عليها التواصل اللغوي وهي : المتحدث أو المرسل ، والمستمع أو المستقبل ، ونظام إشاري أو لغة مشتركة يفهما المرسل والمستقبل ، وهذا النظام الإشاري له محتويات

- (١) يدخل إلى الانسية : ٧٦ .
- (٢) ينظر : أصول تراثية في علم اللغة : ٩١ ، وسيكولوجية اللغة والمعرض العقلي : ٢٥ .
- (٣) الأنطولوجيا ، حرّاحد بحوث الفلسفة الرئيسية ، ويشمل النظري الوجودي بإطلاق مجرد عن كل تعيين أو تحديد . ينظر : المعجم الفلسفي : ٢٦ .
- (٤) الفصح : من ثم .
- (٥) الحد اللغة بين السعي والاستعمال : ٦ (بحث منشور) .

يرمز اليه ، ولا يحدث هذا التداخل الا من خلال نشاطين رئيسين هما :
الكلام والاستماع (١) .

ومن خلال ما تقدم يتضح ان ابن خلدون قد سبق علم اللغة الحديث
والدراسات الحديثة ، في نظريته وإدراكه التباين اللغوي والطبيعة التواصلية
للغة ، فقد أدرك ان اللهجات العامية متباينة فيما بينها بسبب التطور اللغوي
الذاتي الجارى على العربية الموطونة ، ومع هذا التباين والاختلاف ، تؤدي
تلك اللهجات الرئيسية للغة وهي التداخل ، ولهذا كانت لغات
قائمة بذاتها .

انختامه

الخاتمة ونتائج البحث

بحمد الله تبارك وتعالى وحسن توفيقه أنجزت هذه الرسالة ، وسأعرض فيما يأتي لأهم النتائج التي توصلت إليها بإيجاز :

- ١ • ان التراث الاجتماعي به حاجة الى دراسات جديدة وتقويم جديد يجعل من الفكر اللغوي أساسا لمثل هذه الدراسات ، فقد احتوت مؤلفات الاجتماعيين الكثير من القضايا اللغوية ، حيث اهتم علماء الاجتماع القدماء منهم والمحدثون بالبحث اللغوي ، ولكن البحث عندهم يختلف عما هو عليه عند علماء العرب اللغويين من حيث المنهج والغرض .
فاذا قام منهج علماء اللغة المختصين على الوصف والاستقراء ، قام منهج علماء الاجتماع على النشرة الاجتماعية في تناول الموضوعات اللغوية . وهذا يدل على ان الدرس اللغوي ، لم يكن موضع اهتمام علماء اللغة المختصين فحسب ، بل تناوله غير المختصين مثل الفلاسفة والمناطقة وعلماء الاجتماع قديما وحديثا .
- ٢ • ادراك ابن خلدون - عالم الاجتماع - ان اللغة موضوع جدير بالبحث العلمي ، ولهذا كان يدركا بحدسه العلمي جملة من المفاهيم والهادى اللغوية الحديثة .
- ٣ • اتضح التقارب بين آراء ابن خلدون في اللغة والملكة اللسانية وبين قسم من المفاهيم المعول بها في ظل الدراسات اللغوية الحديثة ، وهذا يدل على بعد نظر ابن خلدون في قضايا اللغة التي تناولها في مقدمته ، فقد عالج هذه القضايا ، فأثنى بآراء وافكار متطورة في مجال تحليل اللغوية .
تقارب قسما من الآراء والافكار اللغوية الحديثة .
- ٤ • أن ابن خلدون لم يكن مجرد ناقل للتراث العربي في المجال اللغوي ، بل كان له فكر مميز بنظرة شمولية لظواهر الحياة الانسانية ، لكونه عالما اجتماعيا يدرس ظواهر المجتمع البشري ويستنبط منها القوانين التي تتحكم في ظواهر المجتمع المختلفة ، ومن بينها ظاهرة اللغة واللسان ،

ومن هنا تتضح السمات اللغوية التي تناولها ابن خلدون في حديثه في اللغة وبنائها وعلومها ووظيفتها ، وتأثير عاملي الزمان والمكان فيها لكونها ظاهرة اجتماعية كبقية الظواهر ، ولذلك نجده أكثر تأيلاً عندما يتناول دراسة اللغة وطبيعتها ، ويسعى إلى تحليلها وفهمها في جوهرها وبنيتها .

•٥ ان الجانب اللغوي في فكر ابن خلدون ، يرتدى أهمية ملحوظة ، مثله مثل الجانب الاجتماعي والسياسي والتاريخي ، فابن خلدون قد انفرد عن غيره بالنظر إلى اللغة من حيث أنها ملكة لسانية .

•٦ اتباع ابن خلدون في تحليله لمسائل اللغة الصحيح الذي يتبعه في دراسة قضايا التاريخ والعمران البشري ، وهذا الصحيح قد جعل منه ، في رأى الكثيرين رائد علم الاجتماع .

•٧ ان ابن خلدون ، من خلال تأكيده أن ((ليست اللغات وملكاتهما مجاناً)) ينظر إلى اللغة ولا سيما ملكة اللغة ، نظرة الباحث المتأمل لهذه الظاهرة الانسانية الدهشة والمعقدة ، أى انه أدرك بحدسه العلمي الباقد ان اللغة موضوع جدير بالبحث العلمي .

•٨ أن ابن خلدون لم يحصر تعريف اللغة بلغة انسانية معينة ، بل عرّف اللغة من حيث هي عزة انسانية عامة عند الانسان وتحقق لغة خاصة عند كل شعب من الشعوب ، فاللغة الانسانية ملكة خاصة بالانسان وتتنوع بتنوع الشعوب والمجتمعات الانسانية ، كما يتضح ان ابن خلدون قد أفاد ولا شك من نبرة القداماء إلى وظيفة اللغة المتمثلة في التواصل بين أفراد المجتمع ، وقد بين ان الانسان مدني بالطبع ولذا يحتاج لتحقيق التعاون مع بني جنسه إلى وسيلة اتصال بيده وبهم وان هذه الوسيلة هي اللغة .

•٩ أن ابن خلدون في مقدمته يبدو انه كان صائب النظر وبالفهم البصيرة ، ينظر إلى اللغة من منظار علمي ويحللها من خلال دراسته للملكة اللسانية لان اللغة عنده لا تختلف عن الموضوعات الاجتماعية الاخرى ،

لأنها تقوم على قوانين السلطة اللسانية ، لذلك لابد للغوى من تحليل
هذه القوانين •

١٠ • أن ابن خلدون قد أحاط في تحديده للغة بأهم المسائل اللغوية الحديثة ،
فاللغة وسيلة تواصل في خدمة المتكلم يعبر بها عن آرائه كما هي فعل
لساني ومملكة لسانية تقوم على اصطلاح ضمني في المجتمع الذي يتكلمها •

١١ • أن ابن خلدون قد سبق الحدثين في تقريره أن مصطلح (اللغة) واللسان
هما بمدلول واحد ، وهذا يدل على الاختيار الواعي الذي كان يمتلكه
ذوق ابن خلدون للغوى في استعماله للمصطلحات اللغوية •

١٢ • أن ابن خلدون يرى أن اللغة ملك من يتعلمها ويكتسبها ، ولا ترتبط
عطية الاكتساب هذه بالوراثة أو الجنى •

١٣ • أدراك ابن خلدون أن الكتابة هي الوسيلة الثانية من وسائل الاتصال للغوى
فهو يقر بطبيعة الكتابة التواصلية ، وهذا يتفق مع الدرس الحديث ،
وبهذا قد سبق ابن خلدون الدراسات الحديثة في هذا الشأن •

١٤ • أن ابن خلدون يتفق مع الدراسات الحديثة واستنادا إلى نظريته الاجتماعية ،
في أن الخط والكتابة من الصنائع الحضارية التي لا توجد إلا بوجود
العمران والحضارة والتوف وجودتها •

١٥ • أن ابن خلدون لا يتفق مع الدراسات الحديثة في أصل الخط العربي •

١٦ • اغفال ابن خلدون لحال الكتابة وكتابة المصحف الشريف في أول الإسلام
وهذا يمثل خلاف لنظريته الاجتماعية التي تقول بأن الخط وجود بوجود
العمران والحضارة وجودتها •

١٧ • أدراك ابن خلدون ، أن ملكة اللغة شيء ، وقوانين العربية وقواعد اللغة
شيء آخر • وأدراكه أن قوانين العربية قد تورث علما بالعربية واللغة
ولكنها لا تورث قدرة وملكة بها • وقد انتهى إلى أن علوم اللغة ليست
بالضرورة ، مما يوصل المرء إلى مراتب البلاغة أو الفصاحة أو القدرة على
نظم الشعر ، هذا فيما يخص اللغة الفصيحة ، أما فيما يخص اللهجة

العامة ، فقد اعترف بوجود هذه اللهجة الى جانب اللغة الفصحى ، بل دعا الى تقنينها وتسجيل آدابها ، مؤكدا احتلاكها جميع مقومات الادب من بلاغة وبيان وذوق ، وتحقيق بها غاية اللغة (الفهم والافهام) اى التواصل اللغوى .

١٨ • اهتمام ابن خلدون بالملكة اللسانية واحوالها ، فهو يلاحظ اماكن تغيير الملكة وفسادها ، واستراج اكثر من ملكة في ملكة جديدة ، فيحلل هذه المسائل تحليلا دقيقا ، ينهر فيما يثوره ، اهمية مفهوم الملكة اللسانية في تفكيره . وتحليله هذا جزء من تحليله لمظاهر المجتمع والعمران بغية فهم قوانينها وتطورها وعوامل رقيها وفسادها بما يعرف بنظريته الاجتماعية .

١٩ • ادراك ابن خلدون للتطورات التاريخية التي حصلت في مسار اللغة العربية التاريخي ، من خلال تمييزه بين اللسان العربي الحميرى والضرى وبين لسان العرب لعصره .

٢٠ • ادراك ابن خلدون ، ان اللغة تتطور من جيل الى آخر ، فتظهر تغيرات وانحرافات عن خلال تعديل قسم من قوانينها ، ويستتبع ذلك ، تغيير القواعد التي يراعيها المتكلم ، والتزام المتكلم بطبيعة الحال ، بالواقع اللغوى الجديد .

٢١ • أن ابن خلدون من خلال نظريته الى التطور اللغوى يتفق مع المحدثين الذين نظروا الى التغير في اللغة نظرة سحة ، لانهم نظروا الى هذا التغير في هدى استعمال الناطقين للغة فقط ، ولذلك لا يربطون بينه وبين مستوى لغوى آخر لعصر سابق أو لاحق .

٢٢ • ان الثنائية اللغوية شاهرة ستبقى قائمة في العربية ، ما دام القرآن الكريم والتراث الاسلامي والعلمي والفكرى والعربي ، باللغة القرشية المضربة العربية الفصحى ، وما دام العرب منتشرين في بيئاتهم متوارثين لهجاتهم العامية ، والسبيل الوحيد الى التقريب بين الفصحى والعامية ، هو الثقافة التي تقرب اللهجة العامية عن اللغة الفصحى ، ثم الثقافة الدينية

• بوجه خاص •

٢٣ • ادراك ابن خلدون للتيان اللهجي بين لغة مصر والامصار في المشرق والمغرب والاندلس ، وقد تجسد هذا التباين في المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي ، اذن هو يشر الى اللغة من خلال وظيفتها الاساسية وهي التعبير عن المقصود الذي يتحقق به التواصل اللغوي ، ويرى ان هذا التواصل ، يمكن تحقيقه بوجود الاعراب أو بعده ، لانه يرى ان ما يتحقق بوجود الاعراب يمكن تحقيقه بالقرائن الكلامية التي تعوض عن الاعراب •

٢٤ • أن ابن خلدون قد سبق علم اللغة الحديث ، في نظره وادراكه للتيان اللهجي والطبيعة التواصلية للغة ، لانه ادرك ان اللهجات العامية متباينة فيما بينها ، بسبب التطور اللغوي الذاتي الجارى على العريضة المخطوكة ، ومع هذا التباين والاختلاف تؤدي تلك اللهجات وظيفة اللغة الرئيسية وهي التواصل ، ولهذا كانت اللهجات لغات قائمة بذاتها فهي نظيره •

٢٥ • أن ابن خلدون لم يكن قد اضاف جديدا من حيث القيمة الفنية أو التاريخية للكلام على الفنون الشعرية ، لكن اهمية ما قدمه تنأت من الرؤية الخاصة التي انطلق منها في نظره اليها ، اذ خصها بالاهتمام في هدى ما قرره من ان الشعر ليس قصورا على لغة دين لغة ، ولا أسة دين أمة ، وانما هو فطرة في طباع البشر •

المصاوير والمراج

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- ابن جني عالم العربية — الدكتور حسام سعيد النعيمي ، ط ١ ، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة) ، ١٩٩٠ م .
- ابن خلدون (حياته وتراثه الفكري) : محمد عبد الله طان ، ط ٣ ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م .
- ابن خلدون الفكر العربي الاصيل : عبد الهادي عبد الامير جودي ، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة) ، ١٩٨٦ م .
- ابن خلدون ناقد التاريخ والادب : الدكتور عثمان موافي ، الاسكندرية (مؤسسة الثقافة الجامعية) ، د . ت .
- الاتقان في علوم القرآن : السيوطي (ابو عبد الرحمن جلال الدين — ٩١١ هـ) ، ط ٣ ، مصر (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) ، ١٣٢٠ هـ — ١٩٥١ م .
- احصاء العلوم : الفارابي (ابو نصر — ٣٥٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عثمان امين ، ط ٣ ، القاهرة (مطبعة الانجلو المصرية) ، ١٩٦٨ م .
- الاحكام في اصول الاحكام : الاندلسي (ابن حزم — ٤٥٦ هـ) ، القاهرة (مطبعة العاصمة) ، د . ت ، الناشر زكريا علي يوسف .
- ادب الكتاب : ابن قتيبة (ابي محمد عبد الله بن مسلم — ٢٧٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م .
- الادراك للسان الاثراك : الاندلسي (ابو حيان الدحوي — ٧٤٥ هـ) ، اتمم بتصحيحه جعفر أوغلي احمد ، اسلامبول (مطبعة الاوقاف) ، ١٩٣٠ م .
- اساس البلاغة : الزمخشري (٥٣٨ هـ) ، ط ٣ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م .

- الاشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون : الدكتور
عبد القادر جخلول ، ط ٤ ، بيروت (دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع) ، ١٩٨٧ م .
- اصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الاموي : سهيلة ياسين الجبوري
بغداد (مطبعة الاديب البغدادية) ، ١٩٧٧ م .
- اصلاح المنطق : ابن السكيت (٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق : احمد محمد شاكر
وعبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، مصر (دار المعارف) ،
١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م .
- اصوات العربية بين التحول والثبات : الدكتور حسام سعيد النعيمي ، بغداد ،
١٩٨٩ م .
- الاصول : الدكتور تمام حسان ، ط ١ ، دار الثقافة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- اصول تراثية في علم اللغة : كريم زكي حسام الدين ، ط ٢ ، القاهرة (مكتبة
الانجلو المصرية) ، ١٩٨٥ م .
- اضراب على الدراسات اللغوية المعاصرة : الدكتور نايف خرما ، الكويت (عالم
العرف) ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- اعجاز القرآن البياني بين النظرية والتطبيق : الدكتور حفي محمد شرف ،
يشرف على اصدارها محمد توفيق عويضة - الكتاب الرابع ،
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .
- الاعلام : خير الدين الزركلي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- الالمنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجلة البسيطة) : الدكتور
عيشال زكريا ، ط ١ ، بيروت (المؤسسة الجامعية
للاستudies والنشر والتوزيع) ، ١٩٨٣ م .
- الالمنية (علم اللغة الحديث) ، قراءات تهييدية : الدكتور عيشال زكريا ،
ط ٢ ، بيروت (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع) ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- الالمنية (علم اللغة الحديث) - الجادى والاعلام : الدكتور عيشال زكريا ،
ط ٢ ، بيروت (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر
والتوزيع) ، ١٩٨٣ م .

- بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص : الدكتور حاتم صالح الضامن ،
الدوصل (دار الحكمة للطباعة والنشر) ، ١٤١١ هـ —
١٩٩٠ م .
- الهلافة والاسلمية : الدكتور محمد عبد المطلب ، عصر (الهيئة العامة
للكتاب) ، ١٩٨٤ م .
- الهى النحوية : نعيم تشومسكي ، ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، مراجعة
عجيد الناشطة ، ط ١ ، بغداد (دار الشؤون الثقافية
العامة) ، ١٩٨٧ م .
- بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ، ط ١ ،
المغرب (دار توفال للنشر) ، ١٩٨٦ م .
- البيان والتبيين : الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر — ٢٥٥ هـ) ، تحقيق
عبد السلام محمد هارون ، ط ٥ ، القاهرة (مكتبة
الخانجي) ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- تاريخ اللغات السامية : أ . ولفسون (أبو ذؤيب) ، ط ١ ، بيروت (دار القلم)
١٩٨٠ م .
- التطور اللغوي (مظاهره وعلمه وقوانينه) : الدكتور رمضان عبد التواب ، القاهرة
(مطبعة المدني) ، ١٩٨١ م .
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا : ابن خلدون (ابو زيد عبد الرحمن —
٨٠٨ هـ) عارضه باصوله وعلق حواشيه : محمد بسن
تاريت الطنجي ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر) ، ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م .
- التعريفات : الجرجاني (ابو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد
الشريف) ، بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة) ، د . ت .
- التفكير اللساني في الحضارة العربية : الدكتور عبد السلام المسدي ، تونس
(الدار البيضاء للكتاب) ، ١٩٨١ م .
- تهذيب اللغة : الازهرى (ابو منصور محمد بن احمد — ٣٧٠ هـ) ، تحقيق
علي حسين هلالي ، مراجعة محمد علي النجار ،

- القاهرة ، (الدار المصرية للتأليف والترجمة) ، د . ت .
 دور الالهة ودلائلها في البحث البلاغي والنقدى عند العرب : الدكتور ماهر
 مهدي هلال ، بغداد (دار الرشيد للنشر) ، د . ت .
 جواهر من ربة البحر : يعزم شوسكي ، ترجمة مرتضى جواد باقر ، الموصل ،
 ١٩٨٥ م .
 حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : الدكتور محمد ضاري حمادي ،
 بغداد (دار الرشيد للنشر) ، ١٩٨١ م .
 الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ،
 الدكتور البير مطلق ، بيروت (المكتبة العصرية) ، ١٩٦٢ م .
 الحروف : ابن نصر الفارابي ، تحقيق الدكتور محسن مهدي ، بيروت (دار المشرق)
 ١٩٨٦ م .
 الحيوان : الجاحظ ، تحقيق عبد السلام حمد هارون ، ط ٣ ، بيروت (دار
 الكتاب العربي) ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .
 الخصائص : ابن جنّي (ابر الفتح عثمان - ٣٩٢ هـ) ، تحقيق حمد علي
 النجار ، بيروت (دار الكتاب العربي) ، د . ت .
 الخط العربي نشاته ، تطوره ، مشكلاته ، دعوات اصلاحه : الدكتور اعيل
 يعقوب ، لبنان ، جروس برس ، د . ت .
 الخط العربي وجذوره وتطوره : ابراهيم خمرة ، ط ٣ ، الاردن (مكتبة المنار) ،
 ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
 الخطاب التاريخي (دراسة لمتهجية ابن خلدون) ، علي أوصيل ط ٣ ، المغرب
 (المركز الثقافي العربي) ، ١٩٨٥ م .
 دائرة المعارف الاسلامية : المعلم بطرس البستاني ، بيروت (دار المعرفة) ،
 د . ت .
 دراسات عن مقدمة ابن خلدون : ساطع الحمصي ، ط ٣ ، القاهرة (دار الكتاب
 العربي) ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٢ م .
 الدراسات اللغوية في الاندلس منذ مطلع القرن السادس الهجري حتى منتصف
 القرن السابع الهجري (عصر الرابطين والموحدين) : رضا
 عبد الجليل الطيار ، بغداد (دار الرشيد للنشر) ، ١٩٨٠ م .

- دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الاحجار في مصر في القرنين الخسة الالى
للشجرة : الدكتور ابراهيم جسة ، القاهرة (المطبعة
العالية) ، ١٩٦٩ م .
- دفاع عن العربية : نبيل العطية ، ط ١ ، بغداد (دار الشؤون الثقافية
العامة) ، ١٩٩٠ م .
- دلائل الاعجاز : عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، قرأه وعلق عليه : أبو
فهر محمود محمد شاكر ، القاهرة (مطبعة المدني) ، ١٤٠٤ هـ
— ١٩٨٤ م .
- ذخائر التراث العربي الاسلامي (دليل بليوگرافي للمخطوطات العربية المطبوعة
حتى عام ١٩٨٠ م) : عبد الجبار عبد الرحمن ، ط ١ ، الجزء
الاول ، البصرة (مطبعة جامعة البصرة) ، ١٤٠١ هـ —
١٩٨١ م .
- رسم النصحف (دراسة لغوية تاريخية) : الدكتور غانم قدوري ، ط ١ ، بغداد
١٩٨٢ م .
- سيكولوجية اللغة والرض العقلي : الدكتور جمعة سيد يوسف ، الكويت (عالم
العرفة) ، ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م .
- الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء : ابن قتيبة ، حققه وضبط نصه الدكتور
غيد قبيحة ، ط ١ ، بيروت (دار الكتب العلمية) ، ١٤٠١ هـ —
١٩٨١ م .
- الشفاء : ابن سينا ، المنطق : المدخل : تحقيق الاب قنواتي ومحمود الخضيرى
وفؤاد الاهواني ، القاهرة (الطبعة الاميرية) ، ١٩٥٢ م .
- شفاء المسائل لتفذيب المسائل عبد الرحمن بن خلدون ، نشره وعلق عليه
الاب اغناطيوس عده خليفة اليسوي ، بيروت (المطبعة
الكاثوليكية) ، د . ت .
- الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : (ابو الحسين احمد بن
فارس ٣٩٥ هـ) حققه وقدم له : مصطفى الشويبي ، بيروت
(مؤسسة أ . بدران للطباعة والنشر) ، ١٩٦٣ م .

- **صبح الاعشى في صناعة الانشا :** القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي
٨٢١ هـ) ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف
والترجمة والطباعة والنشر (مطابع كوستاتسوعاس وشركاه) ،
د . ت ، نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية .
- **الضوء اللامع لاهل القرن التاسع :** السخاري (شمس محمد عبد الرحمن ٩٠٢ هـ)
بيروت ، (دار مكتبة الحياة) ، د . ت .
- **العبر وديوان البتدأ والخبر ، في ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصره**
بن ذوى السلطان الاكبر : عبد الرحمن ابن خلدون ، ط ٣ ،
بيروت (دار الكتاب اللبناني) ، ١٩٦٧ م .
- **العربية (دراسات في اللغة واللهجات والاساليب) :** يوهان فك مع تعليقات
المستشرق شبيتالر ، ترجمه وقدم له وعلق عليه وصفح
فيارسه : الدكتور رمضان عبد التواب ، مصر (مكتبة
الخانجي) ، ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .
- **العصبية والدولة (فكر ابن خلدون) :** الدكتور محمد عابد الجابري ، ط ٥ ،
بيروت ، ١٩٩٢ م .
- **العقد الفريد :** ابن عبد ربه (ابو عمر احمد بن محمد الاندلسي — ٣٢٨ هـ) ،
تحقيق احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابيارى ، القاهرة
(لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م .
- **العلاء ابن خلدون :** ايف لاکوست ، ترجمة الدكتور ميشال سليمان ، ط ١ ،
بيروت (دار ابن خلدون) ، ١٩٧٤ م .
- **علم اللغة :** الدكتور حاتم صالح الضامن ، الموصل ، ١٩٨٩ م .
- **علم اللغة :** الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ط ٧ ، القاهرة (دار نهضة مصر
للطباعة والنشر) ، ١٩٧٢ م .
- **علم اللغة (مقدمة للمقاريء العربي) :** الدكتور محمود السمران ، مصر (دار
المعارف) ١٩٦٢ م .
- **علم اللغة الاجتماعي :** الدكتور هـ د سون ، ترجمة الدكتور محمود عبد الغني
عياد ، مراجعة وتقديم الدكتور عبد الامير الاعسم ، ط ١ ،
بغداد (دار الشؤون الثقافية العامة) ، ١٩٨٧ م .

- علم اللغة الاجتماعي عند العرب : الدكتور هادي نهر ، ط ١ ، الجامعة
السننصرية ، ١٩٨٨ م .
- علم اللغة العام : فردينان دي سوسور ، ترجمة الدكتور يوثيل عزيز ، مراجعة
النص العربي الدكتور مالك يوسف السطلي ، الموصل
١٩٨٨ م .
- علم اللغة العربية (مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية) :
الدكتور حمود فتحي حجازي ، الكويت (وكالة المطبوعات) ،
١٩٧٣ م .
- علم اللغة النفسي : الدكتور عبد المجيد سيد احمد منصور ، ط ١ ، الرياض
(عادة شؤون الكتب جامعة الملك سعود) ، ١٤٠٢ هـ —
١٩٨٢ م .
- العدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : القيرواني (ابن رشيق — ٤٥٦ هـ)
حققه وفصله وعلق حواشيه : محمد يحي الدين —
الحميد ، ط ٤ ، بيروت (دار الجيل للنشر والتوزيع —
والطباعة) ، ١٩٧٢ م .
- العنوان البشري في مقدمة ابن خلدون : الدكتورة سفيثلانا باتسييفا ، ترجمة
رضوان ابراهيم ، ليبيا — تونس (الدار العربية للكتاب) ،
١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .
- عيار الشعر : العلوي (ابن طباطبا — ٣٢٢ هـ) ، تحقيق الدكتور طه الحاجري
والدكتور محمد زغلزل سلام ، مصر ، ١٩٥٦ م .
- فصول في فقه العربية : الدكتور رمضان عبد التواب ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- فقه اللغة : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، ط ٦ ، لجنة البيان العربي ،
١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة العربية : الدكتور كاسد ياسر الزيد ، الموصل ، ١٤٠٢ هـ —
١٩٨٢ م .
- فقه اللغة العربية وخصائصها : الدكتور اسيل يعقوب ، ط ٢ ، بيروت (دار
العلم للناشرين) ١٩٨٦ م .

- فقه اللغة في الكتب العربية : الدكتور عدة الراجحي : بيروت (دار النهضة للطباعة والنشر) ، ١٩٧٢ م .
- فقه اللغة المقارن : الدكتور ابراهيم السارائي ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٨ م .
- فقه اللغة وخصائص العربية (دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لنموذج العربية الاصيل في التجديد والتوليد) : الدكتور محمد المبارك ، ط ٢ ، ١٩٦٤ م .
- الفكر الراقعي عند ابن خلدون (تفسير تحليلي وجدلي لفكر ابن خلدون في بنيته ومعناه) : ناصيف نصار ، ط ٢ ، بيروت (دار الطليعة للطباعة والنشر) ، ١٩٨٥ م .
- الفهرست : ابن النديم (محمد بن اسحاق — ٣٨٥ هـ) ، تحقيق رضا تجدد طهران (مطبعة دانشگاه) ، ١٩٧١ م .
- في فلسفة اللغة : كمال يوسف الحاج ، بيروت (دار النهار للنشر) ، د . ت .
- في اللغة ودراساتها : الدكتور محمد عيد ، القاهرة (عالم الكتب) ، ١٩٧٤ م .
- في اللهجات العربية : الدكتور ابراهيم انيس ، ط ٦ ، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ، ١٩٨٤ م .
- دراسات مع الشابي والختبي والجاحظ وابن خلدون : الدكتور عبد السلام السدي ، تونس (الشركة التونسية للتوزيع) ، ١٩٨٤ م .
- قصة الكتابة العربية : الدكتور ابراهيم جبعة ، ط ٣ ، القاهرة (المطبعة العالية) ١٩٨١ م .
- قضية التحول الى الفصحى في العالم العربي الحديث : الدكتور نهاد الموس ، ط ١ ، عمان (دار الفكر للنشر والتوزيع) ، ١٩٨٧ م .
- الكتابات والخطوط القديمة : تركي عطية الجبوري ، بغداد ، ١٩٨٤ م .
- الكليات (معجم في المصطلحات والفرق اللغوية) : ابو الهيثم آيوب بن موسى الحسيني الكوفي) ، ط ٢ ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ، ١٩٨٢ م .

- لهيب الممدل في اصول الدين : عبد الرحمن بن خلدون ، نشره الاب
الافرنسيسي لوسيانو ريزيو ، تلوان (دار الطباعة
الشربية) ، ١٩٥٢ م .
- لسان العرب : ابن منظور (جمال الدين احمد بن محمد الانصاري - ٧١١ هـ) ،
الدار المصرية للتأليف والترجمة ، د . ت ، طبعة مصورة
عن طبعة بولاق .
- اللغة : لتدريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، القاهرة ،
(مطبعة لجنة البيان العربي) ، ١٩٥٠ م .
- اللغة العربية في اطارها الاجتماعي (دراسة في علم اللغة الحديث) : الدكتور
مصطفى لدلي ، ط ١ ، بيروت (معهد الانساب العربي) ،
١٩٧٦ م .
- اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور تمام حسان ، القاهرة (الهيئـة
المصرية العامة لكتاب) ، ١٩٧٣ م .
- اللغة في المجتمع : م . م . لويس ، ترجمة الدكتور تمام حسان ، مراجعة
الدكتور ابراهيم انيس ، دار احياء الكتب العربية ،
١٩٥٩ م .
- اللغة والحضارة : الدكتور ابراهيم السارايي ، ط ١ ، بيروت (المؤسسة
العربية للدراسات والنشر) ، ١٩٧٧ م .
- اللغة والفكر : الدكتور نوري جعفر ، الرباط (مكتبة التوي) ، ١٩٧١ م .
- اللغة والمجتمع : الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة (دار نهضة مصر) ،
د . ت .
- اللغة والمجتمع (رأى ومدهج) : الدكتور محمود السمران ، ط ٢ ، الاسكندرية
(دار المعارف) ، ١٩٦٣ م .
- لغات البشر : ماريوباي ، ترجمة صلاح العربي ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- باحث في النظرية الالسانية وتعليم اللغات : الدكتور ميشال زكريا ، ط ١ ،
بيروت (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع) ،
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين ابن الاثير (٦٣٧هـ) ،
 قدم له ومحققه وعلق عليه : الدكتور احمد الحوفي والدكتور
 بدوي بطانة ، القسم الاول ، القاهرة (دار النهضة مصر) ،
 د . ت .
- محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة : ألقاها الدكتور ابراهيم
 انيس على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية ، جامعة
 الدول العربية ، معهد الدراسات العالية ، ١٩٥٩ —
 ١٩٦٠ م .
- المحكم في نقد الصحاح : الداني (ابو عمرو عثمان بن سعيد — ٤٤٤هـ) ،
 تحقيق عزة حسن ، دمشق (مطبوعات احياء التراث
 القديم) ، ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .
- المحكم والمحيط الاعظم في اللغة : ابن سيدة (٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور
 مراد كامل ، مصر (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي
 وأولاده) ، ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .
- المخصص : ابن سيدة ، بيروت (المكتب التجاري) ، د . ت .
- الدخول الى الالسنية : الدكتور يوسف غازي ، ط ١ ، دمشق (العالم العربي
 الجامعية) ، ١٩٨٥ م .
- مدخل الى السيميوتيقا — مقالات مترجمة ودراسات ، اشراف سيزا قاسم
 نصر حامد ابوزيد ، ج ٢ ، دار الياس المصرية ، د . ت .
- مدخل الى علم اللغة : الدكتور محمود فكري حجازي ، القاهرة (دار الثقافة) ،
 ١٩٧٨ م .
- الدخول الى علم اللغة ونماذج البحث اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب ،
 ط ٢ ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ، ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
- الزهر في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطي ، شرحه محمد ابو
 الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب ،
 د . ت .
- معارج القدس في مدارج معرفة القدس : الخزالي (ابو حامد محمد بن محمد

- ٥٠٥ هـ ، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ، ١٩٥٠ م .
- المجمع العلمي : الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، بيروت (دار المطبعات) ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- المجمع العلمي : لغات القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة دار المطابع الشعب ، ١٣٧٨ هـ .
- المجمع الادبي في الحساب الخلدوني : فنان اساعيل عبد الحافظ ، ١٩٩٤ م .
- (رابطة الكتاب الاردنيين بدعم من مؤسسة عبد الحميد شومان) ، ١٩٩٤ م .
- المقدمة : عبد الرحمن بن خلدون ، تحقيق الدكتور عني عبد الواحد رافعي ، ط ١ ، لجنة البيان العربي ، الجزء الاول ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م ، الجزء الثالث والرابع ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- الملكة اللسانية في مقدمة ابن خلدون : الدكتور ميشال زكريا ، ط ١ ، بيروت ، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع) ، ١٩٨٦ م .
- الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون : الدكتور محمد عبد ، القاهرة (عالم الكتب) ، ١٩٧٩ م .
- صلاح الهلغاه وسراج الادباء : القرطاجني (ابو الحسن حازم - ٦٨٤ هـ) ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس (دار الكتب الشرقية) ، ١٩٦٦ م .
- مهرجان ابن خلدون (نظمته كلية الاداب - جامعة محمد الخامس بشاركتها اتحاد وكتاب المغرب العربي وجمعية قدما بولاي اندريه بغاس) ، المغرب (دار الكتاب) ، ١٩٦٢ م .
- نصرة الناصر على النمل السائر : المصطفى (صلاح الدين بن آيك - ٧٦٤ هـ) ، تحقيق : محمد علي سلطاني ، دمشق (مطبعات جمع اللغة العربية) ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- نظرية المعرفة في مقدمة ابن خلدون (دراسة منهجية ناقدة في الاجتهاد السياسي) : الدكتور ملحم قربان ، ط ١ بيروت (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع) ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م .

— فتح الطيب من ضمن الاندلس الربايب : القري (احمد بن محمد القري
 التلمساني — ١٠٤١ هـ) ، تحقيق الدكتور احسان
 عيسى ، بيروت (دار صادر) ، ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م .

البحوث والمقالات

البحوث والمقالات

أ - المنشورة

- الابداع في استخدام اللغة - ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، (من كتاب آراء ديكرت في علم اللغة ، تأليف نعيم تشومسكي) ، مجلة اسفار ، عدد ١٧ / ١٨ صيف ١٩٩٤ م .
- الابداع في اللغة (حول الجديد عند تشومسكي) : ابراهيم عاصي ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، عدد (٢٣) تموز ١٩٨١ م .
- ابن خلدون ورسم المصحف العثماني : الدكتور محمد حسين ابو الفتح ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، معهد اللغة العربية ، الخرطوم ، المجلد (٧) ، عدد ٢ / ١ ، ١٩٨٩ م .
- ابن خلدون وعلوم اللسان : الدكتور عبد القادر المهيري ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد (٢٤) ، ١٩٨٥ م .
- ابن خلدون وعاهية الشعر : جمال الدين بن الشيخ ، الجزء الاول ، اعمال ندوة ابن خلدون ، الرباط ، ١٩٧٩ م .
- ادب ابن خلدون : احمد الحوفي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، المشرف على المجلة الدكتور ابراهيم انيس .
- ((الادب في الكاريبي)) الانشاق اللغوي ... لماذا ؟ أدورد كليسانت مجلة آفاق عربية ، عدد (٦) حزيران ١٩٩١ م .
- اسبقية العربية الفصحى على العامية : تحقيق وترجمة الدكتور خليل سمعان مجلة اللسان العربي ، الرباط ، المجلد التاسع ، الجزء الاول (دراسات وابحاث) ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .
- الاسس النظرية لتوظيف اللسانيات في تعليم اللغات : الدكتور عبد السلام المسدي ، المجلة العربية للدراسات اللغوية ، عدد خاص ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، المجلد الاول ، عدد (٢) ، ١٩٨٣ م .
- الاسلام والكتابة العربية : الدكتور حسام سعيد النعيمي ، مجلة الضاد الجزء الثالث ، ١٩٨٩ م .

- اصول الالسنية عند النحاة العرب : الدكتور صبحي الصالح ، مجلة الفكر العربي عدد (٨ / ٩) ، ١٩٧٩ م .
- الالسنية وتقارب اللهجات الدارجة في الوطن العربي : الدكتور علي القاسمي اشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية ، تونس ، ١٣ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ م . سلسلة اللسانيات (٤) .
- تشومسكي والثورة اللغوية : جون سيرل ، مجلة الفكر العربي ، عدد (٨ / ٩) ١٩٧٩ م .
- تعريف اللغة في نظر الالسنية الحديثة : الدكتور بسام بركة ، المجلد العربية ، السعودية ، عدد (٥) ، سنة (٤) ، ١٩٨٠ م .
- حد اللغة بين المعيار والاستعمال : الدكتور عبد السلام المسدي ، مجلة الاقلام ، عدد (٥) ، ١٩٨٥ م .
- الخلاف في التسمية الاصطلاحية لعلم اللغة الحديث : الدكتور محمد ضاري حمادي ، مجلة آفاق عربية ، عدد (٧) توز ١٩٨٨ م .
- العامية انفصالية : بقلم : حامد السويداء ، مجلة العربي ، عدد (٢٨٥) ، شوال ١٤٠٢ هـ - آب ١٩٨٢ م .
- علوم اللسان عند ابن خلدون : الدكتور عبد السلام المسدي ، مجلة المورد ، المجلد الخامس عشر ، عدد (١) ، ١٩٨٦ م .
- الفصحى واللهجات قراءة جديدة وملاحظات : الدكتور محمود عبد المولى ، مجلة اللسان العربي ، الرباط ، المجلد السابع عشر ، الجزء الاول ، ١٩٧٩ م .
- الفكر العربي والالسنية : الدكتور عبد السلام المسدي ، اشغال ندوة اللسانية واللغة العربية ، تونس ، ١٣ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ م . سلسلة اللسانيات (٤) .
- فلسفة اللغة لابن خلدون : جاك لانغاد ، اعمال ندوة ابن خلدون ، الرباط ، ١٩٧٩ م .
- قديم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة : يوسف ذنون مجلة المورد - عدد خاص في الخط العربي ، المجلد الخامس عشر ، عدد (٤) ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

- قراءة في مقدمة ابن خلدون عن الادب ونقده : علي حداد ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد الخامس عشر ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
- اللغة في المجتمع — بقلم توماس ليمان ، ترجمة امين محمود الشريف ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، عدد (٥٨) ، ١٥ — يناير — مارس ١٩٨٥ م ، تصدر عن مجلة رسالة اليونسكو ومركز مطبوعات اليونسكو .
- اللغة والفكر : الدكتور حلمي خليل ، المجلة العربية ، السحرورية ، عدد (٥) ، سنة (٤) ، ١٩٨٠ م .
- مبدأ ظهور الحروف العربية وتطورها لخاية القرن الاول الهجري : اسامة النقشبندی ، مجلة المورد — عدد خاص في الخط العربي ، المجلد الخامس عشر ، عدد (٤) ، ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م .
- مصطلحا (اللغة) و (اللسان) عند ابن خلدون : الدكتور عبد القادر المهيري ، حوليات الجامعة التونسية ، عدد (٢٥) ، ١٩٨٦ م .
- منزلة الشعر العربي في فكر ابن خلدون : ابراهيم جدلة ، مجلة المسار (اتحاد الكتاب التونسيين) ، عدد (١٥) ، مارس ١٩٩٣ م .
- نظرة ابن خلدون في اللغة : بقلم محرزة المعروفي ذويب ، مجلة الحياة الثقافية ، عدد (٥٢) ، ١٩٨٩ م .
- نظريات نشأة اللغة عند العرب : الدكتور محمد حسين آل ياسين مجلة المورد ، المجلد السابع ، عدد (٣) ، ١٩٧٨ م .

ب — غير المنشورة

- ابن خلدون ناقدًا : الدكتور عناد غزوان ، بغداد ، ١٩٩٢ م .

Linguistic Contemplation - Asped - of Ibn Khaldun

(d . 808 A. H)

This thesis was made of three chapters with a prelude , an introduction and a conclusion . The introduction was devoted to the life of Ibn Khaldun , his biography , The most important events of his life , his upbringing his education , his pupils , his teachers and his famous academic works .

Chapter One deals with language in the views of Ibn Khaldun . This chapter deals with the following academic issues :

- a) The Nature of language .
- b) The Sources of language .
- c) The Socialization of language .
- d) Writing language .

Chapter two tries to study and analyse thoroughly the linguistic Faculty (Gift) according to Ibn Khaldun, throughout the following academic topics :

- a) The Conception of the tongue on linguistic Faculty (Gift).
- b) The linguistic Faculty and Arabic language Canons (Basic Rules) .
- c) The linguistic Faculty and Poetry .

Chapter three was devoted to investigate the Dialects as far as the following two topics were concerned ;

- a) Dialects and linguistic Development .
- b) The Dialectal Difference, and the Communicative Nature of language .

I have ended this raserch with a canchusion , in clu -
ding its finaf academic results .

(Miss) Sana Ali Husain AL - Hamdani

Ardic Dept .

College of AEs ,

University of Baghdad .